جواهر البلاغة

في

المعاني والبيان والبديع

تأليف

السيد أحمد الهاشمي

لسان العرب

جواهر البلاغة

في

المعاني والبيان والبديع

تأليف

السيد أحمد الهاشمي

اسكندرية ☎ ٤٤٥٩٧٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن خصّ سيِّد الرُّسل بكمال الفصاحة بين البَدو والحضَر وأنطقه بجوامع الكلم فأعجزَ بُلَغاء رَبيعةَ ومُضَر، وأنزل عليه الكتابَ المُفحم بتحدية مصاقِع بُلغاء الأَعراب، وأتاه بحكمته أسرارَ البلاغة وفصلَ الخطاب، ومنحه «الاسلُوب الحكيم [1]» فى جوامع كلمه وخصّ «السّعادة الأبدية» لمقتفى آثاره وحِكَمه، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه «جواهر البلاغة» الذين نظمُوا لآلئ البديع فى عقُود الإيجاز والإِطناب، ففَهِمنا بعد اللّكَن «بجواهر الأعراب» ونطقنا «بميزان الذَّهب» وطرّزنا سُطور الطُّرُوس «بجواهر الأدب» فصارت «المفرد العَلَم» فى باب النّسب * وبعد * فانّ العلومَ أرفعُ المطالب، وأنفع المآرب وعلم البلاغة مِن بَينِها أجلُّها شأنَا، وأبينها تِبيَانا، اذْ هو الكفيل بإيضاح حقائق التّنزيل، وإفصاح دقائق التّأْويل، وإظهار «دلائل الإعجاز» ورفع معالم الإيجاز، ولاشتغالى بتدريس البيان بالمدارس الثانويّة، كانت البواعث داعية الى تأليف كتاب «**جواهر البلاغة**» جامعاً للمُهمَّات من القواعد والتّطبيقات ـ وأسأل المولى جلّ شأنه أن ينفعَ بهذا الكتاب، وهو الموفق للحق والصواب ✽

المؤلف

السيد احمد الهاشمى

---

(١) الاسلوب الحكيم والسعادة الابدية وجواهر البلاغة وجواهر الأعراب وجواهر الأدب وميزان الذهب والمفرد العلم ـ الواردة فى هذه الخطبة أسماء بعض كتب مطبوعة لمؤلف هذا الكتاب

﴿ أقوال أئمة العلماء الأعلام وآراء الأساتذة الكبار فى كتاب ﴾

جواهر البلاغة

كتب أستاذى المرحوم صاحب الفضيلة الشيخ حسونه النواوى شيخ الجامع الأزهر

الحمد لله العلىّ القدير ، والصلاة والسلام على النبى البشير النذير ، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا طريقه المنير

« أما بعد » فقد اطلعت على كتاب ﴿ جواهر البلاغة ﴾ الذى حاز كمال الصياغة لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل « السيد احمد الهاشمى » الحائز لكمال الفضائل ، فوجدته كتاباً نفيساً قد اشتمل على بيان بديع المعانى بأفصح عبارة وأبلغ اشارة ، وسلك فيه حضرة مؤلفه طريق التحقيق لصعاب الشوارد ، مع كثرة التمارين والامثلة والشواهد فجاء فريداً فى بابه ، مرغوباً ونافعاً لطلابه ، أسأل الله تعالى أن يرزق مؤلفه الحسنى وزيادة ، و يمنحه السعادة فى الدارين والسيادة ، و يوفقه للتعلم والتعليم ، و يهديه إلى الصراط المستقيم ، انه على ما يشاء قدير ، و بالإجابة جدير م

(وكتب المغفور له سماحة السيد على الببلاوى شيخ الجامع الأزهر)

أحمد من رصّع تاج اللغة العربية « بجواهر البلاغة » فشرفها على سائر اللغات بكمال الصياغة ، وأصلى وأسلّم على أفصح ناطق بالضاد ، وأجلّ داع الى الله وهاد سيدنا محمد القائل (إن من البيان لسحراً ، و إن من الشعر لحكمة) وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أرواحهم فى صون كتاب الله الكريم ، ونشر دينه القويم

هذا ، وقد تصفحت جملة من كتاب ﴿ جواهر البلاغة ﴾ الذى أحكم صنعه وأبدع تصنيفه ووضعه ، حضرة الفاضل ، المجد الكامل ، الأستاذ « السيد أحمد الهاشمى » فرأيته جعل فرائد فوائد الفنون الأدبية على طرف الثمام ، بحيث لا يكلف طالبها أكثر من الاطلاع على كتابه ، حتى يعود مسرور الفؤاد ، قرير العين ، بما وجده

فيه من ضالته المنشودة التي طالما أبعدته عنها صعوبة المؤلفات السابقة ؛ في مثل فنون البـلاغة وطولها بدون طائل ـ فجزى الله حضرة هـذا الاستاذ الجليل عن طالبي الاستفادة خير الجزاء ، ووفقه لما فيه من الخير والنفع العام . انه سميع الدعاء ؟

وكتب المرحوم أستاذنا الحـكيم الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

اطلعت عـلى كتاب « جواهر البـلاغة » في علوم المعاني والبيان والبديع والسرقات الشعرية ، فوجدته كتاباً عظيما . وأسلوبا حكيما ، يشهد لحضرة مؤلفه الفاضل بملاك الذوق السليم ، والعقل الحـكيم ، هداه الله الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين ؟

وكتب أخونا الاستاذ الشيخ أحمد الـكناني المدرس في المدرسة التوفيقية

الحمـد لله البـديع صنعه ، الحـكيم وضعه . الواهب من شاء ما شاء من نعمه المفيض على من اصطفاهم من عباده وابل فضله وكرمه ، نشكره هدانا بفضله الصراط المستقيم . صراط الذين حازوا فضل العـلم والتعليم . ونصلي ونسلم على أبي ابراهيم المبعوث بملة أبيه ابراهيم ، سيدنا محمد ذي المقام الاسمى الذي أنزل عليه في محكم كتابه (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، الذين اجتمعت قلوبهـم وقوالبهم على حبه واتباعه

« أما بعد » فان خير الـكتب ما عمّ نفعه ، وحسن لدى العقلاء وضعهُ ـ وكان متقن البيان ، واضح الحجّة ، قويّ البرهان . وان كتاب « جواهر البلاغة » لمن خير الـكتب وضعاً ، وأحسنها اختياراً وصنعاً ، لمؤلفه الفاضل الأستاذ « السيد احمد الهاشمي » فان لحضرته من التآليف العديدة . والتصانيف المفيدة . ما تقر به أعين الناطقين بالضاد . ويفحم بمعجزاته كل مضاد . لا سيما هذا السفر الجليل الذي جاء دليلا على اخلاصه في النيـة لأبناء أمته . و برهاناً ساطعاً على وفائه وحسن طويته فقد جمع فيه ما تفرق . بعد أن حقق ودقق ـ فلاغرابة إذا احتاج اليه كل انسان . لما فيـه من مراعاة النظير وحسن البيان ـ فالله أسأل أن ينفع بالمؤلف والمؤلّف العباد ويجعله بفضله كنزاً وذخراً الى المعاد . آمين ؟

تمهيد

لمَّا وُضع « علمُ الصَّرف » للنّظر فى أبنية الألفاظ

ووُضِع علمُ النَّحو للنّظر فى إعراب ماتركّب منها

وُضع « البيان [1] » للنّظر فى أمر هذا التركيب، وهو ثلاثة علوم

(العلم الأول) ما يُحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى الذى يُريدُه المتكلّم لإيصاله الى ذهن السّامع، ويُسّمى « علم المعانى »

(العلم الثانى) ما يُحترز به عن التعقيد المعنوى - أى عن أن يكونَ الكلامَ غير واضح الدّلالة على المعنى المراد، ويُسمَّى « علم البيان »

(العلم الثالث) ما يُراد به تحسين الكلام، ويُسمَّى « علم البديع » فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يعرف التحسين الذاتى وبه يعرف التحسين العرضى

والكلام باعتبار « المعانى والبيان » يقال إنه

« فصيحٌ » من حيثُ اللفظ - لانَّ النّظر فى الفصاحة إلى مجرَّد اللفظ دون المعنى

« وبليغٌ » من حيثُ اللفظ والمعنى جميعا - لأنَّ البلاغة ينظر فيها الى الجانبين [2]

---

(١) علم البيان فى اصطلاح المتقدمين من أئمة البلاغة يطلق على فنونها الثلاثة من باب تسمية الكل باسم البعض - وخصه المتأخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية - والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبيِّن مافى نفس المتكلم من المقاصد وتوصل الأثر الذى يريده به الى نفس السامع

(٢) وبيان ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهى مقصورة على اللفظ لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى . والبلاغة إنما هى انهاء المعنى فى القلب فكأنها مقصورة على

وأمّا باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح ولا بليغ ، لأن البديع أمرٌ خارجي يُراد به تحسين الكلام لاغيرُ

إذا تقرّر ذلك وجب على طالب البيان أن يعرفَ قبل الشّروع فيه معرفةَ معنىَ «الفصاحة والبلاغة» لأنّهما محوره، وإليهما مرجع أبحاثه، فهما الغاية التي يقفُ عندها المتكلّم والكاتب، والضّالّةُ التي ينشُدانها، وما عقَدَ أئمّة البيان الفصولَ، ولا بوّبوا الأبوابَ، إلاّ بُغية أن يُوقفوا المُسترشدَ على تحقيقات وملاحظات وضوابط، إذا رُوعيتْ في خطابه أو كتابه بلغت الحدَّ المطلوبَ من سهولة الفهم، وإيجادِ الأثر المقصود في نفس السّامع واتّصفت مِنْ ثَمَّ بصفة الفصاحة والبلاغة (١)

المعنى، ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ . والبلاغة تتناول المعنى . أن الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا إذ هو مقيم الحروف وليس لها قصد الى المعنى الذى يؤديه ــ وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحا بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيدالسبك غير مستكره فج ولا متكلف وخم ، ولا يمنعه من أحد الاسمين شئ لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف

واعلم أن الفصيح من الالفاظهو الظاهر البين، وانما كان ظاهراً بيناً لانه مألوف الاستعمال ، وإنما كان مألوف الاستعمال بين النابهين من الكتاب والشعراء لمكان حسنه ، وحسنه مدرك بالسمع ، والذى يدرك بالسمع إنما هو اللفظ لانه صوت يتألف من مخارج الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح ــ والحسن هو الموصوف بالفصاحة ــ والقبيح غير موصوف بالفصاحة لانه ضدها لمكان قبحه

(١) يرى الامام عبد القاهر الجرجانى وجمع من المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات ، وإنما يوصف بها الكلام بعد تحرّى معانى النحو فيما بين الكلم حسب الاغراض التى يصاغ لها

مقدمة (١)

﴿ فى معرفة الفصاحة والبلاغة ﴾

الفصاحة

ألفصاحة تُطلَق فى اللُّغة على معان كثيرة — منها البيانُ والظُّهور قال الله تعالى «وأخى هارونُ هو أفصح منّى لسانا» أى أبينُ مِنّى قولا ويقال أفصح الصبىُّ فى منطقه إذا بان وظهر كلامه .

وقال أبو هلال العسكرى فى كتاب الصناعتين ـ الفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد و إن اختلف أصلاهما لان كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له . وقال الرازى فى نهاية الايجاز ـ وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة : وقال الجوهرى فى كتاب الصحاح ـ الفصاحة هى البلاغة

(١) مقدمة مشتقة من قدَّم اللازم وهذه مقدمة كتاب لانها ألفاظ تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه ـ بخلاف مقدمة العلم فهى معان يتوقف الشروع عليها كبيان حد العلم المشروع فيه وموضوعه وغايته

واعلم أن علوم البلاغة أجل العلوم الادبية قدراً وأرسخها أصلا وأبسقها فرعا وأحلاها جنى وأعذبها ورداً لانها العلوم التى تستولى على استخراج درر البيان من معادنها وتريك محاسن النكت فى مكامنها (ولولاها لم تر لسانا يحوك الوشى ، و يلفظ الدر ، و ينفث السحر ، ويريك بدائع من الزهر ، وينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر) فهى الغاية التى تنتهى اليها أفكار النظار ، واللالىء التى تتطلبها غاصة البحار لهذا كانت منزلتها تلو العلم بتوحيد الله تعالى

وقالت العرب — أفصح الصُّبح إذا أضاء ، وفَصَح أيضا ، وأفصح الأعجميُّ إذا أبان بعدَ أن لم يكن يُفصِح ويُبين ، وفصح اللَّحان إذا عبَّر عمَّا في نفسه وأظهره على وجه الصَّواب دون الخطأ

وفى اصطلاح أهل المعانى، عبارة عن الألفاظ البيِّنةِ الظاهرة المُتبادرةِ الى الفهم ، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حُسْنها .

وهى تقع وصفاً للكلمة ، والكلام،والمتكلِّم ، حَسبَما يعتبر الكاتب اللَّفظةَ وحدَها أو مَسبوكةً مع أخواتِها

فصاحة الكلمة

فصاحة الكلمة سلامتها من أربعة عيوب

١ تنافُرِ الحروف ٢ غرابةِ الاستعمال ٣ مُخالفةِ القِياس

٤ الكَراهةِ فى السمع (١)

الاوَّل « تنافُر الحروف » هو وصفٌ فى الكلمة يوجب ثِقلهَا على السمع وصعوبة أدائها باللِّسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج وهو نوعان :

١ شديدٌ فى الثِّقل كالظَّش (للموضع الخشن (٢)) ونحو : هُعْخُع « لنبت ترعاه الابل (٣) » من قول أعرابى

* تركت ناقتى ترْعَى الهُعْخُع *

---

(١) و بذلك تسلم مادتها وصيغتها ومعناها من الخلل ـ واعلم أنه ليس تنافر الحروف يكون موجبه دائما قرب مخارج الحروف اذ قربها لا يوجبه دائما ـ كما أن تباعدها لا يوجب خفتها ـ فها هى كلمة « بفمى » حسنة وحروفها من مخرج واحد

٢ وخفيف كالنَّقنقة « لصوت الضَّفادع » والنُّقَاخ « للماء العذب الصافى » ونحو : مُسْتَشْزِرات « بمعنى مرتفعات » من قول امرئ القيس يصف شَعر ابنة عمّه

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلاَ تَضِلُّ العِقَاصُ فى مُثَنًّى ومُرْسَلِ (١)

ولا ضابطَ لمعرفة الثِّقل والصّعوبة سِوى الذّوق السّليم والحِسّ الصّادق النّاجمين عن النّظر فى كلام البُلغاء ومُمارسة أساليبهم (٢)

وهو الشفة ، وكلمة (ملع) متنافرة ثقيلة وحروفها متباعـدة المخارج ، وأيضاً ليس موجب التنافر طول الـكلمة وكثرة حروفها (١) « الغدائر » الضفائر والضمير يرجع إلى (فرع) قبله (والاستشزار) الارتفاع (والعقاص) جمع عقيصة وهى الخصلة من الشعر (والمثنى) الشعر المفتول (والمرسل) ضـده ـ أى ابنة عمه لـكثرة شـعرها بعضه مرفوع ، وبعضه مثنى ، وبعضه مرسل ، وبعضه معقوص ملوى

(٢) الالفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسمان حسنان ، وقسم قبيح ، فالقسمان الحسنان أحدهما ماتداول استعماله السلف والخلف من الزمن القديم إلى زماننا هـذا ولا يطلق عليه أنه وحشى ، والآخر ماتداول استعماله السلف دون الخلف ، ويختلف فى استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله ـ وهذا هو الذى يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشى

ولا يسبق وهمك إلى قول قصراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن ، بل ينبغى أن تعلم أن الذى نستحسنه نحن فى زماننا هذا هو الذى كان عند العرب مستحسنا ، والذى نستقبحه هو الذى كان عندهم مستقبحاً والاستعمال ليس بدليل على الحسن فاننا نحن نستعمل الآن من الـكلام ما ليس بحسن وإنما نستعمله لضرورة فليس استعمال الحسن بممكن فى كل الأحوال ـ واعـلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب

الثانى غَرابة الاستعمال ، وهى كونُ الكلمة غيرَ ظاهرةِ المعنى ولا مألوفةَ الاستعمال عند العرب الفُصحاء ، لأنّ المعوّلَ عليه فى ذلك استعمالهم والغرابة قسمان :

القسم الأول : مايُوجب حيرة السّامع فى فهم المعنى المقصُود من الكلمة لتَردّدها بين معنيين أو أكثرَ بلا قرينة . وذلك فى الألفاظ المُشتركة « كمسرَّج » من قول رُؤْبَة بن العَجاج :

وُمقلةً وحَاجباً مُزَجّجَا وفاحماً ومَرْسناً مُسَرَّجا (١)

فلا يُعلم ما أراد بقوله « مُسرّجا » حتى اختَلفَ أئمّةُ اللغة فى تخريجه فقال « ابن دُريد » يُريد أنّ أنفه فى الاستواء والدّقة كالسّيف السّريجى

لانه شئ ليس للتقليد فيه مجال وانما هو شئ له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه ـ ألا ترى أن لفظة المزنة مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم لا يختلف أحد فى حسنها ـ وكذلك لفظ البعاق فانها قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم فاذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إياها مخرجا لها عن القبيح ولا يلتفت إذن إلى استعمالهم إياها بل يعاب مستعملها و يغلظ له النكير حيث استعملها ـ فلا تظن أن الوحشى من الألفاظ ما يكرهه سمعك و يثقل عليك النطق به وانما هو الغريب الذى يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك فى اللفظ عيبان كونه غريب الاستعمال وكونه ثقيلا على السمع كريها على الذوق . وليس وراءه فى القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شئ من معرفة هذا الفن أصلا ـ انتهى عن المثل السائر بتصرف (١) « مزججا » مدققاً مطولا (فاحما) شعراً اسود كالفحمة (مرسنا) بكسر الميم وفتح السين كمنبر ـ أو بفتح الميم وكسر السين كمجلس ومعناه أنفاذا لمعان كالسراج ـ أو ذا صقالة واحد يداب كالسيف السريجى أى المنسوب الى سريج وهوقين حداد تنسب اليه السيوف فى الدقة والاستواء

وقال « ابن سِيدَه » يُريد أنه فى البريق واللّمعان كالسّراج (١)
فلهذا يَحتار السّامعُ فى فهم المعنى المقصود لتردّد الكلمة بين معنيين بدون « قرينة » تُعيِّن المقصود منهما

فلأجل هذا التّردّد، ولأجل أن مادة فَعّل تدلّ على مجرد نسبة شئٍ لشئ لا على النّسبة التّشبيهية كانت الكلمة غير ظاهرة الدّلالة فصارت غريبة

وأما مع القرينة فلا غرابةَ كلفظة « عَزَّر » فى قوله تعالى (فالذين آمنوا وعزّروه ونصروه) فانها مشتركة بين التعظيم والاهانة — ولكن ذكر النصر قرينة على ارادة التعظيم

القسم الثانى: مايُعاب استعماله لاحتياج الى تتبُّع اللُّغات وكثرة البحث والتفتيش فى المعاجم « قواميس متن اللغة المطولة »

« ا » فمنه مايُعثر فيها على تفسيرٍ بَعْدَ كَدٍّ وبَحثٍ نحو: تَكَأْكَأْتُم « بمعنى اجتمعتُم » من قول عيسى بن عمرو النّحوى:

مَا لَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ (٢) عَلَيَّ كَتَكَأْكُئِكُمْ على ذِى جِنَّةٍ (٣)
إفرَنْقِعُوا عنّى (٤) ونحو مُشْمَخِرٍّ فى قول بِشرِ بن عوانه يَصِفُ الأسدَ:

---

(١) أى ولفظة مسرج غير ظاهرة الدلالة على ما ذكر لأن فعل انما يدل على مجرد النسبة وهى لا تدل على التشبيه فأخذه منها بعيد — لهذا أدخل الحيرة على السامع فى فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة ومثله قول الشاعر

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

فلا يعلم ماذا أراد بقوله فعلت مالم أفعل — أكان يبكى إذا رحلوا — أم كان يهيم على وجهه من الغم الذى لحقه — أم يتبعهم اذا ساروا — أم يمنعهم من المضى على عزمة الرحيل (٢) اجتمعتم (٣) جنون (٤) انصرفوا

نخِرٌّ مُدَرَّجاً بِدَمٍ كأنّى   هَدَمْتُ به بِنَاءً مُشْمخِرًّا

«ب» ومنه مالم يُعثر على تفسيره نحو (جحلَنْجَع) من قول أبى الهَمَيْسَع

مِنْ طَمحةٍ صَبيرها جَحلَنْجَع (١) لم يحضها الجدول بالتّنوُّع

الثالث (مخالفة القياس) كون الكلمة غير جارية على القانون الصّرفى المُستنبَط من كلام العرب ؛ بأن تكونَ على خلاف ماثبت فيها عن الواضع (٢) مثل (الأجْلَلِ) فى قول أبى النَّجْم :

أَلحمدُ لله العلىِّ الأجْلَلِ   الواحدِ الفَرْدِ القديم الأوَّلِ

فانَّ القياس الأَجلّ بالإدغام ولا مُسَوِّغ لفكّه

وكقطع همزة الوصل فى قول جَميل :

---

(١) الطمحة النظرة والصبير السحاب المتراكم — وقبله

وقال ذلك حين سقط عن دابته فاجتمع الناس حوله

ان تمنعى صوبك صوب المدمع   يجرى على الخد كضئب الثعثع

الضئب الحب والثعثع اللؤلؤ — قال صاحب القاموس ذكروا جحلنجع ولم يفسروه وقالوا كان أبو الهميسع من أعراب مدين وكنا لا نكاد نفهم كلامه اه

(٢) اعلم أن ماثبت عن الواضع موافقاً أو مخالفاً للقياس فصيح فمثل (آل وماء) أصلهما أهل وموه أبدلت الهاء فيهما همزة وابدال الهمزة من الهاء وان كان على خلاف القياس إلاّ أنه ثبت عن الواضع ومثل (أبى يأبى) بفتح الباء فى المضارع والقياس كسرها فيه لأن فعل بفتح العين لا يأتى مضارعه على يفعل بالفتح الا اذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل ونفع ، فمجىء المضارع بالفتح على خلاف القياس الا أن الفتح ثبت عن الواضع ومثل (عور يعور) أى فالقياس فيهما عار يعار بقلب الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فتصحيح الواو خلاف القياس إلا أنه

أَلاَ لاَ أرى إثنين أحسنَ شِيمةً　　على حَدَثانِ الدَّهرِ منّي ومن جُمل (١)

يُستثنَى من ذلك ماثبت استعماله لَدى العرب مخالفاً للقياس

ولم يَخرُج عن الفصاحة لفظتا المشرِق والمغرِب بكسر الراء والقياس فتحها فيهما وكذا لفظتا المُدهُن والمُنخُل والقياس فيهما مِفعَل بكسر الميم وفتح العين وكذا نحو قولهم عَوِر والقياس عارَ لتحرُّك الواو وانفتاح ماقبلها.

الرابع (الكراهة فى السّمع) كون الكلمة وحشيةً تأنفها الطباعُ وتمجُّها الاسماع وتنبو عنه كما ينبو عن سماع الاصوات المنكرة (كالجرِشَّى للنفس) فى قول أبى الطّيب المتنبّى يمدح سَيفَ الدَّولة

مُبارَكُ الإِسْم أغرُّ اللّقَبْ　　كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ

تطبيق (١)

ماالذى أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يأتى ؟ ؟

قال يحيى بن يعمر لرجل حاكمته امرأته اليه « أإِنْ سأَلَتْكَ ثَمن شَكْرِها وشَبرِكَ أنشأتَ تَطُلُّها وتَضْهلُهَا (٢)

وقال بعض أمراء العرب وقد اعتلَّت أمّه فكتب رقاعاً وطرحها فى المسجد الجامع بمدينة السلام : صِينَ امرُؤٌ ورَعَا دعَا لامْرأة إنقَحلَة (٣) مُقسئنَةَ (٤) قد مُنِيتْ بأَكل الطّرمُوق (٥) فأصابها من أجله

---

(١) الشيمة الخلق ، والحدثان نوائب الدهر ، وجمل فرسه

(٢) الشكر الرضاع والشبر النكاح وتطلها تسعى فى بطلان حقها وتضهلها تعطيها الشيء القليل　(٣) يابسة　(٤) مسنة عجوز　(٥) ابتليت بأكل

الاستمصالُ (١) بأن يَمُنَّ الله عليها بالأطرِ عشاش (٢) والإبرُ عشاش أسمعُ جعجعةً (٣) ولا أرى طحناً — الإسفنطُ (٤) حرام — وهذا الخنشليل (٥) صقيل ، والفدوكسُ مفترسٌ (٦)

يومٌ عصبصبٌ وهلوفٌ ملأ السجسجَ طلاً (٧)

أمنّا أنْ تُصرّعَ عن سماحٍ ... وللآمال فى يدك اصطراعُ (٨)

وقال الفرزدق

واذا الرِّجالُ رأوا يزيدَ رأيتهم ... خُضعَ الرِّقابِ نواكسَ الأبصارِ (٩)

وقال أبو تمام

قد قُلت لمَّا اطلَخَمَّ الأمرُ وانبعثتْ ... عشواءُ تاليةً غُبساً دهاريسا (١٠)

الطين (١) الاسهال (٢) البره وكذا معنى ما بعده

(٣) جعجعة غير فصيحة لتنافر حروفها وهو مثل يضرب لمن يقول ولا يفعل

(٤) الاسفنط الخمر (٥) الخنشليل السيف (٦) الفدوكس الاسد فكل من هذه الالفاظ الثلاثة وحشية غير مألوفة (٧) شديد البرد فيهما والسجسج الأرض التى ليست بسهلة ولا صلبة (٨) أراد أنهم أمنوا أن يغلبه غالب يصرعه عن السماح ويمنعه منه. وأما قوله (وللآمال فى يدك اصطراع) فمعناه تنافس وتغالب وازدحام فى يده. يريد كثرة نواله وكرمه. واستعماله للفظة الاصطراع بهذا المعنى بعيد.

(٩) فقد جمع (ناكس) على (فواعل) وهذا لا يطرد إلا فى وصف لمؤنث عاقل لالمذكر كما هنا إلا فى موضعين (فوارس وهوالك) والناكس مطأطئ الرأس

(١٠) قال صاحب المثل السائر ان لفظ (اطلخم) من الألفاظ المنكرة التى جمعت الوصفين القبيحين فى أنها غريبة وأنها غليظة فى السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة (دهاريس) واطلخم أى اشتد وعظم ، والعشواء الليلة المظلمة ، والغبسة جمع أغبس وغبساً وهى الشديدة الظلام مثلها — والدهاريس جمع دهريس وهى الدواهى

وقال شمر

وأحمق ممّن يَكرَع الماء قال لى ... دَع الخمرَ واشربْ من نُقاخٍ مُبَرَّدِ (١)

يظلُّ بمَوْماةٍ ويُمسى بغيرها ... جحيشاً ويَعْرَوْرَى ظهورَ المسالك (٢)

فلا يُبْرَمُ الأمرُ الذى هو حالِلٌ ... ولا يُحلَلُ الأمرُ الذى هو يُبْرِمُ (٣)

مقابِلٌ فى ذُرا الأذْواءِ منصبهُ ... عَيْصاً فعيصاً وقُدْمُوساً فقُدْموسا

وقال أبو تمام

نِعْمَ مَتاعُ الدُّنيا حَباكَ بهِ ... أوْرَعُ لا جَيْدَرٌ ولا جِبْسُ

وقال امرُؤُ القَيس

رُبَّ جَفْنَةٍ مُثْعَنْجِرَةٍ ، وَطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرَة ، وخُطْبَةٍ مُستحضَرة وقصيدةٍ مُحبرةٍ تبقى غداً بأنقِرَة (٤) أكلتُ العَرِينَ ، وشربتُ

(١) الماء العذب الصافى

(٢) الموماة المفازة الواسعة ويقال للمستبد برأيه جحيش ويقال اعرورى الفرس ركبها عريانا — وان لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة — ويالله العجب أليس أنها بمعنى فريد وفريد لفظة حسنة رائقة ولو وضعت فى هذا البيت موضع جحيش لما اختل شئ من وزنه ، فتأبط شراً ملوم من وجهين فى هذا الموضع أحدهما أنه استعمل القبيح والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه (٣) العيب فى هذا البيت من حيث فك الادغام فى حالل ويحلل بلا مسوغ وهو مخالف للقياس الصرفى

(٤) يريد جفنة صحفة كبيرة ملأى تشبع عشرة والمثعنجرة السائلة والمسحنفرة الماضية بسرعة وطعنة متسعة ببلد أنقرة وهو كلام امرئ القيس لما قصد ملك الروم ليستنجده على قتلة أبيه فهوته بنت الملك و بلغ ذلك القيصر فوعده أن يتبعه بالجنود إذا بلغ الشأم أو يأمر من بالشأم من جنوده بنجدته فلما كان بأنقرة بعث اليه بثياب

الصُّمادح (١) إِنّى اذا أنشدتُ لأ حبنْطى (٢) نول بزيدٍ داهيةٌ خَنْفقيقٌ (٣) وحلّ به عَنْقَفير. لم يَجدمنها مَخلصاً . رأيتُ مَاء نُقاخا (٤) ينبَاعُ (٥) من سفحِ جبَل شَامخ . إخالُ أنّك مَصوُون (٦) — البُعاق (٧) ملأ الجرْد حَلَ

فانْ يكُ بعضُ الناس سَيفاً لدوْلة ... ففى النَّاس بُوقاتٌ لها وطبُولُ (٨)

تَقِى تَقىٌّ لم يُكثر غَنيمة ... بنكْهةِ ذِى القرْبى ولا بَحقلَّدِ

إنّ بَنِىَّ لَلئَامٌ زهَدَهْ ... مَالىَ فى صدورهم من مَوْدَده (٩)

رَمتنى مىٌّ بالهوَى رَمى مُمْضغ ... من الوحش لوْطٌ لم تَعقه الأ وَالسُ (١٠)

بعينين نَجلاوين لم يجر فيهما ... ضَمانُ وجيد حلى الدرّ شامسُ (١١)

علمى الى علمك كالقرارة فى المتْعنجرِ (١٢)

ان بعضاً من القريض هُراءُ ... ليس شيئا وبعضه أحكامُ

فيه ما يجلُب البَراعة والفهـ ... ـم وفيه ما يجلُب البِرسامُ (١٣)

ومن الناس مَن تَجوزُ عليهم ... شُعراءُ كأنها الخازَ بَازُ (١٤)

مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه فعلم بالهلاك فقال رب الخ (١) تريد اللحم والماء الخالص (٢) احبنطى انتفخ بطنه (٣) دهياء (٤) عذبا (٥) ينبع ويسيل (٦) مصوون ليست فصيحة لمخالفتها للقياس الصرفى (٧) البعاق مطر السحاب والجرد حل الوادى وليستا فصيحتين لغرابتهما (٨) بوقات مزامير والقياس فى جمعه أبواق (٩) القياس مودّة بالادغام (١٠) لوط لازق والاوالس النياق (١١) ضرب من القلائد (١٢) المثعنجر لفظة متنافرة ـ والمعنى إن علمى مقيس الى علمك كالغـدير الصغير موضوعا فى جانب البحر (١٣) القريض الشعر والهراء الـكلام الفاسد الذى لا نظام له ، وأحكام جمع حكم والمراد الحكمة ، والبرسام بفتح الباء وكسرها التهاب الصـدر (١٤) الخازباز صوت الذباب ـ وتجوز تروح وتقبل

تطبيق (٢)

ما الذى أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يلى ؟؟ .

يانفسُ صبراً كل حيٍّ لاق ... وكل اثنين الى افتراق
أبعِدْ بَعِدْتَ بياضاً لا بياضَ له ... لأنت أسودُ فى عينى منَ الظُّلَم (١)
لانَسبَ اليومَ ولاَ خُلَّه ... إتَّسعَ الفتقُ على الرَّاقِع (٢)
فأيقنتُ أنّى عنـد ذلك ثائرٌ ... غداتئذٍ أو هالكٌ فى الهوالك (٣)
مهلاً أعَازِلَ قدْجَرَّبت منْ خُلقى ... أنى أجودُ لأقوامٍ وان ضَننُوا
تشكو الوَجى مِن أظلَلٍ وأظلَلَ ... من طول إملالٍ وظَهرٍ مُمْلِلِ (١)

(١) الظلم الليالى الثلاث آخر الشهر . ولا بياض له لاحسن له . قاله المتنبى يخاطب الشيب له وخالف القياس فى الاسود لأنه لا يبنى اسم تفضيل من نحو سود وحمر (٢) الخلة الصداقة والفتق الشق والراقع مصلح الفتق وقد خالف القياس فى إتسع حيث قطع همزة الوصل (٣) هوالك فواعل لايطرد فى وصف العاقل كما هنا

(٤) الوجى الحفا والأظلل باطن خف البعير وخالف القياس بفك الادغام

﴿ تنبيهات ﴾ الأول من عيوب فصاحة اللفظة المفردة كونها مبتذلة أى عامية ساقطة كالقالق والشنطار ونحوهما ، والابتذال ضربان

(١) ما استعملته العامة ولم تغيِّره عن وضعه فسخف وانحطت رُتبته وأصبح استعماله لدى الخاصة مَعيباً ، كلفظة البِرسام فى قول المتنبى .

إن بعضاً من القَريض هُرَاء ... ليس شيئاً و بعضُه أحكامُ
فيه ما يَجْلِبُ البراعَةَ والفهـــم وفيه ما يجلب البِرْسام

وكلفظة الخازباز فى قوله :

ومن الناس مَن تجوزُ عليهم ... شُعراء كأنها الخازِباز

(١) وقال ابن جحدر :

حلفتُ بما أرقلتْ حوله همرجاةٌ خلقها شيظمُ
وما شبرقتْ من تنوفيةٍ بها من وحي الجنّ زيزيزمُ(١)

(٢) وقال ذو الرمة :

حتّى اذا الهيقُ أمسى شامَ أفرخهُ وهنّ لاموئسٌ نأياً ولا كثبُ(٢)

---

(٢) ما استعملته العامة دالاً على غير ما وضع له وليس بمستقبح ولا مكروه كقول المتلمس :

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناجٍ عليه الصيعريّة مكدمُ

وكقول أبى نواس

اختصمَ الجود والجمالُ فيك فصارا إلى جدال
فقال هذا يمينه لى للعرف والبذل والنوال
وقال هذاك وجهه لى للظرف والحسن والكمال
فافترقا فيك عن تراض كلاهما صادق المقال

فوصف فى الأول البعير بالصيعريّة وهى مختصة بالنوق ، وفى الثانى الوجه بالظرف وهو فى اللغة مختص بالنطق

للقالق والشنطار ونحوهما (الثانى) لاتستعمل الالفاظ المبهمة اذا كان غرضك التعيين واحضار صورة الشئ أو المعنى المراد فى الذهن (الثالث) لاتستعمل اللفظ المشترك الا مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة ــ وقد تقدم ذلك مفصلا

(١) الأرقال . الاسراع . الهمرجلة . الناقة السريعة . الشيظم . الطويل الجسيم من الابل والخيل ، شبرقت ــ قطعت ــ التنوفية والتنوفة المفازة : الوحى . الصوت الخفى ــ زيزيزم : حكاية أصوات الجن (٢) الهيق . الظليم (ذكر النعام) شام البرق نظر اليه أين يقصد ، وأين يمطر . واستعمل هنا للنظر الى الأفرخ . النأى . البعد

وقال أبو نُواس :

يامَن جفَانى ومَلاَّ نَسيتَ أَهلا وسَهْلا

تدريب (١)

ما الذى أخلّ بفصاحة الـكلمات فيما يلى ؟؟

قال النّابغة الذُّبيانى

(١) أو دُمْيَةٍ فى مَرْمَرٍ مَرْفُوعة بُنِيَتْ بآجرٍّ يُشَادُ بقَرْمَدِ [١]

(٢) وقال أبو تمّام

لكَ هَضْبَةُ الحِلْمِ التى لو وَازَنَتْ أَجَأً إذا ثَقُلَتْ وكانَ خفيفا

وحلاوَةُ الشِّيَمِ التى لوْ مَازَجَتْ خُلُقَ الزَّمانِ الفَدْمِ عادَظَرِيفا [٢]

(٣) وقال المتنبّى

يُوَسِّطه المَفاوزَ كلَّ يوم طِلاَبُ الطَّالبينَ لا الانْتِظارُ

تدريب (٢)

ما الذى أخلّ بفصاحة الـكلمات فيما يأتى ؟؟

(١) لم يَلْقَهَا إلا بِشِكَّة باسِلٍ يخشى الحوادِث حازم مُسْتَعْدِدِ [١]

(٢) وأصبح مُبْيَضَّ الضَّرِيب كأنه على سَرَوات البَيْتِ قُطْنٌ مُنْدَفِ [٢]

---

(١) الدمية . الصورة المنقوشة المزينة فيها حمرة كالدم . تضرب مثلا فى الحسن المرمر . الرخام . الآجر مايبنى به ـ القرمد . بفتح القاف ما يطلى به للزينة . وقيل حجارة لها خروق يوقد عليها فتنضج و يبنى بها . وقيل الخزف المطبوخ

(٢) الهضبة . الرابيـة أجأ . جبل القـدم ـ الغليظ الجافى ـ وصف الشيم بالحلاوة وهى خاصة بالعينين ـ وخلق الزمان بالظرف وهو خاص بالنطق

(١) الشـكة . الخصلة . الباسل . الشجاع (٢) قائلة الفرزدق . الضريب

(٣) فأيْقَنْتُ أنّى عند ذلك ثائرٌ ... غداتئذٍ أوهالكٌ فى الهوالكِ (١)

(٤) ومَلْمُومَةٍ سيْفيّةٍ رَبَعيّةٍ ... يَصيحُ الحصافيها صياحَ اللقالقِ (٢)

(٥) وألقى بصحراء الغَبيطِ بَعاعَهُ ... نزولَ اليمانى ذو العِياب المحمَّلِ (٣)

(٦) ليس التعلُّلُ بالآمالِ من أرَبى

ولا القنُوعُ بضَنْكِ العَيْشِ من شِيَمى (٤)

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام سلامته بعد فصاحة مُفرداته ممَّا يُبْهِم معناه ويحول دون المراد منه (٥) — وتتحقّق فصاحته بخُلوّه من ستة عيوب

١ تنافُر الكلمات مُجتمعة ٢ ضعف التأليف ٣ التّعقيد اللفظى •

الشبيه والمثيل . سروات البيت . أعاليه . مندف . مندوف من قولهم ندف القطن ضربه بالمندف (١) الثائر الذى لايبقى على شئ حتى يدرك ثأره

(٢) قائله المتنبى . ملمومة . كتيبة مجتمعة . سيفية . نسبة لسيف الدولة ربعية نسبة الى ربيعة قبيلته . اللقالق . جمع لقلقة وهى صوت اللقلاق (طائراً) أو هى كل صوت فى اضطراب وحركة (٣) قائله امرؤ القيس . الغبيط . الارض المطمئنة وقيل الواسعة المستوية يرتفع طرفاها . البعاع . ثقل السحاب من المطر يقال بع السحاب يبع بعا و بعاعا . اذا ألح بمكان وألقى عليه بعاعه أى ثقله . العياب جمع عيبة وهى مايجعل فيه الثياب . يقال جعل الرجل خير متاعه فى عيبته . والمحمل يروى بكسر الميم على جعل اليمانى رجلا — و بفتحها على جعله جملا — والمعنى أن هذا المطر نزل بهذا المكان ولم يبرح كما نزل الرجل فى ذلك الموضع وضمير ألقى يرجع الى السحاب فيما قبله (٤) القنوع . المسئلة . يقال قنع قنوعا . اذا سأل والمراد القناعة

(٥) المراد بفصاحة الكلام أن يكون واضح المعنى . سهل اللفظ . حسن السبك

٤ التعقيد المعنوى ٥ كثرة التكرار [١] ٦ تتابع الإضافات

الاول « تنافر الكلمات مجتمعة » أن تكون الكلمات ثقيلة من تركيبها مع بعضها على السمع . عَسِرة النطق بها مُجتمعةً على اللسان (وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً) — والتنافر نوعان

— ا — شديد الثقل كالشطر الثانى فى قوله

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ ... وَلَيسَ قُرْبَ قَبرِ حَرْبٍ قَبرُ [٢]

— ب — وخفيف الثقل نحو قول أبى تمَّام

كَرِيمٌ مَتى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى ... مَعِى وَإِذَا مَالُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحدِى [٣]

ولذلك يجب أن تكون كل لفظة من ألفاظه واضحة الدلالة على المقصود منها جارية على القياس الصرفى عذبة سلسلة كما يكون تركيب الكلمات جاريا على القواعد النحوية خاليا من تنافر الكلمات مع بعضها ومن التعقيد — فمرجع الفصاحة سواء فى اللفظة المفردة أو فى الجمل المركبة الى أمرين (مراعاة القواعد والذوق السليم)

١ — (٥و٦) الحق أن هذين العيبين قد احترز عنهما بالتنافر — على أن بعضهم أجازهما لوقوعهما فى القرآن فى قوله تعالى « ونفس وما سوَّاها » الآيات — وفى قوله تعالى « ذكر رحمت ربك عبده زكريا » (٢) حرب بن أمية قتله قائل هذا البيت وهو هاتف من الجن صاح عليه (وقفر) خال من الماء والكلأ ، وقبر اسم ليس مؤخر ، وقرب خبرها مقدم — قيل إن هذا البيت لا يمكن انشاده ثلاث مرات متوالية الا ويغلط المنشد فيه لان نفس اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها يحدثان ثقلا ظاهراً ، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهة ولا ثقيلة . (٣) أى هو كريم اذا مدحته وافقنى الناس على مدحه ويمدحونه معى لاسداء احسانه اليهم كاسدائه الىّ واذا لمته لا يوافقنى أحد على لومه لعدم وجود المقتضى للوم فيه — وآثر لمته على هجوته

الثانى « ضعف التأليف » أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جمهور العلماء — كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف مع أنه يجب الفصل فى نحو هذا — كقول المتنبى

خلت البلادُ من الغزالة ليلَها فأعاضهاكَ الله كى لا تحزنا

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظا ورُتبة وحكما فى غير أبوابه[1] نحو

ولو أنّ مجداً أخلدَ الدهرَ واحداً من الناس أبقى مجدُه الدهرَ مُطعماً[2]

الثالث (التّعقيد اللّفظى) هو كون الكلام خفىّ الدّلالة على المعنى

مع أنه مقابل المدح اشارة الى أنه لا يستحق الهجو ولو فرط منه شئ فانما يلام عليه فقط. والثقل فى قوله « أمدحه » لما بين الحاء والهاء من التنافر للجمع بينهما وهما من حروف الحلق — كما ذكره الصاحب اسماعيل بن عباد

(١) المجموعة فى قول بعضهم

ومرجع الضمير قد تأخرا لفظا ورتبة وهذا حصرا

فى باب نعم وتنازع العمل ومضمر الشأن ورُبّ والبدل

ومبتدا مفسّر بالخبر وباب فاعل بخلف فاخبر

واعلم أن ضعف التأليف ناشئ من العدول عن المشهور الى قول له صحة عند بعض أولى النظر — أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل ورفع المفعول ففاسد غير معتبر، والكلام فى تركيب له صحة واعتبار (٢) فان الضمير فى من (مجده) راجع الى (مطعما) وهو متأخر فى اللفظ كما ترى وفى الرتبة لانه مفعول به، فالبيت غير فصيح، ومطعم أحد رؤساء المشركين وكان يدافع عن النبى ﷺ.

ومعنى البيت أنه لو كان مجد الانسان سببا لخلوده فى هذه الدنيا لكان مطعم ابن عدى أولى الناس بالخلود لانه حاز من المجد مالم يحزه غيره

المراد به بحيث تكون الألفاظ غير مرتّبة على وفق ترتيب المعانى

(وينشأ ذلك الخفاء من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض) [١] وهو مذموم لأنه يُوجب اختلال المعنى واضطرابه - كقول المتنبي

جفخت وهُمْ لا يجفخون بهابهم شيَمٌ على الحسب الأغرّ دلائل [٢]

أصله — جفخت (افتخرت) بهم شِيَمٌ دلائل على الحسَبِ الأغر وهم لا يجفخون بها .

الرابع (التعقيد المعنوى) وهو كون التركيب خفيّ الدّلالة على المعنى المراد [٣] لخلل فى انتقال الذهن من المعنى الأصلى الى المعنى المقصود بسبب إيراد اللّوازم البعيدة المفتقرة الى وسائط كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدّالة على المقصود « بأن يكون فهمُ المعنى الثانى من الأول بعيداً عن الفهم عُرفا [٤] » كما فى قول عبّاس بن الأحْنَفْ

---

(١) وذلك كالفصل باجنبي بين الموصوف والصفة ، و بين البدل والمبدل منه وبين المبتدأ والخبر ، وبين المستثنى والمستثنى منه مما يسبّب ارتباكا واضطرابا شديداً

(٢) فلفظة جفخت مرة الطعم واذا مرت على السمع اقشعر منها : ولو استعمل المتنبي عوضا عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت وحظى فى استعماله بالأحسن

(٣) بحيث يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات فى غير معانيها الحقيقية فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذى يريده فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع نحو : نشر الملك ألسنته فى المدينة ، تريد جواسيسه والصواب نشر عيونه

(٤) فالمناط فى الصعوبة عدم الجريان على ما يتعاطاه أهل الذوق السليم لا كثرة

سأطلبُ بُعْدَ الدّارِ عنكم لتقرُبوا   وتسكبُ عيناىَ الدُّموعَ لِتَجْمُدَا(١)

جعلَ سكبَ الدُّموعِ كناية عمّا يلزم فراق الأحبّة من الحزن والكمد فأحسن وأصابَ فى ذلك ، ولكنّه أخطأ فى جعل جمود العين كنايةً عمّا يوجبه التَّلاَقى من الفرح والسُّرُور بقُرْب أحبته ، وهو خَفىٌّ وبعيدٌ(٢) إذ لم يُعرفْ فى كلام العرب عند الدُّعاء لشخص بالسّرُور أن يقال له جَمُدت عينك ، أولا زالت عينك جامدةً . بل المعروف عندهم أنّ جمود العين إنّما يكْنى به عن عدم البكاء حالة الحزن ، كما فى قول الخنْساء

أعَينىّ جُودا وَلاَ تَجمُدا   ألاَ تبكيانِ لصَخْرِ النَّدى

الوسائط الحسية فانها قد تكثر من غير صعوبة كما فى قولهم : فلان كثير الرماد كناية عن المضياف فان الوسائط كثيرة فيه ولكن لا تعقيد

(١) تسكب بالرفع عطف على أطلب ، وبالنصب عطف على بُعد من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل . والمراد طلب استمرار السكب لا أصله لئلاّ يلزم تحصيل الحاصل

(٢) ووجه الخفاء والبعد : أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند ارادتها منها ، والانتقال منه إلى حصول السرور بعيد ، لأنه يحتاج إلى وسائط بأن ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها حال ارادة البكاء ، ومنه الى انتفاء الدمع مطلقا ، ومنه الى انتفاء الحزن ونحوه « فان ذلك هو السبب غالبا فى الدمع » ومن انتفاء الحزن ونحوه إلى السرور ــ ولا يخفى أن الشاعر قد طوى وحذف جميع هذه الوسائط فأورث بطء الانتقال من المعنى الاصلى الحقيقى الى المعنى المراد ــ وخالف حينئذ أسلوب البلغاء . فنشأ من ذلك التعقيد المعنوى . واعلم أن الشاعر أراد أن يرضى بالبعد والفراق ، ويعوّد نفسه على مقاساة الاحزان والأشواق ، ويتحمّل من أجلها حزنا يفيض

وقول أبى عطاء يرثى ابن هُبيرة

ألا إنَّ عَيْناً لم تَجُد يَوْمَ وَاسِطٍ ... عليكَ بجارِى دمعِها لَجمودُ (١)

وهكذا كل الكنايات التى تستعملها العرب لأغراض ويُغيِّرها المتكلم ويريد بها أغراضاً أخرى تُعتبر خروجاً عن سُنن العرب فى استعمالاتهم ويُعد ذلك تعقيداً فى المعنى حيث لا يكون المراد بها واضحاً

الخامس «كثرة التّكرار» (٢) كون اللّفظ الواحد إسماً كان أو فعلاً أو حرفاً ، وسواء أكان الاسم ظاهراً أو ضميراً ، تعدّد مرّة بعد أخرى بغير فائدة ـ كقوله

إنّى وأسطارٍ سُطِرنَ سَطْراً ... لَقائلٌ يانصرُ نصرُ نصرَا

وكقول المتنبى

أقِلْ أنِلْ أقطعْ احملْ علِّ سلِّ أعِدْ ... زِدْ هَشِّ بَشِّ تفضَّلْ أدنِ سُرَّ صِل

وكقول أبى تمّام فى المديح

كأنَّه فى اجتماع الرُّوح فيه لَهُ ... فى كلِّ جارحةٍ من جسمهِ رُوحُ

السادس «تتابعُ الأضافات» كون الاسم مضافاً إضافةً مُتداخلة غالباً ، كقول ابن بابك

من عينيه الدموع ليتوصّل بذلك الى وصل يدوم ومسرة لا تزول ـ على حد قول الشاعر

ولطالما اخترتُ الفراق مغالطا ... واحتلت فى استثمار غرس ودادى

ورغبت عن ذكر الوصال لأنها ... تبنى الأمور على خلاف مرادى

(١) أى لبخيلة بالدموع (٢) المراد بالكثرة هنا ما فوق الوحدة ـ فذكر الشيء ثانيا تكرار . وذكره ثالثا كثرة ، وإنما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة

حمامةَ جَرعا حَومةِ الجَنْدَلِ اسجَعِي فأنتِ بمَرْأى مِن سُعادَ ومَسْمعِ (١)

تطبيق

بيّن العيوب التى أخلّتْ بفصاحة الكلام فيما يأتى

لك الخيرُ غيرى رَامَ من غيرك الغنى وغيرى بغير اللّاذقيّة لاحقُ
وأزْورَّ مَنْ كانَ له زائرًا وعافَ عافى العُرفِ عِرْفانُه (٢)
أنّى يكونُ أبا البرايا آدمٌ وأبوكَ والثّقلانِ أنتَ محمدُ (٣)
ومن جاهلٍ بى وهُوَ يجهلُ جهلَه ويجهلُ علمى أنه بىَ جاهلُ
وقَلْقَلت بالهمّ الذى قَلْقَلَ الحَشا قَلاقلَ همٍّ كلّهنّ قلاقلُ
وما مِثلهُ فى النّاس إلا مُملَّكاً أبو أمّهِ حىٌّ أبوه يقاربُه (٤)

لا يخل بالفصاحة ـ والا لقبح التوكيد اللفظى (١) ففيه اضافة حمامة الى جرعا وهو تأنيث الاجرع وهو المكان ذو الحجارة السود أو مكان الرمل الذى لا ينبت شيئا « وجرعا » مضاف الى « حومة » وهى معظم الشئ « وحومة » مضاف الى « الجندل » بسكون النون وهو الحجر، والمراد به هنا مكان الحجارة، فهو بمعنى الجندل بفتح النون وكسر الدال ـ وقوله * فأنت بمرأى من سعاد ومسمع * أى أنت بحيث تراك سعاد وتسمع كلامك ـ يقول : اسجعى ياحمامة أرض قفرة سبخة ، فان سعاد تراك وتسمعك

(٢) العيب فى تنافر الكلمات . والمعنى انحرف عنه من كان يزوره وكره طالب الاحسان معرفته (٣) يريد كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان أى الانس والجن ـ يعنى أنه قد جمع مافى الخليقة من الفضل والكمال ـ وقد فصل بين المبتدأ والخبر وهما أبوك محمد ، وقدم الخبر على المبتدأ تقديما قد يدعو الى اللّبس فى قوله « والثقلان وأنت » على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف وهذر

(٤) يريد وما مثله فى الناس حىّ « أحد » يقاربه « يشابهه » الا مملكا ، أبو أمه

إلى ملكٍ ماأمُّهُ من مُحارِبٍ أبوه ولا كانت كُلَيبٌ تصاهِره (١)
ليسَ إلاّكَ يا عليُّ هُمامٌ سَيفُه دُونَ عِرْضِه مسلولُ (٢)
كَسَا حلمهُ ذا الحلمِ أثوابَ سُودَدٍ ورقّى نداهُ ذا النَّدَى فى ذُرا المجد (٣)
من يهتدى فى الفعل مالا يهتدى فى القول حتَّى يفعل الشُّعَراءُ (٤)
جَزَى بنوه أبا الغَيْلان عنْ كِبرٍ وحُسْن فعلٍ كما جُوزى سِنِمَّارُ (٥)
وما من فتى كنّا من النّاس واحداً به نَبتغى منهم عَديلاً نُبادِلُهُ (٦)
لمّا رأى طالبوه مُصعباً ذُعِرُوا وكاد لو ساعدَ المقدورُ ينتَصرُ

نشر الملكُ ألسنتَه فى المدينـة . . مُرِيداً جواسيسَه . أى والصّواب

أبوه ـ فقدَّم المستثنى على المستثنى منه ـ وفصل بين مثل وحى وهما بدل ومبدل منه و بين أبو أمه وأبوه وهمامبتدأ وخبر ـ و بين حى و يقار به وهما نعت ومنعوت ولا يفصل بين كل منهما بأجنبى . والمعنى : وليس مثل ابراهيم فى الناس أحد يشبهه فى الفضائل الا ابن أخته هشام ـ فضمير أمه عائد على المملّك وضمير أبوه عائدعلى ابراهيم الخال

(١) بريد الى ملك أبوه ليست أمه من محارب ـ أى ما أمه منهم (٢) فيه ضعف تأليف حيث وضع الضمير المتصل بعد إلاّ وحقه وضع المنفصل (اياك)

(٣) أى من كان ديدنه الحلم والكرم حاز السيادة والرفعة ـ فالضمير فى حلمه لذا الحلم المذكور بعد ـ فهوالمتأخر لفظا ومعنى وحكما ـ و كذا الضمير فى نداه لذا الندى

(٤) أى يهتدى فى الفعل مالا يهتديه الشعراء فى القول حتى يفعل

(٥) العيب فيه من جهة أن ضمير بنوه عائد على أبا الغيلان وهو متأخر لفظا ورتبة لانه مفعول ورتبته التأخر عن الفاعل : وسنمار رجل رومى بنى قصر الخورنق بظهر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة فلما فرغ منـه ألقاه النعمان من أعلاه نخرّ ميتا لئلاّ يبنى لغيره مثله

(٦) أى وما من فتى من الناس كنّا نبتغى واحداً منهم عديلا نبادله به

« نشر الملك عيونه » (١)

لو كنتَ كنتَ كتمتَ السّر كنت كما كنّا وكنتَ ولكنْ ذاكَ لم يكنِ

ألاَ لَيْتَ شِعْرِى هل يَلومنَّ قومُه زُهيراً على ماجرَّ من كلّ جانب

دانٍ بعيدٍ محبّ مبغض بَهِجٍ أغرّ حُلو مُمِر لَيِّن شَرِس (٢)

* لأنت أَسودُ فى عينى من الظُّلَم (٣) *

وتُسْعِدنى فى غَمْرَةٍ بعدَ غَمْرَةٍ سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ (٤)

وليست خراسانُ التى كان خالدٌ بها أسدٍ اذ كان سيفاً أميرها (٥)

والشَّمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسفةٍ تبكى عليك نُجومَ الليل والقمرا (٦)

أرضٌ لها شَرَفٌ سِواها مثْلها لوكان مِثلك فى سِواها يوجَدُ

والمجدُ لايَرْضى بأنْ ترضى بأن يرْضى المعاشر منك إلاَّ بالرّضا

فى رفع عَرْش الشّرْ ع مثلك يَشرعُ

ومن لم يذُدْ عن حوْضه بِسلاحه يُهَدَّم ومنْ لم يُظْلَم الناس يُظلِمِ (٧)

---

(١) لان الذى يتوصّل به الى الاخبار عادة انما هو العيون لا الألسنة

(٢) فيه توالى الصفات وذلك مما يحدث فى الكلام ثقلا : وهذا مما يؤخذ على المتنبى

(٣) والقياس أشد سواداً لانه لا يبنى أفعل التفضيل من الافعال الدّالة على الالوان

(٤) معنى البيت : وتسعدنى بالفوز بالغنائم والنجاة فى شدّة بعد شدّة فرس سبوح أى حسنة العدو لا تتعب راكبها فكأنها تسبح على الماء . (٥) خالد وأسد علمان والتعقيد فيه نشأ من تقديم أسد الذى هو جزء مما أضيف اليه إذ (٦) أى والشمس ليست بكاسفة نجوم الليل وهى تبكى عليك والقمر يبكى عليك أيضا ففيه تعقيد نشأ من الفصل بين الصفة التى هى كاسفة ومعمولها الذى هو نجوم بجملة «تبكى عليك»

(٧) فيه تعقيد معنوى . حيث كنى بالظلم عن المحافظة على الحقوق وهو بعيد

فأصبحتْ بعد خَطِّ بهجتها كأنَّ قَفراً رسومها قلَما (١)
وما أرْضَى لمُقلته بحلم اذا انتبهتْ توهَّمه ابتِشاكا (٢)

فصاحة المتكلم

فصاحة المُتكلِّم عبارةٌ عن المَلَكة (٣) التي يَقْتَدِر بها صاحبها على التَّعبير عن المقصُودِ بكلام فصيح في أيّ غرضٍ كان

فيكون قادراً بصفة الفصاحة الثّابتة في نفسه على صياغة الكلام مُتمكِّناً من التّصرف في ضروبه . بصيراً بالخوض في جهاته ومناحيه

أسئلة على الفصاحة يطلب اجوبتها

ماهى الفصاحة لغة واصطلاحا ؟ ـ ماالذى يوصف بالفصاحة ثم تخرج الكلمة عن كونها فصيحة .

ماهى فصاحة المفرد ؟ . ـ ماهو تنافر الحروف ، والى كم ينقسم ؟ .

---

(١) أى فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خطّ رسومها (٢) المقلة العين والحلم الرؤيا التى يراها النائم ، وابتشاك الكذب . قال الصاحب لم يسمع الابتشاك فى شعر قديم ولا محدث (٣) أى كيفية وصفة من العلم راسخة وثابتة فى نفس صاحبها يكون قادراً بها على أن يعبّر عن كل ماقصده من أىّ نوع من المعانى كالمدح والذم والرثاء وغير ذلك بكلام فصيح . فاذاً المدار على الاقتدار المذكور سواء وجد التّعبير أو لم يوجد ـ وأنّ من قدر على تأليف كلام فصيح فى نوع واحد من تلك المعانى لم يكن فصيحاً ـ وأنه لا يكون فصيحاً إلا إذا كان ذا صفة من العلم راسخة فيه وهى المسمّاة « بالملكة » يقتدر بها على أن يعبّر عن أىّ معنى قصده بكلام فصيح

ماهى الغرابة وماموجبها؟ ماهى مخالفة القياس؟ ماهى الكراهة فى السمع؟ ماهى فصاحة الكلام وبما تتحقق؟ . ـ ماهو تنافر الكلمات . ؛وما موجبه والى كم يتنوّع، ماهو ضعف التأليف؟ ـ ماهو التعقيد؟ . ـ والى كم ينقسم؟ ماهو كثرة التكرار؟ . ـ ماهو تتابع الاضافات؟ . ـ ماهى فصاحة المتكلم

البلاغة

البلاغة فى اللغة الوُصول والانتهاء ، يقال بلغ فلان مراده ـ اذاوصل اليه ، وبلغ الركب المدينة ـ اذا انتهى اليها (١) ومَبلَغ الشّىء منتهاه

أى خال عن الخلل فى مادته وذلك بعدم تنافر كلماته » وعن الخلل فى تأليفه « وذلك بعدم ضعف تأليفه » وعن الخلل فى دلالته على المعنى التركيبى « وذلك بعدم التعقيد اللفظى والمعنوى » فان كان شاعراً اتّسع أمامه ميدان القول فى جميع فنون الشعر من نسيب وتشبيب ومديح وهجاء ووصف ورثاء وعتاب واعتذار وأشباه ذلك ـ وان كان ناثراً حاك الرسائل المحلّاة والخطب الممتعة الموشاة فى الوعظ والارشاد والحفل والأعياد

(١) البلاغة هى تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة لها فى النفس أثر خلاّب ، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذى يقال فيه والاشخاص الذين يخاطبون والبلاغة مأخوذة من قولهم . بلغت الغاية اذا انتهيت اليها ، وبلغتها غيرى والمبالغة فى الشىء الانتهاء الى غايته ـ فسمّيت البلاغة بلاغة لانها تنهى عن المعنى الى قلب السامع فيفهمه . وسمّيت البلغة بلغة لأنك تتبلّغ بها فتنتهى بك الى ما فوقها ـ وهى البلاغ أيضا . ويقال : الدنيا بلاغ ، لأنها تؤديك إلى الآخرة والبلاغ أيضا التبليغ ـ ومنه : هذا بلاغ للناس ـ أى تبليغ ـ ويقال بلغ الرجل بلاغة اذا صار بليغاً ، كما يقال نبل الرجل نبالة اذا صار نبيلا ـ قال أعرابى : البلاغة التقرب من البعيد ، والتّباعد من الكلفة ، والدّلالة بقليل على كثير ـ وقال عبد الحميد بن

وتقع فى الاصطلاح وصفا للكلام والمتكلم فقط دون الكلمة لعدم السّماع

بلاغة الكلام

ألبلاغة فى الكلام مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب [1] مع فصاحة ألفاظه « مفردها ومركبها »

وحال الخطاب « ويسمى بالمقام » هو الأمر الحامل للمتكلّم على أن

يحيى ـ البلاغة تقرير المعنى فى الافهام من أقرب وجوه الكلام ـ وقال ابن المعتز البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام ـ وقال العتابى ـ البلاغة مدّ الكلام بمعانيه اذا قصر . وحسن التأليف إذا طال ـ وقال عبد الله بن المقفع : البلاغة لمعان تجرى فى وجوه كثيرة ـ فمنها مايكون فى الاشارة . ومنها مايكون فى الحديث ومنها ما يكون فى الاستماع . ومنها ما يكون فى الاحتجاج . ومنها ما يكون شعراً ومنها مايكون ابتداء . ومنها ما يكون جواباً . ومنها ما يكون سجعاً . ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رسائل . فعامة هذه الأبواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى أبلغ ـ والايجاز هو البلاغة . فالسكوت يسمى بلاغا مجازاً وهى فى حالة لاينجع فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج ـ إمّا عند جاهل لايفهم الخطاب ، أو عند وضيع لايرهب الجواب ، أو ظالم سليط يحكم بالهوى ولا يرتدع بكلمة التقوى — واذا كان الكلام يعرى من الخير أو يجلب الشر فالسكوت أولى .

(١) مقتضى الحال هو مايدعو اليه الامر الواقع . أى مايستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص ، ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين ، واعتبار طبقاتهم فى البلاغة وقوتهم فى البيان والمنطق ـ فللسوقة كلام لايصلح غيره فى موضعه والغرض الذى يبنى له ، ولسراة القوم والامراء فن آخر لايسدّ مسده سواه ـ من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت

يُوردَ عبارتَه على صورة مخصوصة

والمُقتَضَى « ويسمّى الاعتبارُ المناسب » هو الصُّورة المخصوصة التى تُورَدُ عليها العبارة

مثلاً ـ المدح ـ حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب

وذكاء المخاطب ـ حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز

فكلٌّ من المدح والذكاء « حال ومقام »

وكلٌّ من الإطناب والإيجاز « مُقتضَى »

وإيراد الكلام على صورة الإطناب [1] أو الإيجاز « مُطابقة

الاعتبارات والمقتضيات . وبقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام فى الحسن والقبح ويرتقى صعداً إلى حيث تنقطع الاطماع ، وتخور القوى ، ويعجز الانس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وتلك مرتبة الأعجاز التى تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة . وقد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل فى أرقى العصور فصاحة ، وأجملها بلاغة . ولكنه سدّ السبل أمام العرب عند ما صاح عليهم صيحة الحق فوجفت قلوبهم وخرست شقاشقهم مع طول التّحدّى وشدّ النكير (وحقّت للكتاب العزيز الكلمة العليا)

(١) فان اختلاف هذه الظروف يقتضى هيئة خصوصية من التعبير ـ ولكل مقام مقال . فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال وهو الأمر الذى يدعوه الى أن يورد كلامه على صورة خاصة تشاكل غرضه وتلك الصورة الخاصة التى يورد عليها تسمى المقتضى ـ أو الاعتبار المناسب ، فمثلا الوعيد والزجر والتهديد مقام يقتضى كون الكلام المورد فيه فخما جزلا . والبشارة بالوعد واستجلاب المودة مقام يتطلبه رقيق الكلام ولطيفه . والوعظ مقام يوجب البسط والاطناب . وكون المخاطب عاميا

للمَقتضَى » وليست البـلاغة[1] إذاً مُنحصرة فى إيجاد معان جليلة ولا فى اختيار ألفاظ واضحة ، بل هى تتناول مع هذين الأمرين أمراً ثالثاً (هو إيجاد أساليب مُناسبة للتأليف بين تلك المعانى والألفاظ مما يكسبها قوة وجمالا)

بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلّم هى مَلَكة فى النَّفس[2] يقتدر صاحبها بها على تأليف

سوقيا أو أميراً شريفا يوجب الاتيان بما يناسب بيانه وعقله .

(١) لان البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنّه فى نفسه كتمكنّه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ـ وانّما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا فى البـلاغة ، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثّة ومعرضه خلقا لم يسم بليغاً وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى

فعناصر البلاغة إذاً لفظ ومعنى ،وتأليف للالفاظ يمنحها قوة وتأثيراً وحسنا ، ثم دقّة فى اختيار الكلمات والاساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنزعة النفسية التى تتملكهم وتسيطر على نفوسهم ـ فربّ كلمة حسنت فى موطن ثم كانت مستكرهة فى غيره ـ ورب كلام كان فى نفسه حسنا خلابا حتى إذا جاء فى غير مكانه وسقط فى غير مسقطه خرج عن حدّ البلاغة وكان غرضا لسهام الناقدين

(٢) أى أن الهيئة والصفة الراسخة الثابتة فى نفس المتكلم يمكنه بواسطتها أن يعبرّ عن المعانى التى يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغة أى مطابقة لحال الخطاب ، فلولم يكن ذا ملكة يقتدر بها على التصّرف فى أغراض الكلام وفنونه بقول رائع ، و بيان بديع بالغاً من مخاطبة كل ما يريد ، لم يكن بليغاً ـ وإذاً لا بدّ للبليغ أولا من التفكير فى المعانى التى تجيش فى نفسه ، وهذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر وذوق تنسيق المعانى وحسن ترتيبها ، فاذا تم له ذلك

كلام بليغ مُطابق لمقتضَى الحال مع فصاحته فى أىّ معنى قَصَدَه

وتلك غاية لن يصل اليها الاّ من أحاط بأساليب العرب خُبراً وعرف سُنن تخاطُبهم فى مُنافراتهم ، ومفاخراتهم ، ومديحهم ، وهجاْئهم ،وشكرهم واعتذارهم ، لِيَلبَس لكلّ حالة لبُوسها « ولكلّ مقام مقال »

تمرين

بيّن الحال ومقتضاه فيما يلى

١ هنَاء محَاذاكَ العزاء المقدّما فما عبس المحزونُ حتى تبسَّما

٢ تقول للرّاضى عن إثارة الحروب (إن الحرب مُتلفةٌ للعباد ذهَّابَةٌ)

عمد إلى الالفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة فألّف بينها تأليفاً يكسبها جمالا وقوة .

فالبلاغة ليست فى اللفظ وحده وليست فى المعنى وحده ولكنها أثر لازم لسلامة تألّف هذين وحسن انسجامهما . وقد علم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لانهامأخوذة فى تعريف البلاغة ـ وأن البلاغة يتوقف حصولها على أمرين ـ الأول : الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المقصود ، والثانى : تمييز الكلام الفصيح من غيره ـ لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلو وتسفل فى الكلام بنسبة ما تراعى فيه مقتضيات الحال وعلى مقدار جودة مايستعمل فيه من الاساليب فى التعبير والصور البيانية والمحسنات البديعية . وأعلى تلك الدرجات مايقرب من حدّ الاعجاز ، وأسفلها ما إذا غيّر الكلام عنه إلى ما هو دون التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم وان كان صحيح الاعراب و بين هذين الطرفين مراتب عديدة .

(١) الحال هنا هو تعجيل المسرة ـ والمقتضى هو تقديم الكلمة الدالة على السرور ـ « وهى كلمة هناء »

(٢) الحال هنا هو إنكار الضرر من الحرب — والمقتضى هو توكيد الكلام

بالطّارف والتّلاد)

٣ يقول الناس إذا رأوا لصاً أوحريقاً (لِصٌ — حريق)

٤ قال تعالى (وإنّا لاَ نَدْرِى أشرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فى الأرض أمْ أرَادَ بِهِم رَبُّهُمْ رَشَدَا)

٥ يقول رائى البرامكة

أُصِبْتُ بسَادةٍ كانوا عيوناً بهم نُسقَى إذا انقطع الغَمَامُ (١)

ملاحظات

١ التنافر يُعرف بالذّوق (٢) السّليم ، والحِسّ الصّادق

---

(٣) الحال هنا هو ضيق المقام — والمقتضى هو الاختصار بحذف المسند اليه والتقدير . هذا لص . هذا حريق

(٤) الحال فى (أشرٌّ أريد) هو عدم نسبة الشر الى الله تعالى . والمقتضى هو حذف الفاعل اذ الاصل . أشر أراده الله بمن فى الارض

والحال فى (أم أراد بهم ربهم رشداً) هو نسبة الخير الى الله تعالى . والمقتضى ابقاء الفاعل من غير حذف

(٥) الحال هنا هو الخوف من الرشيد نا كب البرامكة والمقتضى حذف الفاعل من أصبت (١) الذوق فى اللغة الحاسة يدرك بها طعم المأكل — وفى الاصطلاح قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية ، وتحصل بالمثابرة على الدرس ، وممارسة كلام أئمة الكتاب ، وتكراره على السمع ، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه — وأيضا تحصل بتنزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاق فان ذلك من أقوى أسباب سلامة الذوق

٢ مخالفة القياس تُعرف بعلم الصَّرف

٣ ضعف التّأليف والتّعقيد اللّفظى يُعرفان بعلم النحو

٤ الغرابة تُعرف بكثرة الاّطلاع على كلام العرب ، والإحاطة بالمفردات المأنوسة

٥ التّعقيد المعنوى يُعرف بعلم البيان

٦ الأحوال ومقتضياتها تُعرف بعلم المعانى

٧ خلوّ الكلام من أوجه التّحسين التى تكسوه رِقّة ولَطافةً بَعْدَ رِعَايَةِ مُطابقته تُعرف بعلم البديع

فاذاً وجب على طالب البلاغة معرفةُ اللُّغة والصَّرف والنّحو والمعانى والبيان والبديع ـ مع كونه سليمَ الذّوق كثيرَ الاطّلاع على كلام العرب وصاحبَ خِبرة وافرة بكُتُب الأدب ، ودِرَايةٍ تامّة بعاداتهم وأحوالهم واستظهَارٍ للجيّد الفاخر مِن نثرهم ونظمهم ، وعلم كامل بالنّابغين من شُعراء وخطباء وكتّاب مِمّن لَهم الأثر البيِّن فى اللّغة ، والفضلُ الأكبرُ على اللّسان العربى المبين

واعلم أن الذوق السليم هو العمدة فى معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه لأن الألفاظ أصوات ، فالذى يطرب لصوت البلبل وينفر من صوت البوم والغربان ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة متنافرة الحروف ـ ألا ترى أن كلمتى المزنة والدّيمة (للسحابة الممطرة) كلتاهما سهلة عذبة يسكن اليها السمع ، بخلاف كلمة البعاق التى فى معناهما فانها قبيحة تصكّ الأذن وأمثال ذلك كثير فى مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك ـ وقد سبق شرح ذلك

واعلم أنه يحسن أيضا بطالب البلاغة أن يَعْرِف شيئاً عن الأسلوب الذى هو المعنى المَصُوغُ فى ألفاظ مُؤلّفة على صورة تكون أقربَ لنيل الغرض المقصود من الكلام ، وأفعل فى نفوس سامعيه ، وأنواع الاساليب ثلاثة

(١) **الاسلوب العلمى** : وهو أَهْدَأُ الأساليب ، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكرِ المستقيم ، وأبعدُها عن الخيال الشِّعْرِىّ . لأنه يخاطب العقل ويناجى الفكر ويَشْرَح الحقائق العلمية التى لا تخلو من غموض وخفاء ، وأظْهَرُ ميزات هذا الأسلوبِ الوُضُوح . ولابدّ أن يبدو فيه أثر القوّة والجمال ، وقوّته فى سطوع بيانه ورصانةِ حُجَجه ، وجَمَاله فى سُهُولةِ عبارته ، وسلامةِ الذّوق فى اختيار كلماته ، وحسنِ تقريره المعنى فى الأفهام من أقرب وجوه الكلام

فيجب أن يُعْنَى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصّريحة فى معناها الخالية من الاشتراك ، وأن تُؤَلَّف هذه الألفاظُ فى سُهولة وجلاء ، حتى تكون ثوباً شفّافاً للمعنى المقصود ، وحتى لا تُصْبِح مَثَاراً للظّنون ومجالا للتّوجيه والتّأويل

ويحسن التّنَحّى عن المجاز ومُحَسِّنات البديع فى هذا الأسلوب ، إلاّ مايجئ من ذلك عفواً من غيرأن يَمَسّ أصلا من أصوله أو ميزة من ميزاته أمّا التشبيه الذى يقصد به تقريب الحقائق الى الأفهام وتوضيحها بذكر مماثلها ، فهو فى هذا الأسلوب حسن مقبول

(٢) **الاسلوب الادبى** ـ والجمال أَبرزُ صفاته ، وأظهر مُمَيِّزاته ، ومَنْشَأُ جماله ما فيه من خيال رائع ، وتَصْوِير دقيق ، وتَلَمُّس لوجوه الشّبه البعيدة

بين الأشياء ، وإلباس المعنوىّ ثوبَ المحسوس ، وإظهار المحسوس فى صورة المعنوىّ

هَذَا ـ ومن السَّهْل عليك أن تَعْرِف أن الشّعر والنثر الفَنّىّ هما مَوْطِنا هذا الأسلوب ، ففيهما يَزْدَهِر ، وفيهما يبلغ قُنَّةَ الفَنّ والجمال

(٣) **الأسلوب الخطابى** : هنا تَبْرُزُ قوّة المعانى والألفاظ ، وقوّة الحجّة والبرهان ، وقوة العقل الخصيب ، وهنا يتحدّث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم ، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير فى تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس ، وممّا يزيد فى تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب فى نفوس سامعيه وقوةُ عارضته ، وسطوعُ حُجّته ونَبَرَاتُ صوته ، وحسنُ إلقائه ، ومُحْكَمُ إشاراته

ومن أظهر مُمّيزات هذا الأسلوب التكرارُ ، واستعمال المترادفات وضربُ الأمثال ، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرّنين ، ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التّعبير من إخبار ، إلى استفهام ، الى تعجب ، الى استنكار وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية ، ثم واضحاً قويّاً ، ويظنّ النّاشئون فى صناعة الأدب أنه كلمّا كثر المجاز ، وكثرت التّشبيهات والأخيلة فى هذا الأسلوب زاد حسنه ، وهذا خطأ بيّن ، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثرُ من التكلّف ، ولا يفْسِده شَرٌّ مِنْ تَعَمُّد الصّناعة

علم المعانى

١ علم المعانى (١) أصولٌ وقوَاعِدُ يُعرف بها كيفيّةُ مُطابقة الكلام لِمقتضَى الحال (٢) بحيث يكون وِفقَ الغَرَضِ الذى سِيقَ له .

(١) قال بعض العلماء ـ المعانى المتصورة فى عقول الناس المتصلة بخواطرهم ، خفية بعيدة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه ، ولا مراد شريكه ، ولا المعاون له على أمره . الاّ بالتّعابير التى تقرُّبها من الفهم ، وتجعل الخفى منها ظاهراً والبعيد قريبا فهى تخلص الملتبس ، وتحلّ المنعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقا ، والمجهول معروفا ، والوحشى مألوفا . وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة يكون ظهور المعنى ، والعاقل يكسو المعانى فى قلبه ، ثم يبديها بألفاظ عرائس فى أحسن زينة ، فينال المجد والفخار ، ويلحظ بعين العظمة والاعتبار . والجاهل يستعجل فى اظهار المعانى قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها فيكون بالذم موصوفا . وبالنقص معروفا ويسقط من أعين السامعين ، ولا يدرج فى سلك العارفين واعلم أن الاصل فى اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه ، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كما جاء فى القرآن « وثيابَك فطهر » فان الظاهر من لفظ الثياب هو مايلبس ومن تأوّل ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس . وهذا لابُدّ له من دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ

واعلم أنه يجب صناعة على مُعانى المَعانى أن يرجّح المعانى بحيث يرجّح بين حقيقة ومجاز ـ أو بين حقيقتين أو مجازين .

(٢) الحال هو الأمر الداعى للمتكلم الى إيراد خصوصية فى الكلام ، وتلك الخصوصية هى مقتضى الحال ـ مثلا إن كان بينك وبين مخاطبك عهد بشئ ـ فالعهد

٢ وموضوعه ـ اللَّفظُ العربى ، من حيثُ إفادتُه المَعانى الثَّوانى [١] التى هى الأغراضُ المقصودةُ لِلمُتكلِّم من جعل الكلامِ مُشتملاً على تلك اللّطائف والخُصوصيّات التى بها يُطابقُ مقتضى الحال.

٣ وفائدته ـ ا ـ إعجازُ القرآن الكريم من جهة مَاخصّه الله به من جَودة السّبك وحُسن الوصف وبَراعةِ التّراكيب ولُطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سُهولة التركيب ، وجزالةِ كلماته ، وعُذوبةِ ألفاظه وسلامتها الى غير ذلك من محَاسنه التى أقعدت العربَ عن مُناهضته ، وحارت عقولهُم أمام فصاحته و بلاغته

ـ ب ـ والوقوفُ على أسرار البلاغة والفصاحة فى مَنثور كلام العرب ومنظومه كى تحتذىَ حذوه ، وتنسُجَ على مِنواله ، وتفرقَ بين جيِّد الكلام ورَديئه

حال يقتضى ايراد الكلام معرّفا والتّعريف هو مقتضى الحال . فالحال هو ما بعد لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية كقولك فى الذكر : ذكر لكون ذكره الاصل وفى الحذف : حُذف للاستغناء عنه ـ وهلم جرا

(١) أى والمعانى الاول ما يفهم من اللفظ بحسب التركيب وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتنكير . قال بعض أهل المعانى الكلام الذى يوصف بالبلاغة هو الذى يدل بلفظه على معناه اللغوى أو العرفى أو الشرعى ـ ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذى يريد المتكلم إثباته أونفيه ـ فهناك ألفاظ ومعان أول ـ ومعان ثوان ـ فالمعانى الأول هى مدلولات التراكيب والالفاظ التى تسمّى فى علم النحو أصل المعنى ـ والمعانى الثوانى الاغراض التى يساق لها الكلام ولذا قيل مقتضى الحال هو المعنى الثانى كردّ الانكار ودفع الشك ـ مثلا اذا قلنا إن زيداً قائم ، فالمعنى الأول هو القيام المؤكد ، والمعنى الثانى رد الانكار ودفع

٤ وواضعه ـ الشيخ عبد القاهر الجُرجانِى المُتوفَّى سنة ٤٧١ هـ (١)

٥ واستمداده ـ من الكتاب الشّريف والحديث النّبوى وكلام العرب

واعلم أنّ المعَانىَ جمعُ معنىً ؛ وهو فى اللّغة المقصود، وفى اصطلاح البيانيّين — هو التّعبير باللّفظِ عمّا يتصوّره الذّهن ، أو هو الصّورة الذّهْنيّة من حيثُ تُقصَدُ من اللّفظ.

وهو يَترَكّبُ منْ شيئين . مُسندٍ ـ ويُسمّى محكوماً به » ومُسندٍ اليه ، ويُسمّى « محكوماً عليه »

وأمّا النِّسبة التى بينهما فَتُدْعَى « إسْناداً »

ومازاد على ذلك « غيرَ المُضاف اليه والصلة »

الشك بالتوكيد وهلم جرا ـ والذى يدل على المعانى خمسة أشياء اللفظ والاشارة والكتابة والعُقَد والحال (١) اعلم أنه لمّا احتدم الجدل صدر الدولة العباسية إبّان زهو اللغة وعزّها ، فى بيان وجوه اعجاز القرآن . وتعددت نزعات العلماء فى ذلك

ولما قامت سوق نافقة للمناظرة بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر القديم الذين جنحوا إلى المحافظة على أساليب العرب ورأوا الخير كله فى الوقوف عند أوضاعهم

وبين الأدباء والشعراء أنصار الشعر الحديث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم ، وآمنوا بأن للحضارة التى غذوا بلبانها آثاراً غدوا معها فى حل من كل قديم

ولما شجر الخلاف بين أساطين الأدب فى بيان جيد الكلام ورديئه

دعت هذه البواعث ولفتت أنظار العلماء الى وضع قواعد وضوابط يتحاكم إليها الباحثون ، وتكون دستوراً للناظرين فى آداب العرب (المنثور منها والمنظوم)

ولا نعلم أحداً سبق أبا عبيدة بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ هـ تلميذ الخليل بن أحمد فى تدوين كتاب فى علم البيان يسمى (مجاز القرآن) كما لا نعرف بالضبط أول من ألف

فهو قيدٌ (١).

والأسناد » انضمام كلمةٍ (٢) « المُسند » الى أخرى (٣) « المُسند اليه » على وجهٍ يُفيد الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتا أو نفياً

فى علم المعانى ـ و إنما أُثر فيه نبذعن بعض البلغاء كالجاحظ فى كتابه « اعجاز القرآن » وابن قُتيبة فى كتابه « الشعر والشعراء » ـ والمبرد فى كتابه « الكامل »

ولكن نعلم أن أول من ألف فى البديع « الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسى المتوفى سنة ٢٩٦ هـ »

وما زالت هذه العلوم تسير فى طريق النموّ حتى نزل فى الميدان الامام أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ فشمّر عن ساعد الجد ، ودوّن كتابيه ـ أسرار البلاغة ـ ودلائل الاعجاز ـ وقرن فيهما بين العلم والعمل ، ثم جاء إثرَ عبد القاهر ـ جار الله الزمخشرى ، فكشف فى تفسيره « الكشّاف » عن وجوه اعجاز القرآن ، وأسرار بلاغته ، وأوضح ما فيه من الخصائص والمزايا ، وقد أبان خلالها كثيراً من قواعد هذه الفنون ـ ثم نهض بعده أبو يعقوب يوسف السكّاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فجمع فى القسم الثالث من كتابه « المفتاح » مالا مزيد عليه . وجاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون و يضعون مؤلفاتهم حسب ما تسمح به مناهج التعليم للمتعلمين فى كل قطر من الأقطار حتى غدت أشبه بالمعميات والألغاز

(١) أى وما زاد على ذلك من مفعول وحال وتمييز ونحوها فهو قيد زائد على تكوينها (إلا صلة الموصول والمضاف اليه) وأعلم أن الجمل ليست فى مستوى واحد عند أهل المعانى بل منها جمل رئيسية ، وجمل غير رئيسية . والأولى هى المستقلة التى لم تكن قيداً فى غيرها ، والثانية ما كانت قيداً إعرابياً فى غيرها وليست مستقلة بنفسها

والقيود هى أدوات الشرط والنفى والتوابع والمفاعيل والحال والتمييز وكان وأخواتها وان وأخواتها وظن وأخواتها كما سيأتى

(٢) أى وما يجرى مجراها (٣) أى أو ما يجرى مجراها ـ كما سيأتى

نحو : الله واحدٌ لاشريك له

والمسند هو

١ خبر المبتدأ — نحو « قادرٌ » من قولك — اللهُ قادرٌ

٢ والفعل التام — « نحو حضر » من قولك — حضر الأَمير

٣ واسم الفعل — نحو « هيهاتَ — وَوَىْ — وآمينَ

٤ والمبتدأُ الوصفُ المُستغِنى عن الخبر بمرفوعه — نحو عارف » من قولك — أعارفٌ أخوكَ قدرَ الأنصاف

٥ وأخبار النّواسخ « كان ونظأرها — وإِنّ ونظأرها »

٦ والمفعول الثانى لظنّ وأخواتها

﴿ تنبيه ﴾ الاسناد مطلقا قسمان حقيقة عقلية ، ومجاز عقلى ـ فالحقيقة العقلية هى اسناد الفعل أْو مافى معناه الى ما وضع له عند المتكلم فى الظاهر من حاله نحو : تجرى الأمور بما لاتشتهى البشر . وأنبت الله النبات . والمجاز العقلى (ويسمى اسناداً مجازيا ومجازاً حكمياً . ومجازاً فى الاسناد) هو اسناد الفعل أْو مافى معناه إلى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة الاسناد الى ماهوله نحو ـ تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن ـ وله علاقات شتى ـ فيلائم الفاعل لوقوعه منه نحو سيلٌ مفعم بفتح العين أى مملوء فاسناد مفعم وهومبنى للمفعول الى ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلى ملابسته الفاعلية ـــ ويلائم المفعول به لوقوعه عليه نحو عيشة راضية : فاسناد راضية وهومبنى للفاعل إلى ضمير العيشة وهى مفعول به مجاز عقلى ملابسته المفعولية — ويلائم الزمان والمكان لوقوعه فيهما نحو صام نهاره . وسال الميزاب . ونهار صائم . ونهر جار . ويلائم المصدر نحو جدّ جدّه . ويلائم السبب نحو بنى الامير المدينة ـ وكما يقع المجاز العقلى فى الاسناد يقع فى النسبة الاضافية كمكر الليل . وجرى الأنهار . وشقاق بَيْنِهِمَا

٧ والمفعول الثالث لأرَى وأخواتها

٨ والمصدر النّائب عن فعل الأمر نحو سعياً فى الخير .

وغراب البين (على زعم العرب) وفى النسبة الإيقاعية نحو وأطيعوا أمرى ولا تطيعوا أمر المسرفين ، وأجريت النهر ـ وكما يكون فى الاثبات يكون فى النفى نحو فما ربحت تجارتهم ، وما نام ليلى على معنى خسرت تجارتهم ، وسهر ليلى قصدا إلى اثبات النفى لا نفى الاثبات ـ ويكون أيضاً فى الانشاء كما سبقت الاشارة اليه نحو أصلاتك تأمرك ياهامان ابن لى صرحا ، وليصم نهارك ، وليجد جدك وليت النهر جار وما أشبه ذلك

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيتهما أربعة لانهما اما حقيقتان لغويتان نحو أنبت الربيع البقل ـ أو مجازان لغويان نحو أحيا الارض شباب الزمان ، اذ المراد باحياء الارض تهييج القوى النّامية فيها وإحداث نضارتها بأنواع الرياحين ، والاحياء فى الحقيقة اعطاء الحياة وهى صفة تقتضى الحسّ والحركة وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية ، وهو فى الحقيقة عبارة عن كون الحيوان فى زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أى قوية مشتعلة ـ أو المسند حقيقة لغوية والمسند اليه مجازى لغوى نحو أنبت البقل شباب الزمان ـ أو المسند اليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوى نحو أحيا الأرض الربيع * ووقوع المجاز العقلى فى القرآن كثير نحوما تقدم ونحو واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وينزع عنهما لباسهما ، وأخرجت الارض أثقالها ، فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا

ولا بد له من قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلى لان الفهم لولا القرينة يتبادر الى الحقيقة ـ والقرينة إما لفظية وإما معنوية فاللفظية كقولك هزم الامير الجند وهو فى قصره والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند اليه المذكور معه عقلا بمعنى أنه لوخلى العقل ونفسه عدّ ذلك القيام محالا كقولك محبتك جاءت بى اليك ، لاستحالة قيام المجئ بالمحبة عقلا وكاستحالة ماذكر عادة نحو هزم الامير الجند لاستحالة قيام هزم

والمسند اليه ــ هو

١ الفاعلُ « للفعل التامّ أو شبهه » نحو « فؤاد ــ وأبوه » من قولك حضر فؤادٌ العالمُ أبوه

٢ وأسماء النواسخ ــ نحو « المطرُ » من قولك ــ كان المطر غزيراً

الجند بالامير وحده عادة وان أمكن عقلا وكأن يصدر من الموحِّد نحو

أشاب الصغيرَ وأفنى الـكبيـ ـرَ كرُّ الغداة ومرُّ العشىِّ

فأن صدور ذلك من الموحِّد قرينة معنوية على أن إسناد أشاب وأفنى إلى كر الغداة ومر العشى مجاز ، ثم هذا غير داخل فى الاستحالة إذ قد ذهب اليه كثير من المبطلين ، ولا يجب أن يكون فى المجاز العقلى للفعل فاعل يعرف الاسناد اليه حقيقة بل تارة يكون له فاعل يعرف إسناده اليه حقيقة كما تقدم وتارة لا ــ نحو قوله .

يزيدك وجهه حسنا اذا مازدته نظراً

فإن اسناد الزيادة للوجه مجاز عقلى وليس لها ــ أى الزيادة فاعل يكون الاسناد اليه معروفا حقيقة ، ومثله سرتنى رؤيتك وأقدمنى بلدك حق لى عليك فهذه الامثلة ونحوها من المجاز العقلى الذى لافاعل له يعرف الاسناد إليه حقيقة كما قال الشيخ عبد القاهر ــ وقيل لابد له من فاعل يعرف الاسناد اليه حقيقة ، ومعرفته إما ظاهرة نحو فما ربحت تجارتهم أى فما ربحوا فى تجارتهم وإما خفية كهذه الامثلة والفاعل الله تعالى ، هذا ــ وقد أنكر السكاكى المجاز العقلى ذاهبا إلى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة فى سلك الاستعارة بالكناية فنحو أنبت الربيع البقل يجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقى بواسطة المبالغة فى التشبيه ويجعل نسبة الانبات اليه قرينة الاستعارة ــ وسيأتى مذهبه ان شاء الله تعالى فى فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية

— أو إنّ — نحو : إنّ المطرَ غزيرٌ

٣ والمبتدأ الذى له خبر — « نحو العلم » من قولك العلم نافع

٤ والمفعول الأول لظنّ وأخواتها

٥ والمفعول الثانى لِأرَى وأخواتها

٦ ونائب الفاعل كقوله تعالى (وَوُضِعَ الكتابُ)

ثم إنّ المسند والمسند اليه يتنوّعان الى أربعة أقسام

١ إمّا أن يكونا كلمتين حقيقة ـ كما مُثّل

٢ وإمّا أن يكونا كلمتين حُكما — نحو « لاَ إله إلاّ اللهُ يَنجُو قائلها مِن النّار »

٣ وإمّا أن يكونَ المسند اليه كلمة حكما ، والمسند كلمة حقيقة — نحو « تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيّ خيرٌ مِنْ أنْ ترَاهُ »

٤ وإمّا بالعكس ـ نحو «الأميرُ قرُبَ قُدُومه » (١)

وينحصر علم المعانى فى ثمانية أبواب وخاتمة

﴿ تنبيه ﴾

ذكر بعض المؤلفين مبحث المجاز العقلى والحقيقة العقلية فى أحوال الاسناد من علم المعانى وبعضهم ذكرها فى فن البيان عند تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز ولكل وجهة

(١) فنى الاول يؤوّل — سماعك بالمعيدى خير — وفى الثانى — الأمير قريب قدومه ، وفى نحو لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار — عدم شريك للمولى نجاة من النار

الباب الاول

﴿ فى تقسيم الكلام الى خبر وانشاء ﴾

« وفى هذا الباب ثلاثة مباحث »

المبحث الاول في حقيقة الخبر

أَلخبرُ هو ما يَحتملُ الصِّدْقَ والكذبَ لذاتِهِ (١)

وإن شئت فقل : ألخبرُ هو ما يتحقّق مدلولهُ فى الخارج بدون النّطق به نحو : العلم نافعٌ ، فقد أثبتنْا صفة النّفع للعلم ، وَتلكَ الصّفة ثابتة له (سواء تلفّظتَ بالجملة السابقة أمْ لم تتلفّظ) لأنّ نفعَ العلم أمرٌ حاصلٌ فى الحقيقة والواقع ، وإنما أنت تحكى ما اتّفق عليه النّاس قاطبةً ، وقضتْ به الشّرائعُ وهدتْ اليه العقولُ بدون نظر الى اثبات جديد .

والمراد بصدق الخبر مُطابقته للواقع ونفس الأمر

والمراد بكذبه عدم مطابقته له .

فجملة : العلم نافع ـ ان كانت نِسبتهُ الكلامية (وهى ثبوت النفع للعلم) المفهومة من تلك الجملة مُطابقةً للنسبة الخارجيّة ـ أى مُوافقة لِما فى الخارج

(١) أى بقطع النظر عن خصوص المخبر . أو خصوص الخبر ـ وإنّما ينظر فى احتمال الصدق والكذب الى الكلام نفسه لا إلى قائله : وذلك لتدخل الاخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى . وأخبار رسله . والبديهيات المألوفة ـ نحو السماء فوقنا ـ والنظريات المتعين صدقها كاثبات العلم والقدرة للمولى سبحانه وتعالى ولتدخل الاخبار الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين فى دعوى النبوة .

والواقع « فصدق » وإلاّ « فكذب » نحو « الجهل نافع » فنسبته الكلامية ليست مُطابقة ومُوافقة للنّسبة الخارجيّة [١]

الأغراض التى من أجلها يلقى الخبر

ألأصلُ فى الخبر أن يُلقى لأحد غرضين

(ا) إمّا إفادة المُخاطب الحُكم الذى تَضَمَّنَتْهُ الجملة اذا كان جاهلا له ويُسمَّى ذلك الحكم « فائدة الخبر » نحو « الدِّينُ المُعَامَلَةُ »

(ب) وامّا إفادة المخاطب أنّ المتكلمَ عالمٌ أيضا بالحكم الذى يعلمه المخاطب كما تقولُ لتلميذٍ أخفى عليك نجاحه فى الامتحان ـ وعلمتَه من طريق آخر : أنتَ نجحت فى الامتحان .

ويُسمَّى ذلك الحكم « لازم الفائدة »

وقد يُلقى الخبرُ على خلاف الأصل لأغراض أخرى تُستفادُ من سِياق الكلام : أهمُّها

١ الاسترحامُ والاستعطافُ ، نحو ـ إنى فقيرٌ الى عفو رَبِّى

٢ وتحريكُ الهِمَّة الى مايلزمُ تحصيلهُ ، نحو: ليس سَوَاءً عالمٌ وجهُولُ

٣ وإظْهار الضّعف والخشوع، نحو ـ (ربِّ إنِّى وَهَنَ العظمُ منِّى)

---

(١) فطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتا ونفياً صدق — وعدم المطابقة كذب — فالنسبة التى دل عليها الخبر وفهمت منه تسمى كلامية . والنسبة التى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية — فحينئذ هناك نسبتان نسبة تفهم من الخبر . ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية ـ ونسبة أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى النسبة الخارجية .

٤ واظهار التحسّر والتّحزّن نحو (ربِّ إنّى وضعتها أُنثى)

٥ واظهار الفرح بمقبل ـ والشّماتة بِمُدْبِر ، نحو (جاء الحق وزهق الباطل)

٦ والتّوبيخ ، كقولكَ للعاثر : الشّمس طالعةٌ

٧ التّذكير بما بين المراتب من التّفاوُت ـ نحو ـ لا يَستوى كسلان ونشيط

المبحث الثانى

﴿ فى كيفيّة إلقاء المتكلم الخبر للمُخاطب ﴾

حيث كان الغرضُ من الكلام الإفصاحَ والإظهارَ يجب أن يكونَ المتكلم مع المخاطب كالطّبيب مع المريض يُشخِّص حالتَه ، ويُعطيه مايناسبها فحقّ الكلام أن يكون بقدر الحاجة ، لازائداً عنها ، لئلاّ يكونَ عبثاً ولا ناقصاً عنها ، لئلاّ يُخِلّ بالغرض ، وهو (الإفصاح والبيان) (١)

والملقَى اليه الكلام (وهو المُخاطب) له ثلاث حالات

١ إمّا أن يكونَ خالىَ الذهن من الحُكم ـ وفى هذه الحال لايؤكد له الكلام لعدم الحاجة الى التّوكيد ، نحو أخوك قائم ، وما أبوك حاضر .

(ويُسمّى هذا الضرب من الخبر ابتدائياً)

---

(١) كتب معاوية الى أحد عماله فقال لا ينبغى لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة ، لا نلين جميعا فيمرح الناس فى المعصية ولا نشتدّ جميعا فنحمل الناس على المهالك ، ولكن تكون أنت للشّدة والغلظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة

وكتب أبو العباس السفاح فقال : لأعملنّ اللّين حتى لا ينفع إلا الشدة ولا كرمنّ

٢ وإمّا أن يكونَ مُتردّداً في الحكم طالباً لمعرفته، فيُستحسن تأكيد(١) الكلام الملقَى اليه تقوية للحكم ليتمكنَ من نفسه، ويَطرحَ الخلاف وراء ظهره، نحو: إن الأمير منتصرٌ

(ويسمَى هذا الضرب من الخبر طلبيّاً)

٣ وإمّا أن يكونَ منكراً للحكم الذي يُراد إلقاؤه اليه، مُعتقداً خلافَه فيجب تأكيدُ الكلام له بمؤكدأو مؤكدين. أو أكثرَ على حسب انكاره قوّة وضعفاً

نحو إنّ أخاك قادم – أو إنه لقادم – أو والله إنه لقادم؛ أو لعمري إنّ الحقّ يعلو ولا يُعلى عليه

(ويُسمّى هذا الضربُ من الخبر انكاريّاً)

واعلم أنه كما يكون التأكيد في الإثبات يكون في النفي أيضاً

تنبيهات

الأول: لتوكيد الخبر أدواتٌ كثيرة، وأشهرها إنّ؛ وأنّ؛ ولامُ الابتداء وأحرفُ التّنبيه؛ والقسمُ؛ ونونا التوكيد، والحروف الزّائدة (كتفعّل واستفعل) والتكريرُ؛ وقد؛ وأمّا الشرطية، وإنّما؛ وإسمية الجملة. وضميرُ الفصل؛ وتقديم الفاعل المعنوى – نحو الأمير حضر

الخاصة ما أمنتهم على العامة، ولأغمدنّ سيفي حتى يسلّه الحق، ولأعطينّ حتى لا أرى للعطية موضعا (١) المراد بالتأكيد في هذا الباب تأكيد الحكم،

واعلم أنّ الخطاب بالجملة الاسمية وحدها آكد من الخطاب بالجملة الفعلية – فاذا أريد مجرد الأخبار أتى بالفعلية – وأما إن أريد التأكيد فبالاسمية وحدها – أو بها مع إنّ – أو بهما و باللام أو بالثلاثة والقسم.

الثانى : يُسمَّى إخراجُ الكلام على الأَضرُب الثلاثة السابقة إخراجاً على مُقتضَى ظاهر الحال (١)

وقد تَقتضِي الأحوالُ العُدولَ عن مُقتضَى الظاهر ويُورَدُ الكلامُ على خلافه لاعتباراتٍ يلحظُها المُتكلّم

١ منها تنزيلُ العالِم بفائدة الخبر ، أو لازمها ، أو بهما معاً ـ منزلةَ الجاهل لعدم جَريهِ على مُوجِب علمه . فيُلقَى إليه الخبرُ كما يُلقَى الى الجاهل ، كقولك لِمن يَعلمَ وجوبَ الصّلاة وهو لا يُصلِّي « الصّلاة واجبة » توبيخاً له على عدم عمله بمُقتضى علمه ، وكقولك ، لمن يُؤذى أباه ـ هذا أبوك

٢ ومنها تنزيل خَالى الذّهن منزلة السّائل المُتردّد إذا تقدّم فى الكلام ما يشير إلى حُكم الخبر كقوله تعالى (وما أُبرّئُ نفسى انّ النّفس لأَمّارة بالسُّوء) فدخول إنّ مؤكد لمضمون ما تقدّمه لإشعاره بالتّردّد فيما تضمّنه مدخولها ـ وكقوله تعالى « وَلاَ تُخاطِبْني فى الذين ظَلَمُو إنّهم مُغرَقون »

لَمّا أمر المولى « نوحاً » أوّلاً بصنع الفُلك ، ونهاه ثانيا عن مُخاطبته بالشّفاعة فيهم ، صار مع كونه غيرَ سائل فى مقام السّائل المُتردّد ، (٢)

---

(١) اعلم أن الحال هو الأمر الداعى الى إيراد الكلام مُكيّفا بكيفية مّا سواء أكان ذلك الأمر الداعى ثابتاً فى الواقع : أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كتنزيل المخاطب غير السائل منزلة السائل ـ وظاهر الحال هو الأمر الداعى إلى إيراد الكلام مكيفاً بكيفية مخصوصة . بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعى ثابتاً فى الواقع ـ فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال ، ـ وليس كل كيفية اقتضاها الحال اقتضاها ظاهره .

(٢) أى فصار المقام مظنة للتردد والطلب ـ وان لم يتردد المخاطب ولم يطلب

هل حكَم الله عليهم بالإغراق ؟ ؟ فأُجيبَ بقوله « إنّهم مُغْرَقون »

٣ ومنها تنزيل الخالى منزلة المُنكرِ : اذا ظهر عليه شئ من أمارات الإنكار ، كقول حَجَل بن نَضْلَةَ القَيسِى « مِنْ أولاد عمّ شَقيق »

جاء شَقيقٌ عارضاً رُمحَهُ   إنّ بَنى عمّك فِيهم رِماحُ

(فشقيقٌ) رَجلٌ لاينُكر رماحَ بنى عمّه ، ولكنْ مجيئه على صورة المُعجب بشجاعته واضعاً رُمحه على فخذه بالعرض فى جهة العدُوّ بدون استعداد للقتال ، بمنزلة انكاره أنّ لهم رماحا ، ولن يجدَ منهم مقاوِماً له فأُكِّد له الكلامُ استهزاءً به (وخُوطبَ خِطاب التفاتٍ بعد غَيبةٍ تهكُّما به ، ورمياً له بالنّزق وخُرقِ الرأى)

٤ ومنها تنزيل المتردِّد منزلة الخالى ، كقولك للمتردِّد فى قدوم مسافر مع شهرته (قدم الأمير)

بالفعل وذلك لأنه تكاد نفس الذكى إذا قُدِّم لها ما يشير الى جنس الخبر أن تتردد فى شخص الخبر وتطلبه من حيث إنها تعلم أن الجنس لا يوجد إلا فى فرد من أفراده فيكون ناظراً إليه بخصوصه كأنه متردد فيه كنظر السائل ــ فقوله ولا تخاطبنى يشير إلى جنس الخبر وانه عذاب ــ وقوله إنهم مغرقون ــ يشير إلى خصوص الخبر الذى أشير اليه ضمنا فى قوله ولا تخاطبنى ــ وكقول الشاعر .

ترفّق أيها المولى عليهم   فأن الرفق بالجانى عتاب

فالأصل أن يورد الخبر هنا خاليا من التوكيد لأن المخاطب خالى الذهن من الحكم ولكن لما تقدم فى الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متشوقا لمعرفته فنزّل منزلة السائل المتردد واستحسن القاء الكلام اليه مؤكدا جريا على خلاف مقتضى الظاهر

٥ ومنها تنزيل المتردِّد [1] منزلة المُنـكر ، كقولك للسّائل المُستبعد لحصول الفرج (انّ الفرجَ لقَريبٌ)

٦ وَمنها تنزيل المنـكر منزلة الخالى ، اذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأمّلها لارتدع وزال إِنـكاره ، كقوله تعالى (وإلهكم إلهٌ واحد)

وكقولك لمن يُنْـكر منفعة الطبِّ (الطبُّ نافعٌ)

٧ ومنها تنزيل المُنـكر منزلة المتردد ، كقولك لمن ينـكر شرف الأدب انـكاراً ضعيفاً « انَّ الجاه بالمال انَّما يصحبك ماصحبك المال ، وأمَّا الجاه بالأدب فأنه غير زائل عنك »

الثالث : ظهر لك مما تقـدم أن اخراج الـكلام ينحصر فى اثنى عشر قسما ـ ثلاثة منها فى اخراج الـكلام على مُقتضى الظّاهر ـ وتسعة [2] منها فى إخراجه على خلافه ، ثلاثة من تلك التسعة فى العالِم بفائدة الخبر ، وستة فى غيره ، وإذا ضربت هذه الاثنى عشر فى الاثبات والنّفى صارت أربعة

---

(١) وفائدة التنزيل وجوب زيادة التأكيد قوة وضعفا لأنه نُزّل المتردد منزلة المنكر فيعطى حكمه حينئذ ، وهكذا تفهم فى عكسه وهو تنزيل المنكر منزلة المتردد فى استحسان التوكيد له . واعـلم أنه إذا التبس اخراج الـكلام على خلاف مقتضى الظاهر باخراجه على مقتضى الظاهر يحتاج إلى قرينة تعيّن المقصود أو ترجّحه ـ فان لم توجد قرينة صح حمل الـكلام على كل من الأمرين ـ وذلك كجعل السائل كالخالى وجعل المتردد كالمنكر فان وُجدت قرينة عُمل بها والأصحّ الحـكم بأحدهما .

(٢) اعلم أن هذه التسعة التى أُخرجت على خلاف مقتضى الظاهر كثيرة بالنسبة لنفسها لا بالنسبة الى الصور التى أُخرجت على مقتضاه ـ والاّ فهى كثيرة أيضا

وعشرين صورة

الخامس : قد يُؤكّد الخبر لشرف الحكم وتقويته ، مع أنه ليس فيه تردّد ولا إنكار ، كقولك فى افتتاح كلام (إنّ أفضل ما نطق به اللّسان كذا) (١)

تدريب

بيِّن أغراض الخبر فيما يأتى

١ قومى هُمُو قتلوا أُمَيْمَ أخى فأذا رَمَيْتُ يُصِيبُنى سَهمِى

---

(١) من مزايا اللغة العربيــة دقّة التّصرف فى التّعبير ، واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض ، فمن العيب الفاضح عند ذوى المعرفة بها (الأطناب) اذا لم تــكن هناك حاجة اليــه « والأيجاز والاختصار » حيث تطلب الزيادة ، وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بله العامة ، فقد أشــكل أمرُها عــلى بعض ذوى الفِطنة من نابتــة القرن الثالث إبّانّ عِزّ اللُّغة ونضرة شبابها ، يرشدك الى ذلك ما رواه الثِّقاة من أنّ المتفلسف الكِنْدى ركب الى أبى العباس المبرد وقال له . إنى لأجد فى كلام العرب حشواً ، فقال أبو العباس فى أىِّ موضع وجدت ذلك فقال أجدُ العرب يقولون عبد الله قائم ، ثم يقولون إن عبد الله قائم ، ثم يقولون إن عبدالله لقائم فالالفاظ متــكررة والمعنى واحــد ، فقال أبو العباس بل المعانى مختلفة لاختلاف الالفاظ ، فالاول اخبار عن قيامه ، والثانى جواب عن سؤال سائل ، والثالث جواب عن انــكار منــكر قيامه ، فقــد تــكرّرت الألفاظ لتــكرر المعانى ، فما أحار المتفلسف جوابا .

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الــكلام بمقدار الحاجة . لا أزيد والا كان عبثاً ـ ولا أنقص والا أخل بالغرض وهو الأفصاح والبيان

(١) اظهار الحسرة على موت أخيه بيد من قرابته

١ قد كنتَ عُدَّتىَ التى أسطو بها ويدى اذا اشتدّ الزمان وساعدى

٢ أبا المسك أرجو منك نصراً على العدى وآمل عزاً يخضب البيضَ بالدّم

٣ كفى بجسمى نحولا أننى رجل لولا مخاطبتى إياكَ لم ترنى

٤ وأنت الذى ربّيت ذا الملك مرضما وليسَ له أمٌ سواكَ ولا أب

٥ ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيتُ فى خلفٍ كجلد الأجرب

ان كان لا يرجوك الا محسن فبمَنْ يلوذ ويستجير المُجرم

أدعوك ربى كما أمرت تضرُّعا فأذا رَدَدْتَ يدى فمن ذا يرحم

نَمُوذَج فى بيان أغراض الاخبار

(١) كَانَ مُعَاوِيَةُ (١) رَضِىَ اللهُ عَنْهُ حَسَنَ السِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ يَحلُمُ فِى مَوَاضِعِ الْحِلْمِ ، وَيَشْتَدُّ فِى مَوَاضِعِ الشِّدَّةِ

(٢) لَقَدْ أَدبْتَ بَنِيكَ بِاللِّينِ والرِّفقِ لاَ بِالقَسْوَةِ والعِقَابِ

(٣) توُفِّىَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ

---

(١) اظهار الضعف لكونه أصبح بلا معين

(٢) الاسترحام بطلب المساعدة وشد الأزر

(٣) اظهار الضعف بأن نحوله صيّره الى ما وصف

(٤) افادة المخاطب أن المتكلم عالم بقصته وسابق أعماله . فالغرض لازم الفائدة

(٥) التحسر لفقد ذوى المروءة ، والمصير الى لئام لا خير فيهم

(١) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام

(٢) « إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله فى تهذيب بنيه

(٣) « إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام

(٤) قال أبو فراس الحَمْدَانِيُّ

وَمَكَارِمِي عَدَدُ النجومِ ومَنْزِلِي   مَأْوَى الكِرَامِ ومَنْزِلُ الأَضْيَافِ

(٥) قال أبو الطيب

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ   وَلَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

(٦) وقال أيضاً يرثى أُخْتَ سيفِ الدَّوْلة :

غَدَرْتَ يَامَوتُ كَمْ أَفْنَيتَ مِنْ عَدَدٍ

بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لَجَبٍ (٢)

(٧) قالَ أبو العتاهية يَرْثِى وَلَدَهُ عليًّا :

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي   فَمَا أَغْنَى البُكَاءُ عَلَيْكَ شَيَّا

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ   وَأَنْتَ اليَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

(٨) إنَّ الثمانينَ وبُلِّغْتَهَا   قد أحوجتْ سمعى إلى تَرْجُمانْ

(٩) قال أبو العلاء المعرّى :

وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنْزِلِي   عَلَى أَنَّنِي بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ نَازِلُ

---

(٤) الغرض إظهار الفخر ، فإن أبا فراس إنما يريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله

(٥) « إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام فإن أبا الطيب يريد أن يبيّن لسامعيه ما يراه فى بعض الناس من التقصير فى أعمال الخير

(٦) « إظهار الأسى والحزن

(٧) « إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده

(٨) « إظهار الضعف والعجز

(٩) « الافتخار بالعقل واللّسان

(١٠) قال إبراهيمُ بنُ المهْدِىّ يخاطب المأمون :

أَتيتُ جُرْماً شَنيعاً   وأنْتَ لِلعفْوِ أهْلُ
فإنْ عفَوْتَ فَمَنٌّ   وإنْ قَتَلْتَ فعَدْلُ

تطبيق (١)

أحص المؤكدات فى العبارات التالية ، وبيِّن ضروب الخبر الثلاثة

١ ألاَ فى سبيل المجد ما أنا فاعلٌ   عفَافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ
٢ وإنّ امرءًا قد سار خمسين حِجّة   الى مَنهلٍ من وِرده لَقريبُ
٣ ليس الصّديقُ بمن يعيرك ظاهراً   متبسّماً عن باطن متُجهِّمِ
٤ قال تعالى : لئنْ أنجيْتَنا مِنْ هذِهِ لنكُونَنَّ مِنْ الشّاكِرِينَ
٥ قال تعالى وجَعَلنانوْمَكم سُباتاً وَجَعلنا اللّيْلَ لِباساً وَجعلنا النهارَ مَعَاشاً
٦ أمّا الفِراق فانّه ما أعهدُ   هو تَوءَمِى لو أنّ بيناً يولد
٧ وإنّ الذى بينى وبين بنى أبى   وبين بَنِى عمِّى لَمختلفٌ جِداً

(١٠) الغرض ــ الاسترحام والاستعطاف

ضرب الخبر	المؤكدات	الرقم
طلبى	ألا (أداة استفتاح وتنبيه)	١
إنكارى لزيادة المؤكدات على واحد	إن ــ قد ــ اللام فى لقريب	٢
طلبى	الباء الزائدة فى بمن	٣
إنكارى	لام القسم ــ لام التوكيد ــ نون التوكيد	٤
طلبى	تكرار جعلنا	٥
طلبى لأن كل مؤكد فى جملة وحده	أما ــ إن ــ أن	٦
إنكارى لزيادة المؤكدات على واحد	أن ــ لام الابتداء	٧

٨ إنّا إليكم مُرسلون

(١) وإنّى لصبّار على ما ينوبُنى وَحسبكَ أنّ الله أثنى على الصبر
(٢) وانّى لقوّال لذى البثّ مرحباً وأهلا اذا ماجاء من غير مرصد
وانّى لحلوٌ تَعتريني مَرارةٌ وانّى لَترّاكٌ لِمَا لم أعوّد
(٣) ولقد نصحتك إن قبلتَ نصيحتى والنّصح أغلَى ما يُباع ويُوهب
(٤) إنّ الغنىَّ من الرجال مُكرَّمٌ وتراه يُرجى ما لدَيه ويُرغبُ
(٥) فما الحدَاثة عن حِلْمٍ بمانِعةٍ قد يوجد الحِلم فى الشّبان والشِّيب

---

٨ لما روى القرآن قصة رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فانكروا رسالتهم قال لهم الرسل إنا « إليكم مرسلون » فالقوا اليهم الكلام مؤكداً بمؤكدين ـ فكذبوا فقالوا لهم « إنا إليكم لمرسلون » مؤكدين لهم القول بمؤكد ثالث ـ فجحدوا ـ فقالوا لهم « ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون » فزادوا مؤكداً رابعاً وهو القسم

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١	وانى لصبار	ان ولام الابتداء	إنكارى
٢	وانى لقوال	ان ولام الابتداء	إنكارى
	وانى لحلو	« «	«
	وانى لتراك	« «	«
٣	ولقد نصحتك	القسم . قد	«
	والنصح أغلى		ابتدائى
٤	ان الغنى		طلبى
	وتراه يرجى		ابتدائى
٥	فما الحداثة الخ	الباء الزائدة « بمانعة »	طلبى
	قد يوجد الحلم	قد	طلبى

(٦) إنّ الحياة لثوبٌ سوف نخلعهُ وكل ثوبٍ اذا مارثّ ينخلع

(٧) ثمّ إنّكم بعد ذلك لميتون

تطبيق (٢)

أُذكر أضْرُبَ الخبر وبيِّن المؤكدات فيما يأتى

١ وعاد فى طلَب المترُوك تاركهُ إنّا لنَغْفُلُ والأيام فى الطّلبِ

٢ وجعلنا نَومكم سُباتاً . وجعلنا اللّيْلَ لِباساً . وجعلنا النّهار مَعاشاً

٣ أمَا دون مصر للغنى مُتطلّب بَلى إنّ أسباب الغنى لكثيرُ

٤ فيومٌ لنا ويومٌ علينا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسرّ

٥ إنّ من البيان لَسِحراً وإنّ من الشعر لَحِكْمَةً

٦ قد يُدْرِكُ الشّرفَ الفتَى ورِداؤُه خلِقٌ

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٦	ان الحياة لثوب	ان ولام الابتداء	إنكارى
	وكل ثوب الخ		ابتدائى
٧	غفلتهم عن الموت تعدّ من أمارات الانكار		انكارى
١	وعاد فى طلب المتروك		ابتدائى
	انا لنغفل	ان ولام الابتداء	انكارى
٢	وجعلنا نومكم الخ	تكرير جعل	طلبى
٣	أما دون مصر	حرف التنبيه (أما)	طلبى
	ان أسباب الغنى لكثير	ان ولام الابتداء	انكارى
٤	يوم لنا ويوم علينا	التكرير	طلبى
٥	ان من البيان لسحرا	ان ولام الابتداء	انكارى
	ان من الشعر لحكمة	ان ولام الابتداء	انكارى
٦	قد يدرك	قد	طلبى

المبحث الثالث

﴿ فى تقسيم الخبر الى جملة فعلية وجملة اسمية ﴾

« ١ » ألجملة الفعلية ـ موضوعة لأفادة التَّجدُّد والحدوثِ فى زمن مُعيَّنٍ مع الاختصار (١) نحو

أشرَقتِ الشمسُ وقد ولّى الظّلامُ هاربا

فلايُستفاد من ذلك إلاّ ثبوتُ الاشراق للّشمس، وذهاب الظّلام فى الزّمان الماضى

وقد تُفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجدّدىَّ شيئًا فشيئًا بحسب المقام وبمعونة القرائن لا بحسب الوضع (٢) بشرط أنْ يكونَ الفعلُ مضارعاً . نحو قول المتنبى

تُدبِّر شرقَ الأرضِ والغربَ كفُّه وليسَ لها يوما عن المجد شاغلُ

فقرينة المدح تدلّ على أن تدبير الممالك دَيدنُه وشأنُه المستمرّ الذى لا يَحيد عنه . ويتجدّد آناً فآناً

---

(١) وذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الازمنةالثلاثة بدون احتياج لقرينة بخلاف الاسم فأنه يدلّ على الزمن بقرينة ذكر لفظة الآن أو أمس أو غداً

ولما كان الزمان الذى هو أحد مدلولى الفعل غير قارّ الذّات أى لا تجتمع أجزاؤه فى الوجود كان الفعل مع افادته التقييد بأحد الازمنة الثلاثة مفيداً للتجدّد أيضا .

(٢) وذلك نظير الاستمرار الثبوتى فى الجملة الأسميـة نحو (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) أى لو استمرّ على إطاعتكم وقتا فوقتاً لحصل لكم عنت ومشقة

« ب » والجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شئ لشئ [1] ليس غير - بدون نظر الى تجدّد ولا استمرار - نحو الارض متحركة - فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للارض ، بدون نظر الى تجدُّد ذلك ولا حُدُوثِهِ

وقد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل وتفيد الدّوام والاستمرار بحسب القرائن - كأن يكونَ الحديثُ في مقام المدح ، أو في معرض الذم كقوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظِيمٍ) فسياق الكلام في معرض المدح دالّ على إرادة الاستمرار مع الثّبوت - ومنه قول النّضر بن جُؤْبَة يتمدَّح بالغِنَى والكرم .

لا يألف الدِّرهمُ المضرُوب صُرَّتَنا ... لكن يمرّ عليها « وهو مُنطلقُ »

يُرِيدُ أنّ دراهمه لاثبات لها في الصُرّة ولا بقاء ، فهى دائما تنطلق منها وتمرق مروق السِّهام من قِسِيِّها ، لِتُوزّعَ على المُعوزِينَ وأربابِ الحاجات

واعلم أن الجُملة الاسمية لا تفيد الثّبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن الاّ اذا كان خبرها مفرداً نحو : الوطنُ عزيزٌ ، أو جملة اسمية نحو: الوطن هو سعادتى

أما اذا كان خبرها جملة فعلية فانها تفيد التّجدُّد نحو : الوطن يسعدُ بأبنائه

---

(١) قال الشيخ عبد القاهر : موضوع الاسم على أن يثبت به الشئ للشئ من غير اقتضاء أنه يتجدّد ويحدث شيئا فشيئا : فلا تعرّض في نحو زيد منطلق - لا كثر من إثبات الانطلاق له فعلا - كما في زيد طويل وعمرو قصير أى أن ثبوت الطول والقصر هو بأصل الوضع ، وأما استفادة الدّوام فمن الملازمة في هذين الوصفين ، وحينئذ فالتمثيل للمنفى

أسئلة يطلب أجوبتها

ماهو علم المعانى؟ . ـ ماهو الاسناد؟ . ـ ما هى مواضع المسند والمسند اليه؟ ما المراد بصدق الخبر وكذبه؟: ـ ماالفرق بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية؟ . ـ ما هو الأصل فى إلقاء الخبر؟ . ما هى الأغراض الأخرى التى يلقى إليها الخبر؟ . ـ ماهى أضرب الخبر؟ . ـ ماهى أدوات التوكيد؟ لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر؟ الى كم ينقسم الخبر؟ ـ لأىّ شى وضعت الجملة الاسمية والفعلية؟ هل تفيد الجملة الفعلية والاسمية غير ما وضعتا لأجله؟

تدريب

بيِّن فائدة التّعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية فى الترّاكيب الآتية

١ قال تعالى (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)

٢ نَرُوحُ ونَغدو لحاجاتِنا وحاجة من عاشَ لا تنقضى

٣ وعلى إثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نفسِى حَسَرَاتٍ وذِكْرُهُمْ لى سَقَامُ

الرقم	الجملة	نوعها	ما تفيده	الايضاح
(١)	يمحو الله	مضارعية	الاستمرار التجددى	إذ محو بعض الخلائق وافناؤها واثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد
	وعنده ام الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب اللوح المحفوظ والقرينة الاسناد الى الله
(٢)	نروح . ونغدو	مضارعية	الاستمرار التجددى	القرينة قوله وحاجة من عاش
(٣)	تساقط	مضارعية	الاستمرار التجددى	
	وذكرهم لى سقام	اسمية	الاستمرار والدوام	القرينة حالية وهى الحزن والاسى

٤ يأتى على الناس زمان لا يبالى المرءُ ما أخذ منه ـ أمِنَ الحلال أم من الحرام

٥ أو كلّما وَردتْ عُكاظَ قبيلة بَعَثُوا إلىَّ عَرِيفَهم يتَوسَّم

الباب الثانى

﴿ فى حقيقة الإنشاء وتقسيمه ﴾

ألإنشاء لغـةً الإيجاد ، واصطلاحا مالا يحتمل الصدّق والـكذب لذاته ، (١) نحو اغفر وارحم ، فلا يُنسب الى قائله صِدق أو كذب وإن شئت فقل فى تعريف الانشاء مالا يحصل مضمونه ولا يتحقَّق إلّا اذا تلفّظتَ به ـ فطلبُ الفعل فى « افْعَلْ » وطلب الـكفِّ فى « لاَ تَفْعَلْ » وطلب المحبوب فى « التمنى » وطلب الفهم فى (الاستفهام) وطلب الاقبال فى « النِّداء » كل ذلك ماحصل إلا بنفس الصِّيغ المتُلفَّظ بها

وينقسم الانشاء الى نوعين ، انشاء طلبي ـ وانشاء غير طلبى

الرقم	الجملة	نوعها	ما تفيده	الايضـاح
(٤)	يأتى	مضارعية	التجدد	

(٥) يريد أن كل قبيـلة ترد سوق عـكاظ تبعث عريفها ورئيسها ليتفرّس فى وجوه القوم مرة بعد أخرى ، لعله يهتدى إلى معرفتى ، لتأخذ بثأرها منّي. وتنكل بى لأنى طالما أوقعت بها وأذقتها صنوف المذلة والهوان

وعكاظ سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتنافر ليلا ولتصريف المتاجر نهارا

(١) أى بقطع النظر عما يستلزمه الانشاء فان اغفر يستلزم خبرا وهو أنا طالب المغفرة منك ـ وكذا لا تكسل يستلزم خبرا وهو أنا طالب عدم كسلك ـ لـكن هذا ليس لذاته .

« فالانشاء غير الطَّلبي » مالا يَستدعِى مطلوبا غير حاصل وقت الطَّلب كصيغ المدح والذَّم ، والعقود ، والقسم ، والتَّعجب ، والرجاء ، وكذا رُبَّ ولعلَّ ، وكم الخبرية « ولا دخل لهذا القسم فى علم المعانى »

١ أما المدح والذم فيكونان بنعم وبئس وما جرى مجراهما نحو : حبَّذا ولاحبَّذا ، والأفعال المحوَّلة الى فعُل نحو طاب علىٌّ نفساً ، وخُبث بكرٌ أصلا

٢ وأما العقود فتكون بالماضى كثيراً ، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ وأعتقتُ — وبغيره قليلاً نحو أنا بائع . وعبدى حرٌّ لوجه الله تعالى

٣ وأما القسم فيكون بالواو والباء والتاء وبغيرها نحو لعمرك مافعلت كذا

٤ وأما التَّعجب ـ فيكون بصيغتَيْن ، ما أفعلَه ـ وأَفْعِلْ به

وبغيرهما نحو لله درّه عالما ـ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم

٥ وأما الرجاء فيكون بعسى وحَرى واخلَوْلَقَ نحو عسى الله أن يأتى بالفتح

وأنواع * الانشاء غير الطلبي * كثيرة ولكنها ليست من مباحث علم المعانى ولذا نقتصر فيه على ما ذكرناه ولا نطيل البحث فى هذا القسم الذى أكثره فى الاصل أخبار نقلت الى معنى الانشاء

وإنَّما المبحوث عنه فى علم المعانى هو

« الانشاء الطلبي » وهو الذى يَستدعِى مطلوبا [1] غير حاصل [2] فى

---

(١) اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنيا) و إن كان متوقعا فإما حصول صورة أمر فى الذهن فهو (الاستفهام) و إما حصوله فى الخارج فان كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو (النهى) و إن كان ثبوته فإما بأحد حروف (النداء) فهو النداء ـ و إما بغيرها فهو (الأمر) وبهذا تعلم أن الطلب هنا منحصر فى هذه الامور الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية . (٢) أى لانه لايليق

اعتقاد المتكلّم وقتَ الطلب ـ ويكون بخمسة أشياء ، الأمر ، والنهى والاستفهام ، والتمنى ، والنداء [١] وفى هذا الباب خمسة مباحث

المبحث الاول

﴿ فى الأمر ﴾

أَلأمر — هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء [٢] وله أربع صيغ

طلب الحاصل ، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع اجراؤها على معانيها الحقيقية ، و يتولد من تلك الصيغ ما يناسب المقام كطلب دوام الايمان والتقوى فى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله) ـ وهلم جرا كما سيأتى : (١) ويكون الانشاء الطلبى أيضاً ، بالعرض والتحضيض ، ولـكن لم يتعرّض لهما البيانيون لانهما مولّدان على الأصح من الاستفهام والتمنى ـ فالأول من الهمزة مع لا النافية فى « ألا » والثانى من هل ولو للتمنى مع لا وما الزائدتين فى « هلاً وألاّ » بقلب الهاء همزة وكذا لولا ولو ما ـ واعلم أن الانشاء الطلبى نوعان مايدل على معنى الطلب بلفظه ويكون بالخمسة المذكورة . وما يدل على معنى الطلب بغير لفظه كالدعاء

(٢) بأن يعدّ الآمر نفسه عاليا سواء كان عالياً فى الواقع أولا . ولهذا نسب الى سوء الأدب ان لم يكن عالياً . واشتراط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه الاكثر من الماتريدية ـ والامام الرازى والآمدى من الأشعرية ـ وأبو الحسن من المعتزلة . وذهب الاشعرى إلى أنه لا يشترط هذا ـ و به قال كثير من الشافعية والاشبه أن الصدور من المستعلى يفيد ايجابا فى الأمر وتحريما فى النهى — واعلم أن الامر للطلب مطلقا ـ والفور والتراخى من القرائن ـ ولا يوجبُ الاستمرار والتكرار فى الاصح . وقيل ظاهره الفور كالنداء والاستفهام إلاّ بقرينة وهو ما اختار السكاكى

١ فعل الأمر — كقوله تعالى * يا يَحيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ *

٢ والمضارع المجزوم بلام الأمر كقوله تعالى (لِيُنفِقْ ذو سَعَةٍ من سَعَتِه)

٣ واسم فعل الأمر — نحو صَهْ ، وآمينَ ، ونَزَالِ ، ودَرَاكِ

٤ والمصدر النائب عن فعل الامر — نحو سَعياً فى سبيل الخير

وقد تخرجُ صِيغ الأمر عن معناها الأصلى الى معانٍ أخرى تُستفادُ من سِياق الكلام وقرائن الأحوال

١ كالدّعَاء فى قوله تعالى (رَبِّ أَوْزِعنى أن أشكُرَ نِعمَتَكَ)

٢ والالتماس كقولك لمن يُساويك — أعطِنى القلَمَ أيُّها الأخ

٣ والإرشاد — كقوله تعالى (إذَا تدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسَمًّى فاكْتُبُوهُ ، وليَكْتُبْ بينكم كاتِبٌ بالعَدْل)

٤ والتَّهديد — كقوله تعالى (اعمَلُوا مَاشِئْتُمْ ، انَّهُ بِمَا تَعملُون بَصيرٌ)

٥ والتَّعجيز — كقوله تعالى (فأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)

٦ والإباحة — كقوله تعالى (وكلُوا واشرَبُوا حتَّى يَتبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ منَ الخيطِ الأَسْودِ منَ الفَجْرِ) ونحو: اجلس كما تشاء

٧ والتَّسوية — نحو قوله تعالى (إصبِرُوا أولاَ تَصبِرُوا)

٨ والاكرام — كقوله تعالى (ادْخلُوهَا بِسلاَمٍ آمِنين)

٩ والامتنان نحو قوله تعالى (فَكلُوا ممَّا رَزَقَكُمُ الله)

١٠ والأهانة — كقوله تعالى (كُونُوا حِجَارَةً أوْ حَدِيداً)

واعلم أيضا أن الأمر يكون استعلاء مع الادنى ، ودعاء مع الأعلى ، والتماساً مع النظير

١١ والدّوام كقوله تعالى (إهْدِنَا الصِّرَطَ المسْتَقِيم)

١٢ والتَّمنى كقول امرىء القيس

ألاَ أيُّها اللَّيل الطَّويل ألاَ انْجَلِي   بُصبْحٍ وما الإِصباحُ منك بأمثَلِ

١٣ والاعتبار كقوله تعالى (انظرُوا إلى ثَمرِهِ إذَا أثْمَرَ)

١٤ والإذن ـ كقولك لمن طرق الباب ـ أُدخُل

١٥ والتكوين كقوله تعالى (كُنْ فيَكونُ)

١٦ والتَّخيير ـ نحو تَزَوَّجْ هنداً أو أختَها

١٧ والتّأديب ـ نحو كُلْ ممّا يَليك

١٨ والتّعجُّب ـ كقوله تعالى (أنظر كيف ضَرَبوُا لكَ الأمْثال)

تمرين

بيّن مايُراد من صيغ الأمر فى التّراكيب الآتية

١ خُذِ العفْوَ ، وأْمُرْ بِالعُرْفِ ، وأعرِضْ عَنِ الجاهِلِين

٢ أَسيئِى بنا أوأَحْسنِى لاَ ملُومةٌ   لديْنَا ولاَ مقْليَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

٣ ياليْلُ طُلْ يانَومُ زُلْ   ياصبْحُ قِفْ لاَ تَطْلَعِ

٤ عِشْ مَا بَدَا لكَ سَالِماً   فى ظِلّ شَاهِقَةِ القُصُور

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الامر	الغرض منها
(١)	خذو العفو	الارشاد	(٣)	طل ـ زل	التمنى
(٢)	أسيئى بنا	التسوية	(٤)	عش سالما	الدعاء

٥ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور

٦ ترَفَّقْ أيُّها المولى عليهم فإنَّ الرِّفق بالجانى عتابُ

٧ أرى العنقاء تكبُرُ أن تُصادا فعانِدْ مَنْ تُطيقُ له عِنَادَا

٨ خليلىَّ هُبَّا طالَمَا قد رقدْتُما أجِدْ كُما لا تقضيَانِ كَرَا كُما

٩ أرِينى جَوَاداً ماتَ هزْلا لعلّنى أرَى ماتَرَيْنَ أوْ بخيلاً مُخَلَّدَا

١٠ قال تعالى : قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين

١١ قدرَشّحوكَ لأَمْرٍ إنْ فِطِنْتَ لَهُ فارْبأ بِنَفْسكَ أنْ ترعَى مَعَ الهَمَل

١٢ رَبِّ اشْرَحْ لى صَدْرِى ويَسِّرْ لى أمْرِى

١٣ ليسَ هذَا بعشّك فادْرُجى

١٤ اعملْ لدُنْيَاكَ كأنكَ تعيشُ أبداً .واعمل لآخرَتك كأنكَ تموتُ غداً

١٥ فمَنْ شاءَفليبخَلْ ومن شاء فليجُدْ كفَانى ندَاكُم عنْ جميع المطالب

يَاربّ لا تَسلبنى حبّها أبداً ويرحمُ الله عبداً قال آمينا

١٦ أُولئك آبائى فجئْنى بمثلهم إذا جمعتنا ياجرير المجامعُ

أرُونى بخيلا طال عُمراً ببُخلِهِ وهاتوا كريماً ماتمن كثرة البذل

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
(٥)	أسروا قولكم	التسوية	(١١)	فاربأ بنفسك	الارشاد
(٦)	ترفق	الدعاء	(١٢)	اشرح لى صدرى	الدعاء
(٧)	عاند	الاهانة	(١٣)	أدرجى	الاهانة
(٨)	هبّا	الالتماس	(١٤)	اعمل لدنياك	الارشاد
(٩)	أرينى جودا	التعجيز	(١٥)	فليبخل	التخيير
(١٠)	هاتوا برهانكم	»	(١٦)	جئنى	التعجير

نموذج

بيّنْ نوعَ الانشاء وصيغته في الأمثلة الآتية

(١) يَأَيُّهَا المُتَحلّى غيرَ شيمتِهِ ... وَمنْ شَمَائله التَّبْدِيلُ والملَقُ
إرْجعْ إلَى خلُقكَ المعْرُوفِ دَيْدَنُه ... إنّ التخلّق يَأْتى دُونَهُ الخُلُقُ
(٢) يَاابنتي إنْ أرَدْتِ آيَةَ حُسنٍ ... وَجَمَالاً يَزِينُ جِسماً وعقْلاً
فانبذِي عَادَةَ التَّبرُّج نبذاً ... فَجَمَالُ النفُوسِ أَسْمَى وَأَعْلَى
يَصنَعُ الصَّانعُونَ وَرْداً وَلَكنْ ... وَرْدَةَ الرَّوْضِ لاَ تُضَارَعُ شَكلاَ
(٣) يَا لَيْتَ مَنْ يمْنَعُ المعْرُوفَ يَمْنَعُهُ ... حتّى يَذُوقَ رِجَالٌ غِبَّ ماصنَعُوا
(٤) لَعَمركَ مَا بالعَقْلِ يُكتَسَبُ الغِنى ... وَلاَ باكْتِسَابِ المَالِ يُكتَسبُ العَقلُ

أسئلة على الانشاء والامر يطلب اجوبتها

ماهو الانشاء لغة واصطلاحا؟ . ـ الى كم ينقسم الانشاء؟ . ـ ماهو الانشاء الغير الطلبي — كم أقسام الأنشاء الطلبي ؟ — ما هو الامر ؟ — كم صيغة للامر ؟ — ماهي المعاني التي تخرج اليها صيغ الامر عن أصل معناها

رقم المثال	صيغة الانشاء	نوعه	طريقته
١	يأيها المتحلى غير شيمته الخ	طلبي	النداء
	ارجع الى خلقك المعروف	طلبي	الأمر
٢	يا ابنتى ان أردت آية حسن	»	النداء
	فانبذى عادة التبرج	»	الأمر
٣	ياليت من يمنع المعروف	»	التمنى
٤	لعمرك مابالعقل يكتسب الغنى	غير طلبي	القسم

المبحث الثانى

﴿ فى النّهى ﴾

ألنَّهى ـ هو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء [(١)]

وله صيغةٌ واحدةٌ وهى المضارع مع لا الناهية كقوله تعالى (ولا تُفسِدُوا فى الأرْض بعد إصلاَحِهَا)

وقد تخرج هذه الصِّيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخر تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال

١ كالدُّعاء ـ نحو قوله تعالى (ربنّا لا تُؤاخِذْنا إن نَسينا أو أخْطأنا)

٢ والالتماس ـ كقولك لمنْ يُساويك ـ أيُّها الأخ لا تتَوَانَ

٣ والإرشاد ـ كقوله تعالى (لا تَسألوا عَنْ أشْياء إن تُبْدَلَكم تَسُؤْكم)

٤ والدّوام ـ كقوله تعالى (ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعْمَلُ الظّالمونَ)

٥ وبيان العاقبة ـ نحو قوله تعالى (ولا تحسبنّ الذينَ قُتِلُوا فى سبيلِ الله أمواتاً بل أحياء)

٦ والتّيئيس ـ نحو قوله تعالى (لاتَعتذِرُوا قَدْ كَفرْتُمْ بَعْدَ إيمانكُمْ)

٧ والتّمنّى ـ نحو ياليلة الأُنسِ لا تنقضِى — وقوله

يا ليلُ طُلْ يانومُ زُل   ياصبحِ قِفْ لاَ تَطلُع

٨ والتّهديد ـ كقولك لخادمك ـ لا تُطِع أمرى

---

(١) اعلم أن النهى حقيقة فى التحريم : كما عليه الجمهور ـ فمتى وردت صيغة النهى أفادت الحظر والتحريم على الفور

واعلم أن النهى كالأمر فيكون استعلاء مع الادنى ، ودعاء مع الأعلى ، والتماسا مع النظير

٩ والكراهة ـ نحو لاتَلْتَفِتْ وأَنْتَ فى الصّلاةِ

١٠ والتّوبيخ ـ نحو لاتَنْهَ عن خُلُقٍ وتأْتىَ مثله

١١ والائتناس ـ نحو (لاتَحْزَنْ إنّ اللّهَ معنَا)

١٢ والتّحقير ـ كقوله

لاتطلُبِ المجدَ إنّ المجْدَ سُلّمُه . صعبٌ وعِشْ مُستريحًا ناعمَ البَال

تطبيق

أُذكر مايُراد من صِيَغ النّهى الآتية

١ ولاَ تَلبِسُوا الحقّ بِالْبَاطِلِ وتَكْتُمُوا الحقّ وأَنْتُمْ تَعلمُون

٢ فلا تَلْز منّ النّاس غير طباعهم فتتعبُ من طول العتاب ويتعبوا

ولا تغترِرْ منهم بحسن بشاشة فأكثرُ إِيماض البوارق خُلّبُ

٣ فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذَا إرْبَةٍ حَرْبَ أَخِى التّجْرِبَةِ العَاقِلِ

٤ لاَ تَعْتَذِرُوا اليَومَ

٥ لا تحسَبِ المجدَ تمراً أنْتَ آكلهُ لَنْ تَبْلُغَ المجدَ حتّى تلعقَ الصبرا

٦ لا تَحتَجِبْ عن العيُون أيُّها القَمَرُ

٧ لاَ تَمرِضَنَّ لجعفرٍ مُتَشبهًا بِنَدَى يَدَيْهِ فَلَسْتَ منْ أَنْدَادِه

الغرض	الغرض
(١) التوبيخ لهم على خلطهم الحق بالباطل	(٥) التوبيخ والتعنيف
(٢) الارشاد الى حسن الخلق	(٦) التمنى
(٣) الارشاد والنصح	(٧) التوبيخ والتأنيب
(٤) التوبيخ والتقريع	

٨ لا تيأسوا أنْ تستردُّوا مجدكم فلرُبَّ مَغلوبٍ هوَى ثمَّ ارتقى
ولا تجلس الى أهل الدّنايا فانّ خلائق السُّفهاء تُعدِي

المبحث الثالث

﴿ فى الاستفهام ﴾

ألإستفهام هو طَلب العِلم بشيء لم يكن معلوماً مِن قبلُ
وذلك بأداة من إحدى أدواته ـ وهى
الهمزة . وهل . وما . ومن . ومتى . وأيّان . وكيف . وأين . وأنَّى . وكم . وأيّ
وتنقسم بحسب الطَّلب إلى ثلاثة أقسام
(ا) ما يُطلَب به التَّصور تارة والتَّصديق تارة أخرى وهو ـ الهمزة
(ب) وما يُطلَب به التَّصديق فقط وهو ـ هل
(ج) وما يُطلَب به التَّصور فقط وهو بقيّة ألفاظ الاستفهام

١ ـ الهمزة

يُطلَب بالهمزة أحد أمرين: تَصوُّرٌ . أو تصديقٌ
ـ ا ـ فالتَّصوُّر هو إدراك المفرد [1] نحو أعليٌّ مسافرٌ أم سعيدٌ

---

(٨) الارشاد والنصح

(١) أى ادراك عدم وقوع النسبة وذلك كادراك الموضوع وحده ـ أو المحمول وحده ـ أو هما معاً ـ أو ذات النسبة التى هى مورد الايجاب والسلب
فالاستفهام عن التصور يكون عند التردد فى تعيين أحد الشيئين
والاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردّد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها

تعتقد أنّ السّفر حصل من أحدهما ولـكن تطلُب تعيينَه

ولذا يُجاب بالتّعيين ، فيقال سعيد مثلاً

وحكم الهمزة التى لِطَلَب التَصور ، أن يليهَا المسئول عنه بها ، سواء أكان

١ مُسنداً اليه ـ نحو : أأنتَ فعلتَ هذا أم يوسفُ

٢ أم مُسنداً ـ نحو : أراغِبٌ أنت عن الأمر أم راغبٌ فيه

٣ أم مفعولا ـ نحو : إياىَ تقصد أم سعيداً

٤ أم حالا ـ نحو : أراكباً حضرتَ أم ماشياً

٥ أم ظرفا ـ نحو : أيومَ الخميس قدمتَ أم يوم الجمعة

ويُذكر غالباً مع همزة التّصور مُعادل مع لفظة « أم » وتُسمّى مُتّصلة كالأمثلة السابقة

ويجوز حَذْفُ هذا المُعادل

نحو : أخليلٌ حضر ـ ونحو : أيومَ الخميس سافرتَ — وهلُمّ جرًّا

ـ ب ـ والتّصديق « هو ادراك وُقوع نِسبة تامّة بين شيئين أَو عدَمِ وُقوعها » (١)

ويكثر التّصديق فى الجمل الفعليّة ـ كقولك أحضر الأمير (٢) تستفهم

وحينئذ للهمزة استعمالان ـ فتارة يطلب بها معرفة مفرد ، وتارة يطلب بها معرفة نسبة ، وتسمى معرفة المفرد تصوراً ، ومعرفة النسبة تصديقاً

(١) أى ادراك موافقتها لما فى الواقع أو عدم موافقتها له ـ واعلم أن ادراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها كما يسمى تصديقا يسمى حكما ، وإسناداً ، وإيقاعاً ، وانتزاعا أو إيجابا وسلباً (٢) أى فقد تصورت الحضور والأمير والنسبة بينهما ـ وسألت عن

عن ثبوت النسبة ونفيها ـ وفى هذه الحالة يجاب بلفظة : نعم ـ أو ـ لا

ويَقِلّ التّصديق فى الجمل الأسميَّة ـ نحو أعليٌّ مسافر

ويمتنع أن يُذْكر مع همزة التّصديق معادل كما مُثّل

فإن جاءت «أم» بعدها قدّرتْ مُنقطعةً[1] وتكون بمعنى (بل) كقوله

ولستُ أُبالى بعدَ فقدىَ مالكا أموتِيَ ناءٍ أم هُو الآن واقعُ

٢ ـ هل

يُطلب بها التّصديق فقط « أى معرفة وقوع النّسبة . أو عدم وقوعها لا غير » نحو هل جاء الامير — والجواب نعم — أولا

ولأجل اختصاصها بطلب التّصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة ـ فلذا

«١» امتنع ـ هل سعد قام أم سعيد: لأنّ وقوع المفرد وهو سعيد بعد «أم» الواقعة فى حيّز الاستفهام دليل على أن أم متصلة ، وهى لطلب تعيين أحد الأمرين — ولا بدّ حينئذ أن يُعلَم بها أوّلاً أصل الحكم

(وهل) لا يناسبها ذلك ـ لأنها لطلب الحكم فقط ، فالحكم فيها غير

وقوع النسبة بينهما ؛ هل هو محقق خارجا أولا ـ فاذا قيل حضر . حصل التصديق وكذا يقال فيا بعده . فالمسئول عنه فى التصديق نسبة يتردّد الذهن فى ثبوتها ونفيها كما سبق توضيحه

(١) أى ولا بد من وقوع الجملة بعد أم المنقطعة . فان وقع بعدها مفرد قُدّر بجملة نحو أحضر الأمير أم جيشه ـ أى بل حضر جيشه

وتلخص مما تقدم أن همزة التّصور إن جاء بعدها « أمْ » تكون متصلة وإنّ همزة التصديق أو هل إن جاء بعدها «أم» قُدّرت منقطعة وتكون بمعنى بل

معلوم ، وإلاّ لم يُستفهم عنه بها ، وحينئذ يُؤَدّى الجمع بين (هل وأم) إلى التّناقض ، لِأنّ (هل) تفيد أن السّائل جاهلُ بالحكم لأنها لطلبه

« وأم » المتّصلة تفيدأنّ السّائل عالم به ، وإنما يَطلب تعيين أحد الأمرين ـ فإن جاءت أمْ كذلك كانت مُنقطعة بمعنى بَل التى تفيدالإضراب نحو : هَلْ جاء صديقك أم عدّوك

« ب » وقَبُحَ استعمالُ « هل » فى تَركيبٍ هو مَظنّة للعلم بحصول أصْل النّسبة وهو ما يتقدّمُ فيه المعمولُ على الفعل ، نحو هل خليلا أكرمتَ فتقديم المعمولِ على الفعلِ يَقتضى غالبا حصولَ العلمِ للمتكلّم ، وتكون هَلْ لطلب حصول الحاصلِ وهو عبثٌ

تنبيهات

الأوّل ـ هَلْ ـ كالسين وسوف تُخلّص المضارع للاستقبال ، فلا يُقال هَلْ تصدُق ؟ جواباً لمن قال أحبُّك الآن ، بَلْ تقول له ، أتصدق ؟ ولأجل اختصاصها بالتّصديق وتخليصها المضارعَ للاستقبال قوِىَ اتصالُها بالفعل لفظا أو تقديراً نحو هل يجئ علىٌّ — أو هَلْ علىٌّ يجئ ؟

فإن عُدِل عن الفعلِ الى الاسم لإبراز ما يحصل فى صورة الحاصل دلالةً على كمال العناية بحصوله كانَ هذا العدُول أبلغَ فى إفادة المقصود كقوله تعالى « فَهَلْ أَنْتمْ شاكِرُون » فهذا الترّكيب أدلُّ على طلَبِ الشُّكر من قولك ، هَل تشكرون — وذلك لأن الفعْل لازمٌ بعد هَلْ والعُدول عنه يَدلّ على قوّة الدّاعى لذلك لِمَا ذُكر

الثانى — هَل نوعان : بسيطة — ومركبة

(ا) فالبسيطة — هى التى يُستفهمُ بها عن وجود شئ فى نفسه ، أو عدم وجوده ، نحو هل العنقاء[1] موجودة ـ هَلِ الخِلُّ الوفىّ موجود

(ب) والمركبة — هى التى يُستفهم بها عن وجود شئ لشئ ، أوعدم وجوده له ـ نحو هل المرِّيخ مسكونٌ ؟ ـ هل النَّبات حَسَّاس ؟

الثالث (هل) لا تدخل على

١	المنفى [2]	فلا يقال	هل لم يفهم علىّ
٢	ولا على المضارع الذى هو للحال	« «	هل تحتقر علياً وهو شجاع
٣	ولا على إنَّ	« «	هل انّ الأمير مسافر
٤	ولا على الشرط	« «	هل إذا زرتُك تكرمنى
٥	ولا على حرف العطف	« «	هل فيتقدَّم أو هل ثم يتقدم[3]
٦	ولا على اسم بعده فعل	« «	هل بَشراً مِنّا واحداً نتّبِعُهُ

بخلاف الهمزة فإنها تدخل على جميع ما ذكر

---

(١) حكى الزمخشرى فى ربيع الأبرار أن العنقاء كانت طائراً وكان فيها من كل شئ من الألوان وكانت فى زمن أصحاب الرس تأتى إلى أطفالهم وصغارهم فتخطفهم وتغرب بهم نحو الجبل فتأكلهم فشكوا ذلك إلى نبيهم صالح عليه السلام فدعا الله عليها فأهلكها وقطع عقبها ونسلها فسميت عنقاء مغرب لذلك

(٢) أى لأنّ هل فى الأصل بمعنى قد، وهى لا تدخل على المنفى ، فلا يقال قد لا يقوم خليل ـ فحينئذ هى مخصوصة بدخولها على النِّسب المثبتة ، سواء أكانت جملا فعلية أو اسمية ـ واعلم أن عدم دخولها على المنفى لا ينافى أنها لطلب التصديق مطلقا سواء فى الايجابى والسلبى (٣) أى لا تقع هل قبل الحرف العاطف بل تقع بعده دائما

الرابع بقيّة أدوات الاستفهام موضوعة للتصوُّر فقط ـ وهيَ مَا ، ومَن ومَتى ، وأيّان ، وكيفَ ، وأينَ ، وأنّى ، وكَمْ ، وأيّ ولهذا يكون الجوابُ معها بتعيين المسئول عنه

ما ـ ومن

ما ـ موضوعة للاستفهام عن غير العقلاء ـ ويُطْلَبُ بها

(ا) إيضاح الاسم : نحو ما العَسْجدُ ؟ . فيقال فى الجواب إنه ذهبٌ

(ب) أو يُطلبُ بها بيان حقيقة المُسمَّى : نحو : ما الشمس ؟ فيُجاب بأنه كوكبٌ نهاريٌّ

(ج) أو يُطْلَبُ بها بيان الصّفة نحو : ما خليلٌ ؟ ـ وجوابه طويل أو قصير : مثلا

وتقع هل البسيطة فى التّرتيب العقلى (١) بين « ما » التى لشرح الاسم والتى للحقيقة ، فمَن يجهل معنى البشر مثلا يَسأل أوّلاً « بما » عن شرحه فيُجاب بإنسان ، ثم « بهل » البسيطة عن وجوده ، فيُجاب بنعم ثم « بما » عن حقيقته ، فيُجاب بحيوان ناطق .

ومَن ـ موضوعة للاستفهام ـ ويُطلب بها تعيين العقلاء ـ كقولك مَنْ فتحَ مصرَ ؟ ـ ونحو : مَنْ شيَّدَ الهرم الأكبر ؟ ـ ومَنْ شيَّدَ القناطِرَ الخيريّة .

---

(١) الترتيب العقلى هو أن يكون المتأخر متوقفاً على المتقدم من غير أن يكون المتقدم علة له ـ كتقدم المفرد على المركب

متى - وأيان

متى - موضوعة للاستفهام ، ويُطلب بها تعيين الزّمان سواء أكان ماضياً أو مستقبلا - نحو متى تولَّى الخلافةَ عُمَرُ ؟ ومتى نحظى بالاستقلال

وأيّان موضوعة للاستفهام ، ويُطلب بها تَعيين الزّمان المُستقبل خاصّةً وتكون فى موضع التّهويل والتّفخيم دون غيره كقوله تعالى (يَسْأَلُ أيّانَ يومُ القيامَةِ (١)) .

كيف وأين وانى وكم وأى

كيف موضوعة - للاستفهام - ويُطلبُ بها تعيينُ الحال كقوله تعالى (فَكَيف إذَا جِئْنَا مِنْ كلِّ أُمّةٍ بِشَهِيدٍ » - وكقوله

وكيف أخافُ الفقرَ أوأُحرَمُ الغِنَى ورأىُ أميرِ المُؤمِنِينَ جميلُ

وأين للاستفهام - ويُطلب بها تعيين المكان نحو - أَيْنَ شُرَكاؤُكم

وأنّى للاستفهام - وتأتى لمعان كثيرة

١ — فتكون بمعنى كيف - كقوله تعالى (أنى يُحيِي هذه اللهُ بَعْدَ موْتِها)

٢ — وتكون بمعنى مِنْ أين - كقوله تعالى (يامَرْيَمُ أنّى لكِ هذَا)

٣ — وتكون بمعنى متى - كقولك - زُرنى أنّى شئتَ

وكم للاستفهام - ويُطلب بها تعيين عددٍ مُبهمٍ كقوله تعالى (كم لبِثْتُمْ)

---

(٢) أى فقد استعملت أيان مع يوم القيامة للتهويل والتفخيم بشأنه - وجواب هذا السؤال (يومهم على النار يفتنون)

وأيّ للاستفهام ـ ويُطلب بها تمييزُ أحد المُتشاركين في أمرٍ يَعُمُّهما كقوله تعالى (أيُّ الفريقينِ خيرٌ مقَاما) ويُسأل بها عن الزمان والمكان والحال ، والعدد ، والعاقل ، وغيره ـ على حسب ما تضاف اليه

وقد تخرُج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي ـ فيُستفهم بها عن الشيء مع العلم به ـ لأغراض أخرى تُفهَم من سِياق الكلام ودلالته ومن أهمّ ذلك

١ الأمر ـ كقوله تعالى (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُون) أي انتهوا

٢ والنّهي ـ كقوله تعالى (أَتَخْشَوْنَهُمْ (١) فاللهُ أحقُّ أنْ تَخْشَوْهُ)

٣ والتّسوية كقوله تعالى (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُون)

٤ والنّفي — كقوله تعالى (هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إلاّ الإحْسَان) (٢)

٥ والإنكار (٣) كقوله تعالى (أغيرَ اللهِ تَدْعُون)

٦ والتّشويق ـ كقوله تعالى (هَلْ أَدُلُّكم على تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم)

---

(١) أي لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه (٢) أي ماجزاء الاحسان إلا الاحسان

(٣) اعلم أن الانكار إذا وقع في الاثبات يجعله نفيا ـ كقوله تعالى أفي الله شك ؟ أي لا شك فيه . واذا وقع في النفي يجعله اثباتا نحو قوله تعالى ألم يجدك يتيما ـ أي قد وجدناك . وبيان ذلك أن انكار الاثبات والنفي نفي لهما . ونفي الاثبات نفي ـ ونفي النفي اثبات • ثم الانكار قد يكون للتكذيب نحو أيحسب الانسان أن يترك سدى ـ وقد يكون للتوبيخ واللوم على ما وقع نحو أتعبدون ما تنحتون وهذه الآية من كلام ابراهيم عليه السلام لقومه حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة

٧ والاستئناس ـ كقوله تعالى (وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يامُوسَى)

٨ والتّقرير [١] ـ كقوله تعالى (أَلَمْ نَشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ)

٩ والتّهويل ـ كقوله تعالى (الْحَاقَّةُ ما الْحَاقَّةُ وَما أَدْرَاكَ ما الْحَاقَّةُ)

١٠ والاستبعاد — كقوله تعالى (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وقَدْ جاءَهُمْ رسولٌ مبين) ونحو: أنّى يكون لى مالُ قارونَ

١١ والتّعظيم — كقوله تعالى (مَنْ ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بِإِذْنِهِ)

١٢ والتحقير ـ نحو: أهذا الذى مدحته كثيراً

١٣ والتّعجُّب — كقوله تعالى (مالِهَذَا الرَّسول يأْكُل الطَّعامَ ويمشى فى الأَسْوَاق) ـ ونحو ما بَالك تضيّع الوقت سُدًى

١٤ والتهكُّم — نحو: أعقلك يُسوِّغُ لك أن تفعل كذا

١٥ والوعيد — نحو: (ألم تر كيفَ فعل ربّك بعادٍ)

١٦ والاستبطاء — كقوله تعالى (مَتَى نَصْرُ اللهِ) ونحو: كم دعوتك

١٧ والتّنبيه على الخطأ ـ كقوله تعالى (أَتَسْتَبْدِلونَ الذى هُوَ أَدْنَى بالذى هُوَ خيرٌ)

١٨ والتّنبيه على الباطل — كقوله تعالى (أفأَنْتَ تُسمِع الصُّمَّ أَوْ تَهْدِى العُمْىَ)

---

(١) ويكون غالباً بالهمزة يليها المقرر به كقولك أفعلت هـذا ـ إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه، وكقولك أأنت فعلت هـذا ـ إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، وكقولك أخليلا ضربت ـ إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه خليل ويكون التقرير أحيانا بغير الهمزة نحو: لمن هذا الكتاب، وكم لى عليك

١٩ والتّنبيه على ضلال الطّريق — كقوله تعالى (فأَيْنَ تَذْهَبُونَ)

٢٠ والتّكثير — كقول أبي العلاء المعرّى

صاحِ هذه قبورُنا تملأُ الرَّحـــبَ فأين القُبُورُ من عهد عاد

تطبيق

ماذا يراد بالاستفهام فيما يلى

١ ألستم خيرَ مَن ركبَ المطايا وأندَى العالمينَ بطون راحِ

٢ أنلهو وأيّامنا تذهبُ ونلعبُ والموتُ لا يلعَبُ

٣ متى يبلغ البنيانُ يوما تمامَه اذا كنت تبنيه وغيرُكَ يهدمُ

٤ فعلامَ يلتمس العدوُّ مَساءتى مِن بعد ماعرَف الخلائقُ شانى

٥ وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرمُ الغنى ورأىُ أمير المؤمنين جميلُ

٦ وهل نافعى أن ترْفع الحُجبُ بيننا ودُون الذى أمّلتُ منكَ حِجاب

٧ أضاعونى وأىَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

٨ ومَن مثلُ كافور اذا الخيلُ أحجمتْ وكان قليلا مَن يقول لها اقدمى

٩ أفى الحق أن يُعطى ثلاثون شاعرا ويحرمُ مادون الرّضا شاعرٌ مثلى

(١) التقرير لان المقام للمدح وذلك أبلغ فيه.
(٢) النهى عن اللعب ويصح أن يكون للتهكم
(٣) الانكار وبيان أن ذلك لن يكون
(٤) التعجب من عمل لا يجديه نفعا
(٥) النفى وذلك أوقع فى المدح
(٦) النفى وبيان أن ذلك ليس بمفيد
(٧) التعظيم وإكبار شأنه
(٨) « والتنويه بشجاعته
(٩) الانكار وبيان أن ذلك لا ينبغى أن يكون

١٠ أعندي وقد مارستُ كلَّ خفيةٍ — يُصدَّق واشٍ أو يُخيَّب سائل
١١ فدع الوعيد فما وعيدك ضائري — أطنينُ أجنحةِ الذُّباب يَضيرُ
١٢ ومن ذا الذي يُدْلي بعذرٍ وحجَّةٍ — وسيف المنايا بين عينيه مُصلتُ
١٣ إذا محاسنيَ اللاتي آتيه بها — عُدَّت ذنوبا فقل لي كيف أعتذر
١٤ إلامَ وفيمَ تنقلنا ركابٌ — ونأمل أن يكون لنا أوان

اسئلة على الاستفهام يطلب اجوبتها

ما هو الاستفهام ؟ . ـ ما هي أدواته ؟ ـ ما الذي يُطلب بالهمزة ؟ ماهو التصوُّر ؟. ماهو التصديق ؟ . ـ ما الفرق بين همزة التصور وهمزة التصديق وهل ؟ .ـ ماذا يطلب بأدوات الاستفهام غير الهمزة وهل ؟ . ـ ما الذي يطلب بمن ؟ . ـ ما الذي يطلب بما ؟ ـ ما الذي يطلب بمتى ؟ . ـ ما الذي يطلب بكيف ؟ .ـ ما الذي يطلب بكم ؟ ـ ما الذي يطلب بأيان ؟ . ـ ما الذي يطلب بأنّى ؟ . ـ ما الذي يطلب بأيّ ؟ . ـ

ما هي المعاني التي تخرج اليها أدوات الاستفهام عن معانيها الأصلية

المبحث الرابع

﴿ في التّمنّي ﴾

ألتّمنّي ـ هو طلبُ الشّيء المحبوب الذي لا يُرْجى حصولُه

« ١ » إمّا لكونه مستحيلا ـ كقوله

(١٠) الانكار و بيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون (١١) التهكم والتحقير
(١٢) التعظيم وتهويل شأن ذلك الموقف (١٣) النفي (١٤) الاستبطاء

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً   فأُخبرَه بما فعلَ المَشيبُ

(٢) وإمّا لكونه ممكناً غير مطموعٍ في نيله كقوله تعالى (ياليْتَ لَنَا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُون)

وإذا كان الأمرُ المحبوبُ مِمَّا يُرْجَى حصولُه كان طلبه ترجِّياً ويُعبَّرُ فيهِ « بعسَى ، ولعلَّ » كقوله تعالى « لعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً » و « عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ »

وقد تُسْتَعملُ في التَّرجِّي « لَيْتَ » لِغرض بَلاَغِيّ [١]

وللتمنّي أربعُ أدوات ـ واحدةٌ أصليّةٌ وهي « لَيْتَ »

وثلاثٌ غيرُ أصليةٍ نَائبةٌ عنها ويُتَمَنَّى بها لغرض بلاغيّ ـ وهي

١ هل ـ [٢] كقوله تعالى (فَهَلْ لَنَا مِن شفعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا) [٣]

٢ ولو [٤] ـ كقوله تعالى (فَلَوْ أنَّ لنا كَرَّةً فنكُونَ مِنَ الْمُؤْمنين)

٣ ولَعلَّ [٥] ـ كقوله

---

(١) الغرض هو ابراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بُعد نيله ـ نحو

فياليت مابيني و بين أحبتي   من البعد ما بيني و بين المصائب

وقد تستعمل أيضا للتندّم نحو « ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا »

(٢) اعلم أن سبب العدول عن ليت إلى « هل » إبراز المتمنىّ لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتفائه وهو المستفهم عنه

(٣) لما كان عدم الشفاء معلوما لهم امتنع حقيقة الاستفهام وتولّد منه التمني المناسب للمقام

(٤) وسبب العدول إلى « لو » الدلالة على عزة متمناه وندرته حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد لأن « لو » تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط

(٥) وذلك لبعد المرجو فكأنه مما لا يرجى حصوله ، واعلم أن « هلاّ . وألاّ

أَسِربَ القَطاهل مَن يُعيرُ جناحهُ   لعلّى إلى مَنْ قَدْ هَوِيتُ أطيرُ

ولأجل استعمالِ هذه الأدوات فى التَّمَنِّى يُنصبُ المضارعُ الواقع فى جوابها

تمرين

بيِّن المعانى المُستفادةَ من صِيغ التَّمنى فيما يأتى

قال تعالى : فَهَلْ إلى خُروجٍ مِن سَبيل

عَلَّ اللّيالى الّتى أضنَتْ بفُرْقتنا   جِسمى سَتجمعُنى يوماً وتَجمعُه

لو يأتينا فيُحدِّثنَا ـ لعلّى أحجُّ فأزورَكَ ـ ياليتنى اتَّخذتُ مع الرَّسول سبيلا ـ هل إلى مَرَدٍّ من سبيل ـ ياليت لنا مثل ما أُوتىَ قارون ـ لعلّى أبلغُ الأسبابَ ـ لوْ تتلوا الآيات فتشقّ سمعى ـ

كلّ مَن فى الكون يشكو دَهرَهُ   ليتَ شِعرى هذه الدنيا لِمَنْ

فليت اللّيل فيه كان شهراً   ومرَّ نهارُهُ مرَّ السَّحاب

فَلَيْتَ هَوَى الأحِبة كان عَدْلاً   فحمَّلَ كلّ قلب ما أطاقا

المبحث الخامس

﴿ فى النِّدَاء ﴾

النِّداء ـ هو طلبُ المتكلِّم إقبالَ المُخاطَبِ عليه بحرف نائب مناب

ولو ما ولولا » ـ مأخوذة من « هل ولو » بزيادة ما ولا عليهما ـ وأصل « ألاّ هلاّ » قلبت الهاء همزة ليتعين معنى التمني و يزول احتمال الاستفهام والشرط فيتولّد من التمنى معنى التنديم فى الماضى نحو: هلاّ قمت ، ومعنى التحضيض فى المستقبل نحو هلاّ تقف ولا يُتمنى بهل ولو ولعل إلا فى المقطوع بعدم وقوعه لئلا تحمل على معانيها الأصلية

« أُنادِى » المنقول من الخبر الى الإنشاء ، وأدواته ثمانية

الهمزة . وأىّ . ويَا . وآ . وآىْ . وأَيَا . وهيَا . ووَا [1]

وهى فى الاستعمال نوعان

« ١ » الهمزة وأىّ — لندَاء القريب

(٢) وباقى الأدوات لنِداء البعيد

وقد يُنَزَّلُ البعيد منزلة القريب — فيُنادى بالهمزة وأىّ . إشارة إلى أنه لِشدَّة استحضاره فى ذِهن المتكلّم صار كالحاضر معه لايغيب عن القلب وكأنه ماثِلٌ أَمامَ العين — كقول الشاعر

أَسُكَّانَ نَعمانِ الأَراكِ تيقَّنوا   بأنكُمُ فى رَبْع قلبىَ سُكّانُ

وقد يُنَزَّلُ القريب منزلة البعيد — فيُنادى بغير « الهمزة وأىّ »

« ا » إشارةً الى علُوّ مرتبته. فيُجعلُ بُعدُ المنزلة كأنه بُعْدٌ فى المكان ، كقولك « أيا مولاى » وأنت معه للدلالة على أن المُنادَى عظيمُ القدر رفيعُ الشّأن

(ب) أو إشارة إلى انحطاط مَنْزلتهِ ودرجتِهِ — كقولك « أيا هذا » لمن هو معك

(ج) أو إشارة إلى أن السّامع لغفلته وشرود ذهنه كأنّه غيرُ حاضر كقولك للسّاهى — أيا فلان — وكقول الباروِدى

يأيُّها السَّادرُ المزْوَرُّ من صلَفٍ   مَهْلاً فإنك بالأَيّام مُنْخَدِعُ [2]

---

(١) اعلم أن لفظ الجلالة يختص نداؤه بيا

(٢) السادر الذاهب عن الشيء ترفعا عنه ، والذى لا يبالى ولا يهتم بما صنع

وقد تخرج ألفاظ النِّدَاء عن معناها الأصلى إلى معان أخرى تُفهم من السِّياق بمعونة القرائن ـ ومن أهمّ ذلك

١ الإغراء ـ نحو قولك لمن أقبل يتظلّم : يامظلومُ

٢ والاستغاثة ـ نحو . يَاللهِ للمؤْمنين

٣ والنُّدبة — نحو

فواعجباً كم يدَّعى الفضْلَ ناقصٌ   وَوَا أسفاً كم يُظهِر النَّقصَ فاضلُ

٤ والتّعجب — كقوله

ياللكِ مِن قُبَّرَةٍ بمَعْمَرِ   خلالَكِ الجوُّ فبيضِي واصفرِي

٥ والزَّجر — كقوله

أَفُؤَادِي متَى المتابُ أَلمــَّا   تَصْحُ والشَّيْبُ فَوْقَ رَأْسِى أَلمَّا

٦ والتَّحَسُّر والتَّوَجُّع كقوله تعالى (يالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا) وكقول الشاعر

أَيا قبرَ مَعْنٍ كيفَ وارَيتَ جُودَهُ   وقَدْ كانَ مِنْهُ البَرُّ والبحرُ مُترَعا

٧ والتَّذَكر — كقوله

أيا منزِلَيْ سَلمى سلامٌ عليكما   هل الأَزمُنُ اللاتِي مَضَيْنَ رواجعُ

٨ والتَّحيُّر والتَّضَجُّر — نحو قوله

أيا مَنازلَ سَلمى أينَ سَلماكِ   مِنْ أجل هذا بكيناهَا بكَيناكِ

ويكثر هذا فى نداء الأطلال والمطايا ونحوها

٩ والاختصاص (١) — وهو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لبيانه . نحو

المزور . المنحرف . والصلف الكبر .

(١) بيان ذلك أن النـداء تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك ـ فجرد عن

قوله تعالى (رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيد)

ونحو نَحن العُلماءَ ورثةَ الأَنبياء — ويكون الاختصاص

« ا » إمّا للتّفاخر)— نحو أنا أُكْرِمُ الضّيْفَ أيّها الرَّجُلُ

«ب» وإما للتَّواضع ـ نحو ـ أَنا الفقيرُ المسكينُ أَيُّها الرَّجُلُ

ونحو ـ أَللّهم اغفر لنا أَيتها العِصابَةَ (١)

تمرين

بيِّن المعانى الحقيقيَّة المستفادة من صيغ النِّدَاء ـ والمعانى المجازيةَ المستفادة من القرائن

صاح شمّر ولا تزَلْ ذَاكِرَ المو ... تِ فنسيانُهُ ضَلَالٌ مُبين

يالَقومى وَيا لَأَمثَالِ قَوْمِى ... لأُناسٍ عُتُوُّهُمْ فى ازْدِيَادِ

يَاللرِّجال ذَوِى الأَلباب من نَفرٍ ... لا يَبرَحُ السَّفهُ المرْدِى لهم دِيناً

أَيها القلبُ قد قَضيتَ مَرَاماً ... فإلامَ الوُلوع بالشّهَواتِ

أَيا شجَرَ الخابور مالَكَ مُورقاً ... كأنَّكَ لم تجزَع على ابنِ طَريفِ

ياأيها الظّالم فى فعله ... الظُّلم مَرْدُودٌ على من ظلَم

طلب الاقبال واستعمل فى تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب اليه منها .

(١) أى اللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائبْ ، فصورته صورة النداء وليس به ـ إذا لم يرد به إلا مادل عليه ضمير المتكلم السابق . ولذا لا يجوز اظهار حرف النداء فيه

أَريحانةَ العينين والأَنف والحشا	ألاليت شعري هل تغيّرت من بعدي
ياناقُ سِيري عَنقاً فسيحاَ	إلى سُليمانَ فتستريحا
حَجبوه عن الرّياح لأنى	قلتُ ياريحُ بلّغيه السّلامَا
ياليتنى كُنْتُ صبيّاً مُرضعا	تحملنى الذّلفاءَ حوْلاً أكتعا
ياليلةً لستُ أنسى طيبها أبداً	كأنّ كلّ سرورٍ حاضرٌ فيها
يا ليلةً كالمسك مَخْبَرُها	وكذاك فى التّشبيه منظرُها
أحيينها والبدرُ يخدُمنى	والشّمس أنهاها وآمُرها
يا من تذكّرنى شمائله	ريح الشّمال تنفّست سحرا
واذا امتطى قلمٌ أنامله	سحر العقول به وما سحرا
ياقلب ويحك ماسمعت لنا صحٍ	لمّا ارتميتَ ولا اتّقيت ملاما
يا أعدل الناس الأ فى معاملتى	فيك الخِصام وأنت الخَصم والحكم

تنبيهات

ألأول — يُوضع الخبرُ موضعَ الإنشاء لأَغراضٍ كثيرة ـ أهمها

١ التّفاؤل — نحو هداكَ اللهُ لصالح الأعمال

(كأنّ الهدايةَ حصلت بالفعل) فأخبرَ عنها، ونحو: وفّقك الله

٢ والاحتراز عن صورة الأمر تأدّباً واحتراماً نحو: رحم الله فلانا

ونحو يَنظر مولاىَ فى أمرى ويَقضِى حاجتى

٣ والتّنبيه على تيسُّرِ المطلوبِ لقوّة الأسباب

كقول الأمير لجنده «تأخذون بنواصيهم وتُنزلونهم من صَياصيهم»

٤ والمُبالغة فى الطّلب للتّنبيه على سُرعة الامتثال

نحو (وإذْ أخذْنا مِيثاقَكُمْ لاتَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ)

لم يقُل لاتسفكوا قصداً للمُبالغة فى النَّهى حتى كأنّهم نهُوا فامتثلوا ثم أَخبر عنهم بالامتثال

٥ إظهار الرَّغبة — نحو قولك فى غائب : رزقنى الله لِقاءَهُ

الثانى — يُوضع الأنشاء موضع الخبر لأغراض كثيرة

«ا» منها إظهار العناية بالشّئ والاهتمام بشأنه — كقوله تعالى (قُلْ أمَرَ ربِّى بالقِسْطِ وأَقِيمُوا وجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)

لم يقل وإقامةِ وجوهكم إشعاراً بالعناية بأمر الصلاة، لعظيم خَطَرِها، وجَليل قَدرها فى الدِّين

«ب» ومنها التّحاشِى والاحتراز عن مُساواة اللّاحق بالسّابق، كقوله تعالى (قالَ إنِّى أُشْهِدُ اللهَ، واشْهَدُوا أَنِّى بَرِىءٌ ممَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ) لم يقل وأُشْهدكم تحاشياً وفراراً مِنْ مُساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى

الثالث ـ الأنشاء كالخبر فى كثير ممّا ذكر فيه، ومماسيُذكر فى الأبواب التالية ـ من الذكر والحذف وغيرهما إن شاء الله تعالى

تطبيق (١)

بيّن المعانى المستفادةَ من النّـداء ، وسببَ استعمال أداةٍ دون غيرها فيما يلى : —

(١) أيامَنَازِلَ سلمى أيْنَ سلماكِ   مِنْ أجلِ هذَا بكَينَاها بكيناكِ [١]

(٢) صادِحَ الشّرق قدْ سكَتَّ طَوِيلا
وعزِيزٌ علينَا ألاّ تقولا [٢]

(٣) أيا قبر مَعْنٍ كيف واريتَ جُودَه
وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُترعا [٣]

(٤) يادُرَّةً نُزِعَتْ من تاج والدها   فأصبحت حِلْيَةً فى تاجِ رِضوانِ

(٥) فيالائِمى دعنى أغالى بقيمتى   فقيمةُ كل الناسِ مايُحسنونه

الرقم	الاداة	المعنى المستفاد	سبب إيثار الأداة
١	أيا	التضجر والتحير مما	تنزيل المنازل المخاطبة منزلة البعيد لعظم شأنها لديه
٢	يا	« « «	كون المنادى بعيد المرتبة حقيقة .
٣	أيا	التحسر	تنزيل المخاطب منزلة البعيد إشعاراً برفعه شأنه
٤	يا	«	تنزيل المنادى منزلة البعيد تنوبها بعظم الامر ورفعة القدر
٥	يا	الطلب	للاشارة إلى أن المخاطب منحط الدرجة

(١) يريد لعـدم وجود سلمى بكيناها وبكينا المنازل ـ فواو العطف محذوفة
(٢) صدح الرجل رفع صوته بالغناء (٣) المترع أى المملوء .

تطبيق (ب)

وضّح الاعتبار الدّاعي لوضع كلٍّ من الخبر والانشاء موضع الآخر

(١) قال تعالى (وقضى ربُّكَ أنْ لا تَعبُدُوا إلاّ إيّاهُ وَبالوالِدَيْنِ إحْسانًا

(٢) قال تعالى (ومَنْ دَخَلَهُ كانَ آمنًا)

(٣) أتاني أبيتَ اللّعنَ أنك لُمتَنِي وتلك الّتي أهتَمُّ منها وأنصَبُ[1]

(٤) إذًا فعاقبني ربّي مُعاقبة قرّت بها عينُ مَنْ يأتيك بالحسد

تدريب

بيّن فيما يلي الغرضَ من وضع الإنشاء موضعَ الخبر وبالعكس

(١) كلّ خليلٍ كنتُ خاللتهُ لا ترك اللهُ له واضحه

(٢) قال الله تعالى (وَقالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا)

(٣) قولك لصديقك. رزقني اللهُ لقاءك

(٤) ولائمة لامتك يافضلُ في النّدَى فقلتُ لها هل أثّر اللومُ في البحر

أتَنهيْنَ فضلاً عن عطاياه للورى ومَن ذا الذي يَنهى الغَمام عن القَطرِ

الرقم	نوع الكلام	البيان	الاعتبار
١	الانشاء	اذالتقدير احسنوا بالوالدين والمقام للاخبار	الاهتمام وإظهار العناية
٢	الخبر	إذ المعنى ليأمن من دخله	إظهار الحرص على وقوعه
٣	»	المقام للإنشاء إذ الغرض الدعاء له	التفاؤل بالدعاء
٤	»	المقام للطلب	لأظهار الحرص على وقوعه

(١) أبيت اللعن. كانت تحية الملوك ومعناها أبيت أن تفعل شيئا تلعن به اهتم أى أصير ذا همّ. أنصب أى أتعب

أسئلة يطلب أجوبتها

(١) عرّف التمنى واذكر ألفاظه

(٢) بيّن الفرق بين التّمنّى والترّجى . واذكر ألفاظ ثانيهما

(٣) بيّن النّداء واذكر أدواته . وقسّمها من حيث الاستعمال

(٤) متى يُنزَّل القريب منزلة البعيد وبالعكس

(٥) بيّن المعانى المجازية التى تُستفاد من ألفاظ النّداء

(٦) بيّن الأغراضَ الدّاعية لإيثار الخبر فى مقام الإنشاء

(٧) لِمَ يُوضع الإنشاء موضع الخبر ؟ ؟

تطبيق عام على الباب الثانى

أنا الذّائد الحامِى الذّمار وانّما يُدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

الجملة الأولى ـ خبرية اسمية من الضرب الابتدائى . والمراد بها الفخر واظهار الشجاعة ـ المسند اليه أنا . والمسند الذائد . والجملة الثانية خبرية فعلية من الضرب الثالث لما فيها من التوكيـد بانما . والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة أيضا . المسند يدافع . والمسند اليه أنا .

وما ربك بظلّام للعبيد ـ جملة خبرية اسميـة من الضرب الثالث ـ والمراد بها التوبيخ ـ المسند اليه ربّ والمسند ظلّام

أنت خرجت عن حـدّك ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ـ والمراد بها التوبيخ ـ المسند اليه أنت . والمسند جملة خرجت

ربّ إن قومى كذّبون ـ جملة ربّ انشائية ندائية . والمراد بها الدعاء . المسند والمسند اليه محذوفان نابت عنهما ياء النـداء المحذوفة ـ وجملة إن قومى كذبون .

خبرية اسمية من الضرب الثالث . المراد بها إظهار التحسر . المسند اليه قومى . والمسند جملة كذبون

زارنا الغيث — جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . المراد بها اظهار الفرح ـ المسند اليه الغيث . والمسند زار . وأتى بها فعلية لافادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار .

ذهب عنا الحزن — جملة خبرية فعليـة من الضرب الابتدائى . والمراد بها إظهار الشماتة بمدبر ـ المسند ذهب . والمسند اليه الحزن ـ وأتى بها فعلية لأفادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار

قابلت الأمير ـ جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بها إظهار السرور . المسند قابل . والمسند اليه التاء

أنا ممتثل لأمرك — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى والمراد بها اظهار التواضع ـ المسند اليه أنا . والمسند ممتثل . وأتى بها اسمية لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه

إن الله لا يظلم الناس شيئا ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بها التوبيخ للناس . المسند اليـه لفظ الجلالة . والمسند جملة لا يظلم . وأتى بالمسند جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسـناد — والجملة الاسمية مفيدة للاستمرار الآن بقرينة الاسناد إلى الله تعالى

ما جاءنا من أحد ـ جملة خبرية فعليـة من الضرب الثالث . والمراد بها فائدة الخبر . المسند جاء ، والمسند إليه أحد ، وأتى بها فعلية لما تقدم

أنت نجحت — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الاسناد . والمراد بها لازم الفائدة . المسند اليه أنت . والمسند جملة نجحت

حضر الأمير — جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بها أصل الفائدة ـ المسند حضر . والمسند اليه الامير

سيحرم المقصر ـ خبرية فعلية من الضرب الابتدائى ـ والمراد بها الذم . المسند

سيحرم . والمسند اليه المقصر . وهى تفيد الاستمرار التجددى بقرينة الذم

ما برح المقصر نادما — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى ـ والمراد بها الذم ، المسند اليه المقصر . والمسند نادما . وهى مفيدة للاستمرار بقرينة ما برح

كلما جئتنى أكرمتك — جملة أكرمتك خبرية فعلية من الضرب الابتدائى. وهى الجملة ، وما قبلها قيد لها ، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها ، المسند أكرم ، والمسند اليه التاء ، وهى مفيدة للاستمرار التجددى بقرينة كلمّا

ما مجتهد صاحباك — جملة خبرية فعليةمن الضرب الابتدائى ، ولا يقال اسمية لأن الاسم حل محل الفعل ـ ولذلك رفع مابعده على أنه فاعله ، والمراد بها الاستمرار بقرينة الذم ، المسند مجتهد . والمسند إليه صاحباك ، وقس عليها نحو ما مبغوض أنت ـ وما حسن فعل أعدائك . وأقائم أخواك ، وهل منصف أصحابك

كلما ذاكر المجتهد استفاد — جملة استفاد فعلية خبرية من الضرب الابتدائى المسند استفاد ، والمسند اليه هو ، وهى مفيدة للاستمرار التجددىّ بقرينة كلّما

الشمس طالعة — للعاثر — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى

المسند اليه الشمس ـ والمسند طالعة . والمراد بها التوبيخ

الكريم محبوب ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى ، المسند اليه الكريم . والمسند محبوب ، والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح

من يسافر ـ جملة انشائية استفهامية . المسند اليه من . والمسند جملة يسافر

التفتوا ـ جملة انشائية أمرية . المسند التفت . والمسند اليه الواو

لا تتركوا المذاكرة ـ جملة إنشائية نهيية . المسند تترك . والمسند اليه الواو

ليت البخيل يجود ـ جملة انشائية تمنية اسمية . المسنداليه البخيل . والمسند جملة يجود ـ هل فهمتم — جملة انشائية استفهامية . المسند فهم . والمسند اليه التاء

ياتلاميذ — جملة انشائية ندائية . المسند والمسند اليه محذوفان تقديرها أدعو نابت عنها يا

الباب الثالث

﴿ فى أحوال المُسند اليه ﴾

المُسندُ اليه هو المبتدأ الذى له خبر ، والفاعل ونائبه وأسماء النواسخ وأحواله هى الذكر ، والحذف ، والتّعريف ، والتّنكير ، والتّقديم ، والتّأخير وغيرها . وفى هذا الباب عدة مباحث

المبحث الاول

﴿ فى ذكر المسند اليه ﴾

كلّ لفظ يدلّ على معنًى فى الكلام خليقٌ بالذكر لتأدية المعنى المرادِ به فلهذا يُذكر المُسند اليه وجوبا . حيث لا قرينة تدلّ عليه عندحذفه

وإلاّ كان الكلام معمًّى مُبهماً لايَستبينُ المرادُ منه

وقد يُعمد الى الذّكر مع وجود قرينة تُمكّن من الحذف

وذلك لأغراض بلاغيّة كثيرة(١) منها

١ زيادة التّقرير والإيضاح للسّامع ـ كقوله تعالى (أُولئِكَ على هُدًى مِنْ رَبِّهِم وَأُولئكَ هُمُ المُفْلِحُون)(٢) ـ وكقول الشاعر

---

(١) بيان ذلك أنه إذا لم يكن فى الكلام قرينة تدلّ على ما يراد حذفه ، أو وجدت قرينة ولم يكن هناك غرض يدعو إلى الحذف فلا بد من الذكر جرياً على الأصل ، وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح الذكر مع وجود قرينة تمكّن من الحذف وذلك لأغراض مختلفة كالمذكورة هنا

(٢) الشاهد فى أولئك هم المفلحون حيث كرر اسم الاشارة المسند اليه

هو الشّمس فى العَلْيَا هو الدّهر فى السّطا هو البدرُ فى النّادى هو البحرُ فى النّدى

٢ قِلّة الثّقة بالقرينة لضعفها، أو ضعف فهم السّامع

نحو سعدٌ نِعم الزّعيمُ : تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعدٍ، وطال عهد السامع به، أو ذُكر معه كلام فى شأن غيره

٣ الرّد على المُخاطب نحو: الله واحد، ردًّا على من قال اللهُ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ

٤ التلذّذُ. نحو الله ربّى، اللهُ حسبى.

٥ التعريضُ بغباوة السّامع نحو سعيدٌ قال كذا، فى جواب ماذا قال سعيد

٦ التّسْجيل على السّامع، (١) حتى لا يتأتّى له الإنكار — كما إذا قال الحاكم لشاهدٍ — هل أقرّ زيد هذا بأنّ عليه كذا؟. فيقول الشاهد نَعَمْ، زيد هذا أقرّ بأنّ عليه كذا (٢).

٧ التّعجُّب — اذا كان الحكم غريباً — نحو علىٌّ يُقاوِمُ الأسد فى جواب من قال : هل علىٌّ يقاوم الأسدَ ؟؟

٨ التّعظيم — نحو حضر سيف الدولة. فى جواب من قال: هل حضر الأمير؟

٩ الإهانة — نحو السّارق قادم. فى جواب من قال : هل حضر السّارق؟

للتقرير والايضاح تنبيهاً على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح أيضا

(١) أى كتابة الحكم عليه بين يدى الحاكم (٢) فيذكر المسند اليه لئلا يجد المشهود عليه سبيلا للانكار بأن يقول للحاكم عند التسجيل انما فهم الشاهد أنك أشرت إلى غيرى — فأجاب : ولذلك لم أنكر ولم أطلب الاعذار فيه

المبحث الثانى

﴿ فى حذف المُسند اليه ﴾

ألحذف خلاف الأصل وهو قسمان

« ا » قسم يظهر فيه المحذوف عند الإعراب ـ كقولهم : أهلا وسهلا فانّ نصبَهما يَدُلّ على ناصب محذوف يقدّر بنحو جئتَ أهلاـ ونزلت مكانا سهلا ـ وليس هذا القسم من البلاغة فى شئ

« ب » وقسم لايظهر فيه المحذوف بالإعراب ـ وانما تعلم مكانه إذا أنتَ تصفّحت المعنى ووجدته لايتمّ الا بمُراعاته . نحو يُعطى ويَمنع ـ أى يعطى مايشاء ويمنع مايشاء ـ ولكن لاسبيل الى إظهار ذلك المحذوف ، ولو أنت أظهرته زالت البهجة وضاع ذلك الرّونق (١)

ومن دواعى الحذف اذا دلّت عليه قرينة وتعلّق بتركه غرض من الأغراض الآتيه

١ ظهوره بدلالة القرائن عليه — نحو : فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ « أى أنا عجوز »

---

(١) وفى هذا القسم تظهر دقائق البلاغة ومكنون سرها وروائع أساليبها . ولهذا يقول الامام عبد القاهر الجرجانى : فى باب الحذف إنه باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فانك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ماتكون إذا لم تنطق ، وأتم ماتكون بيانا إذا لم تُبن ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تَخبُر ، وتدفعها حتى تنظر والأصل فى جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون فى الكلام ما يدلّ

٢ اخفاء الأمر عن غير المخاطب – نحو أقبلَ « تُريد علَياً مثلاً »

٣ تيَسُّر الإنكار عند الحاجة ـ نحو لئيم خسيس ـ بعد ذكر شخص

٤ الحذر من فوات فرصة سانحة — كقول منبِّه الصَّياد : غزال « أى هذا غزال »

٥ اختبار تنبُّه السَّامع — أو مقدار تنبُّهه — نحو نوره مستفاد من نور الشَّمس ـ أو هو واسطة عقد الكواكب « أى القمر » فى كلٍّ من المثالين

٦ ضِيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجُّر وتوجُّع ـ كقوله

قالَ لى كَيْفَ أَنْتَ قلْتُ عَليلٌ سَهَرٌ دائِمٌ وحُزْنٌ طَوِيلُ (١)

٧ المُحافظة على السَّجع ـ نحو

مَنْ طابتْ سَرِيرَتُهُ ، حُمِدَتْ سِيرَتُهُ (٢)

٨ المُحافظة على قافية ـ كقوله

وَما المالُ وَالأَهْلُونَ إلاَّ ودَائعٌ وَلاَ بُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الوَدائعُ (٣)

٩ المُحافظة على وزن ـ كقوله

عليها، وإلاَّ كان الحذف تعمية وألغازاً لا يصار اليه بحال ـ ومن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ما كان فى الكلام من البهجة والطلاوة ، وصار إلى شئٍ غثٍّ لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أوّلا

(١) أى لم يقل أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى

(٢) أى لم يقل حمد الناس سيرته للمحافظة على السجع المستلزم رفع الثانية

(٣) فلو قيل أن يردّ الناس الودائع لاختلفت القافية لصيرورتها مرفوعة فى الاول منصوبة فى الثانى

على أنّني راضٍ بأن أحملَ الهوَى وأخلصَ منه لا عليَّ ولاَ لِيا [١]

١٠ كون المسند اليه مُعيّناً معلوماً «حقيقة» نحو (عالِمُ الْغَيْبِ والشَّهادة) « أي الله » — أو « ادّعاءً » نحو وَهَّابُ الألوف « أي فلان »

١١ إتّباع الاستعمال الوارد على تركه [٢] — نحو رَمْيَةٌ من غير رامٍ « أي هذه رمية » ونحو — نِعمَ الزّعيم سعدٌ : أي هو سعدٌ

١٢ الخوف منه أو عليه — نحو ضُرِبَ سعيد

١٣ تـكثيرُ الفائدة — نحو فصبرٌ جميل « أي فأمرى صبرٌ جميل »

١٤ تَعيُّنه بالعهدية — نحو (واستَوَتْ على الْجُودِيِّ [٣]) أي السّفينة ونحو « حتّى توارت بالحجاب » أي الشمس

تدريب

بيّن أسباب ذكر وحذف المسند اليه فى الأمثلة الآتية

وإنّا لاندْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا
الرَّئيس كلَّمنى فى أمرك — والرئيس أمرنى بمقابلتك [٤] الأَمير نشر المعارف وأمّنَ المخاوف [٥] — محتالٌ مُرَاوِغٌ [٦] مُنضِجَةٌ للزّرع . مُصلِحَةٌ للهواء [٧]

---

(١) أى لا علىّ شئ ولا لى شئ

(٢) وكذا أيضا الوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح نحو مررت بزيد الهمامُ — وعلى الذم نحو رأيت بكراً اللئيمُ — وعلى الترحم مثل : ترفق بخالد المسكينُ

(٣) قيل الجودى هو الجبل الذى وقفت عليـه سفينة نوح وهى معهودة فى الـكلام السابق فى قوله واصنع الفلك بأعيننا الخ

(٤) نخاطب غبياً (٥) جوابا لمن سأل ما فعل الأمير ؟؟ (٦) بعد ذكر إنسان

(٧) تعنى الشمس

فعبّاسٌ يصدُّ الخطبَ عنّا ... وعبّاسٌ يجيرُ مَن استجارا

خَلَقَ فَسَوَّى، مقرّر للشّرائع مُوَضِّحٌ للدّلائل، ولو شاء لهَدَاكُمْ أَجْمَعِين (١)

وإنّي من القوم الذين هُمُ هُمُ ... اذا مات منهم سيّدٌ قام صاحبه

أنا مصدرُ الكلمِ البوادِي ... بين المحاضر والنّوادى

أنا فارسٌ أنا شاعرٌ ... فى كلّ ملحمة ونادى

إن حلّ فى رُومٍ ففيها قَيْصَرٌ ... أوحلّ فى عُرْبٍ ففيها تبّعُ

تطبيق

وضّح دواعى الحذف فى التّراكيب الآتية

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ماامدحتهم ... أحكّم فى أموالهم وأُقَرَّبُ

أَمَا والذى أبكى وأَضحَكَ والذى ... أماتَ وأَحْيَا والّذِي أَمْرُه أَمْرُ

١ لَسِنٌ إذَا صَعِدَ المنابر أو نَضا ... قلمًا شأى الْخُطَبَاءَ والكُتّابا (٢)

٢ عَلِيلُ الجسم مُمْتَنِعُ القيام ... شديدُ السُّكْرِ منْ غيرالمُدَامِ

٣ أحجاجُ لايفلَل سلاحُكَ إنّماا ... لمنايا بكَفِّ الله حيْثُ تراها (٣)

نمرة	المحذوف	السبب
١	المسند إليه	ادعاء العلم به فى مقام المدح.
٢	»	ضيق المقام من التوجع
٣	»	العلم به

(١) أى لو شاء هدايتكم

(٢) نضا بمعنى جرّ ـ شأى . سبق (٣) فلول السيف كسور فى حده

٤ حَرِيصٌ على الدُّنيا مُضِيعٌ لدينه ... وليس لما في بيته بمُضِيعِ

٥ وإنّي رأيت البُخْلَ يُزْرِي بأهله ... فأكْرَمْتُ نفسي أن يُقال بَخيل

٦ لو شئتَ لم تُفسد سماحة حاتمٍ ... كَرَماً ولم تهدم مآثِرَ خالدِ

٧ بَرَّدْ حَشَايَ إن استطَعْتَ بلفظةٍ ... فلَقد تضرُّ إذا تَشاء وتَنْفَعُ (١)

٨ نجومُ سماءٍ كلما غارَ كوكبٌ ... بَدَا كَوْكَبٌ تأوي إليه الكواكب (٢)

وقد علِمَ القبائل من معدٍّ ... إذا قببٌ بأبطحها بنينا

بأنّا المطعمون إذا قدرنا ... وأنّا المُهْلِكون إذا ابتُلينا

وأنّا المانعون لما أردنا ... وأنّا النّازِلون بحيثُ شِينا

وأنّا التّاركون إذا سَخطنا ... وأنّا الآخذون إذا رضِينا

أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر — خلاّق لما يشاء — الحمد لله الحميدُ — لاتخاطب السفيه اللئيمُ وأحسن الى الفقير المسكينُ

نمرة	المحذوف	السبب
٤	المسند إليه	ادعاء العلم به في مقام الذم
٥	»	العلم به
٦	المفعول	البيان بعد الأبهام
٧	»	عدم تعلق الغرض به
		بتنزيل المتعدى منزلة اللازم
٨	المسند إليه	ادعاء تعيينه في مقام المدح

(١) الحشا، ما انطوت عليه الضلوع (٢) أى هؤلاء نجوم

المبحث الثالث

﴿ فى تعريف المسند اليه ﴾

اعلم أنّ حقّ المسند اليه أن يكون معرفة ، لأنّ المحكوم عليه ينبغى أن يكون معلوماً ليكونَ الحكمُ مُفيداً

وتعريفه (١) إمّا بالإضمار، وإمّا بالعلَمِيَّة ، وإمّا بالإشارة ، وإمّا بالموصولية وإمّا بأل ، وإمّا بالاضافة ، وإمّا بالنداء

المبحث الرابع

﴿ فى تعريف المسند اليه بالإضمار ﴾

يُؤْتَى بالمسند اليه ضميراً لأغراض

١ لكون الحديث فى مقام « التّكلم » كقوله عليه الصلاة والسلام

---

(١) اعلم أن كلا من المعرفة والنكرة يدل على معين و إلا امتنع الفهم ـ إلا أن الفرق بينهما أن النكرة يفهم منها ذات المعين فقط ولا يفهم منها كونه معلوما للسامع وأن المعرفة يفهم منها ذات المعين ويفهم منها كونه معلوما للسامع لدلالة اللفظ على التعيين ، والتعيين فيها إما بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينة خارجية كما فى العلَم واما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما فى الضمائر ، واما بقرينة إشارة حسية كما فى الاشارة ـ واما بنسبة معهودة كما فى الأسماء الموصولة واما بحرف وهو المعرّف بأل و النداء . واما بإضافة معنوية وهو المضاف إلى واحد مما ذكر ما عدا المنادى

واعلم أنه قدم ذكر الاضمار لأنه أعرف المعارف ـ وأصل الخطاب أن يكون لمعين وقد يستعمل أحيانا دون أن يقصد به مخاطب معين كقول المتنبى

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

أخرج الكلام هنا فى صورة الخطاب ليفيد العموم

أنا النبيُّ لا كذِب ، أنا ابن عبد المُطّلِب

٢ أو لكون الحديث فى مقام (الخطاب) كقول الشاعر

وأنتَ الذى أخلفتنِي ماوعدتَنِي وأشمَتَّ بى مَن كان فيك يَلومُ

٣ أو لكون الحديث فى مقام « الغيبة » نحو : هو اللهُ تبارك وتعالى ولابدّ من تقدّم ذكره.

« ا » إمّا لفظاً ـ كقوله تعالى (وَاصْبِرْ حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا وَهوَ خَيرُ الْحَاكِمِين)

«ب» وإمّا معنى ـ نحو (وإنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فارجِعُوا هُوأزكى لَكُمْ) « أى » « الرُّجوع » ونحو « اعدلوا هو أقرب للتقوى » أى العدل

«ج» أو دلّتْ عليه قرينة حال ـ كقوله تعالى (فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ) «أى الميت»

تنبيهات

الاوّل — الأصل فى الخطاب أن يكون لمُشاهَد مُعيّن نحو أنتَ استرقَقْتنِي بإحسانك ـ وقد يُخاطب

« ا » غيرُ المُشَاهَد إذا كان مُستحضراً فى القلب نحو(لَا إِلٰه إلا أَنْتَ)

«ب» وغير المُعيّن: اذَا قَصد تعميم الخطاب لكلّ مَن يُمكن خطابه على سبيل البدل ـ لا التناوُل دَفعة واحدة كقول المتنبّى

إذا أنتَ أكرَمْتَ الكريمَ مَلَكْتَه وإنْ أنتَ أكرَمْتَ اللّئيم تَمَرَّدَا

الثانى ـ الأصل فى وضع الضّمير عدمُ ذكره إلا بعد تقدّم مايفسّرُهُ وقد يُعدل عن هذا الأصل فيقدّم الضّمير على مرجعه لأغراض كثيرة

ا — منها تمكين ما بعد الضّمير فى نفس السّامع لتشوّقه اليه

كقوله * هيَ النَّفس ما حمّلتَها تتحمّلُ *

فأنها لا تعمى الأبصار — ونعمَ رجلا علىٌّ — فالفاعل ضمير يفسّره التّمييز ويطّرد ذلك فى بابى نعم وبئس، وفى باب ضمير الشأن — نحو (هُوَ اللهُ أحَدٌ)

ب — ومنها ادّعاء أنّ مرجع الضّمير دائم الحضور فى الذّهن نحو — أقبل وعليه الهيبة والوقار . . ونحو قول الشاعر

أبَتِ الوِصالَ مخافةَ الرُّقباء وأتتْكَ تحتَ مدارع الظّلْماء

ويُسمّى هذا العدولُ بالإضمار فى مقام الإظهار

الثالث — يُوضع الظّاهر (سواء أكان علماً، أو صفة، أو اسم اشارة) موضع الضمير لأغراض كثيرة

١ منها إلقاء المهابة فى نفس السّامع — كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمر بكذا

٢ وتمكين المعنى فى نفس المخاطب — نحو: اللهُ ربّى ولا أشركُ بربّى أحدا

٣ ومنها التلذّذ — كقول الشاعر

سقى الله نجداً والسّلام على نجد ويا حبّذا نجدٌ على القُرْب والبُعد

٤ ومنها الاستعطاف — نحو اللّهم عبدك يسألك المغفرة (أى أنا أسألك)

ويُسمّى هذا العدول بالإظهار فى مقام الإضمار

المبحث الخامس

﴿ فى تعريف المسند اليه بالعلميّة ﴾

يُؤتى بالمُسند اليه علماً لاحضار معناه فى ذهن السّامع باسمه الخاص ليمتاز عمّا

عداه ـ كقوله تعالى (وإذْ يرْفَعُ ابْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبيْتِ واسماعِيلُ)

وقد يُقصد به مع هذا أغراض أخرى تُناسب المقام

١ كالمدح فى الألقاب التى تُشعر بذلك ـ نحو جاء نصر ـ وحضر صلاح الدين

٢ والذمّ والأهانة ـ نحو جاء صخر ـ وذهب تأبّط شرّاً

٣ والتّفاؤل ـ نحو جاء سرور

٤ والتّشاؤم ـ نحو حربٌ فى البلد

٥ والتبرُّك ـ نحو الله أكرمنى . فى جواب هل أكرمك الله ؟؟

٦ والتّلذّذ — كقول الشاعر

بالله يا ظَبيَاتِ القَاعِ قُلْنَ لنا لَيلاىَ منكُنَّ أم لَيلى مِن البَشَرِ

٧ والكناية عن معنى يَصلح العلمُ لذلك المعنى بحسب معناه الأصلى قبل العلميّة — نحو . أبو لهب فعل كذا . . كِناية عن كونه جُهنّمِياً

لأن اللَّهَب الحقيقى هو لهب جهنم ـ فيصحّ أنْ يُلاحظ فيه ذلك

المبحث السادس

﴿ فى تعريف المسند اليه بالإشارة ﴾

يُؤْتى بالمسند اليه اسمُ إشارة إذا تعيَّن طريقاً لأحضار المُشار اليه فى ذهن السَّامع ، بأن يكون حاضراً محسوساً ، ولا يعرف المتكلّم والسَّامع اسمه الخاص ، ولامُعيَّناً آخر ، كقولك أتبيع لى هـذا ـ مشيراً الى شى لاتعرف له اسماً ولا وصفاً

أما إذا لم يتعيَّن طريقاً لذلك ، فيكون لأغراض أُخرى

« ا » بيان حاله فى القُرْب ـ نحو هذه بضاعتنا

«ب» بيان حاله فى التّوسّط — نحو ذاكَ ولدى

« ج » بيان حاله فى البعد — نحو ذلك يوم الوعيد

٢ تعظيم درجته بالقرب نحو (إنّ هَذَا القُرْآنَ يَهدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) أو تعظيم درجته بالبُعد كقوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لارَيْبَ فِيه)

٣ والتّحقير بالقرب ـ نحو (هَلْ هَذَا إلاَّ بشرٌ مِثلُكُمْ) ؟؟ أو التّحقير بالبعد ـ كقوله تعالى (فَذَلِكَ الذِى يَدُعُّ اليَتِيم)

٤ واظهار الاستغراب ـ كقول الشاعر

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيَتْ مَذاهبُهُ وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مرْزُوقا

هذا الذى تركَ الأوهام حَائِرَةً وصيَّر العالم النّحرير زنديقا

٥ وكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز ـ كقول الفرزدق

هذا الذى تَعرفُ البَطحاءُ وطأته والبيتُ يعرفهُ وَالحِلّ وَالحرَمُ

ونحو قوله : هذا أبو الصقّر فَرداً فى مَحَاسِنه

٦ والتّعريض بغباوة المخاطب حتى كأنّه لايفهم غير المحسوس ـ كقوله

أُولئك آبائى فجئنى بمثلِهِم إذَا جمَعَتنا ياجَرِيرُ المجامعُ

٧ والتّنبيه على أن المشار اليه المُعَقَّبَ بأوصاف جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة — كقوله تعالى (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وأُولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) (١)

---

(١) أى فالمشار اليه بأولئك . هم المتقون . وقد ذكر عقبه أوصاف هى الايمان بالغيب وإقامة الصلاة وما بعدها ـ ثم أتى بالمسند اليه اسم اشارة وهو أولئك تنبيها

وكثيراً ما يُشار الى القَريب غير المُشاهَد بإشارة البعيد تنزيلاً للبُعد عن العيان منزلة البُعد عن المكان نحو: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مالم تَسْتَطِع عَلَيْهِ صَبراً)

المبحث السابع

﴿ فى تعريف المسند اليه بالموصولية ﴾

يُؤْتى بالمسند اليه اسمُ موصول اذا تعيّن طريقاً لاحضار معناه كقولك ـ الذى كان معنا أمس سافر، اذا لم تكن تعرف اسمه أمَّا إذا لم يتعين طريقا لذلك فيكون لأغراض أخرى

١ منها التّشويق ـ وذلك فيما اذا كان مضمونُ الصّلة حُكما غريباً كقوله

والذى حارت البريَّة فيه حيوانٌ مستحدَث من جَماد (١)

٢ ومنها اخفاء الأمر عَنْ غير المخاطب — كقول الشاعر

وأخذتُ ماجاد الأميرُ به وقضيتُ حاجاتى كما أهوى

٣ ومنها التّنبيه على خطأ المخاطب نحو (إنّ الذين تَدعُون مِنْ دون الله عبادٌ أمثالكم) وكقول الشاعر

إنَّ الَّذين تُرَونهم إخوانكم يَشفى غليلَ صُدورهم أن تُصرَعوا (٢)

٤ ومنها التّنبيه على خطأ غير المخاطب ـ كقوله

إنَّ الّتى زعمتْ فؤادك ملّها خلعتْ هواكَ كما خلعتَ هوَى لها

٥ ومنها تعظيم شأن المحكوم به ـ كقول الشاعر

على أن المشار إليهم أحقاء من أجل تلك الخصال، بأن يفوزوا بالهداية عاجلا والفوز بالفلاح آجلا (١) يعنى تحيّرت البرية فى المعاد الجسمانى

(٢) أى من تظنون اخوتهم يحبون دماركم فأنتم مخطئون فى هذا الظن ـ ولا

إنَّ الذى سمكَ السَّماء بَنى لنا بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ (١)

٦ ومنها التّهويل تعظيماً أو تحقيراً ـ نحو فَغَشيَهُمْ مِنَ اليَمِّ ما غَشيَهُمْ (٢)

ونحو ـ مَنْ لم يَدْرِ حقيقة الحال قال ماقال

٧ ومنها استهجان التّصريح بالاسم ـ نحو الّذى ربّانى أبى (٣)

٨ ومنها الاشارة إلى الوجه الذى يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب كقوله تعالى (الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم)

٩ ومنها التّوْبيخ ـ نحو : الّذى أحسن اليك قد أسأتَ اليه

١٠ ومنها الاستغراق ـ نحو : الّذين يأتونك أكْرِمْهم

١١ ومنها الأبهام نحو : لكلّ نفسٍ مَا قدّمتْ

واعلم أنّ التّعريف بالموصوليّة مبحث دقيق المسلك ، غريب النّزعة يُوقِفكَ على دَقائق مِن البلاغة تؤنسُك إذا أنت نظرتَ اليها بثاقِب فكرك ، وتُثلجُ صدرك إذا تأمّلتها بصادق رأيك ، فأسرارُ ولطائفُ التّعريف بالموصوليّة لايمكن ضبطها ، واعتبر فى كلّ مقامٍ ما تراه مُناسباً

المبحث الثامن

﴿ فى تعريف المسند إليه بأل ﴾

يُؤْتى بالمُسند اليه معُرّفاً بأل العَهْدِيَّة ـ أو ـ أل الجنسية : لِأغراضٍ

يفهم هذا المعنى لو قيل إن قوم كذا يشفى الخ (١) أى ان من سمك السماء بنى لنا بيتا من العز والشرف هو أعز وأقوى من دعائم كل بيت

(٢) أى غطاهم وسترهم من البحر موج عظيم لا تحيط العبارة بوصفه

(٣) أى بأن كان اسمه قبيحاً كمن اسمه (برغوت أو جحش أو بطة أو غيره)

أل العهدية

أل العهدية — تدخل على المُسند اليه للإشارة الى فرد معهود خارجاً بين المتُخاطبين — وعهده يكون .

« ا » إمَّا بتقدُّم ذكره « صريحاً » كقوله تعالى (كما أرسلْنا إلى فِرْعَوْن رَسُولاً فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسولَ) ـ ويُسمَّى عهداً صريحيًّا

«ب» وإمّا بتقدُّم ذكره « تلويحاً » ـ كقوله تعالى (وَلَيْسَ الذَّكَر كَالأُنْثى) فالذكر وإن لم يكن مسبُوقاً صريحا إلا أنه إشارة إلى « ما » فى الآية قبله (رَبِّ إنّى نَذَرْتُ لكَ « ما » فى بَطْنى مُحَرَّراً) (١)

فانهم كانوا لا يُحرِّرونَ لِخدمة بيت المقدس إلاّ الذكور ، وهو المْعنىُّ « بما » ـ ويُسمّى عهداً كنائيًّا

« ج » وإما بحضوره بذاته — نحو (أليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) أَو بمعرفة السّامع له نحو : هل انعقد المجلس ـ ويُسمَّى عهداً حُضوريًّا

ال الجنسية

أل الجنسية (وتُسمَّى لامَ الحقيقة) تدخل على المسند اليه لأغراض أربعة

١ ـ للاشارة الى الحقيقة من حيث هى بقطع النّظر عن عمومها وخصوصها نحو الإنسان حيوانٌ ناطق (وتُسمَّى لامَ الجنس) لأن الإشارة فيه الى نفس الجنس ، بقطع النظر عن الأفراد ـ ونحو : الذّهب أثمن من الفضّة

٢ — أو للإشارة الى الحقيقة فى ضمن فرد مُبهم ، اذا قامت القرينة على

---

(١) التحرير هو العتق لخدمة بيت المقدس

ذلك كقوله تعالى (وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ)

ومدخولها فى المعنى كالنكرة فيُعامَل مُعاملتها (وتُسمَّى لامَ العهد الذِّهنى)

٣ — أو للاشارة الى كلّ الأفراد التى يتناولها اللَّفظ بحسب اللغة

(ا) بمعونة قرينة « حالية » نحو (عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَة)

أى كلّ غائب وشاهد

(ب) أو قرينة « لفظية » نحو (إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْر)

أى كلّ انسان — بدليل الاستثناء بعده — ويُسمَّى استغراقا حقيقيّا

٤ ـ أو للاشارة الى كلّ الأفراد مقيّداً ـ نحو : جمع الأمير التُّجار وألقى عليهم نصائحه — أى جمع الأمير « تجّار مملكته » لاتجّارَ العالَمَ أجمعَ

(ويسمّى استغراقاً عرفيا)

تنبيهات

الأول ـ علم ممّا تقدم أن أل التعريفية قسمان

القسم الأول ـ لام العهد الخارجى وتحته أنواع ثلاثة صريحى ـ وكنائى ـ وحضورى

والقسم الثانى ـ لام الجنس وتحته أنواع أربعة لام الحقيقة من حيث هى ـ ولام الحقيقة فى ضمن فرد مبهم ـ ولام الاستغراق الحقيقى ـ ولام الاستغراق العرفى

فمجموع أقسام أل من حيث هى سبعة

الثانى استغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى والجمع لأن المفرد يتناول كل واحد واحد من الأفراد . والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين .والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ـ بدليل صحة لا رجالَ فى الدار إذا كان فيها رجل أو رجلان ـ بخلاف قولك لا رجلَ : فانه لا يصحّ إذا كان فيها رجل أو رجلان

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها ، وانما تصحّ فى النكرة المنفية دون

المبحث التاسع

﴿ فى تعريف المسند اليه بالإضافة ﴾

يُؤْتَى بالمُسند اليه مُعَرَّفاً بالإضافة الى شئ من المعارف السَّابقة لأَغراض كثيرة .

١ منها أنها أخصر طريق الى إحضاره فى ذهن السّامع ـ نحو جاء غلامى — فأنه أخصر من قولك : جاء الغلام الذى لى

٢ ومنها تعذُّر التّعدُّد أو تعسُّره ـ نحو ـ أجمع أهـل الحقّ على كذا وأهلُ مصرَ كرامٌ

٣ ومنها الخروجُ مِن تَبِعة تقـديم البعض على البعض — نحو حضر أمراء الجند

٤ ومنها التّعظيم للمضاف — نحو كتاب السُّلطان حضر

أو للمضاف اليه : نحو الأمير تلميذى ـ أو غيرهما نحو : أخو الوزير عندى

الجمع المعرف باللام ـ لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحـد من الافراد نحو « الرّجال قَوّامون على النّساء » بل هو فى المفرد أقوى كما دلّ عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير فى كل ما وقع فى القرآن العزيز ـ نحو أعلم غيب السموات والارض ـ والله يحب المحسنين ـ وعلّم آدم الأسماء كلها ـ إلى غير ذلك مما لا يُعدّ ولا يحصى

الثالث ـ قد يعرّف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند اليـه بالمسند المعرفة وعكسه « حقيقة » نحو هو الغفور الودود . ونحو ـ وتزوّدوا فان خـير الزاد التّقوى أو « ادّعاء » للتنبيه على كمال ذلك الجنس فى المسند اليه نحو محمد العالم ـ أى الـكامل فى العلم ـ أو كماله فى المسند ـ نحو الـكرم التقوى (أى لا كرم إلا هى)

٥ ومنها التّحقير للمضاف — نحو ولَد اللّصِّ قادم
أو للمضاف اليه نحو رفيق زيد لصٌّ أو غيرهما نحو: أخو اللّصِّ عند عمرو

٦ ومنها الاختصار لضيق المقام لفرط الضّجر والسآمة — كقول
جعفر بن عُلبة « وهو فى السّجن بمكة »

هوايَ مع الرّكب اليمانينَ مُصعِدُ جَنيبٌ وجُثمانى بمكّة مُوثَقُ (١)

واعلم أنَّ هيئة التركيب الأضافى موضوعة للاختصاص المُصحّح لأَن يقال « المضاف للمضاف اليه » فاذا استُعملت فى غير ذلك كانت مجازاً كما فى الاضافة لأدنى مُلابسة نحو - مكرُ اللّيل وكقوله

اذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بسَحرةٍ سُهيلٌ أذاعت غزلَها فى القرائبِ (٢)

المبحث العاشر

﴿ فى تعريف المسند اليه بالنّداء (٣) ﴾

---

(١) أى من أهواه وأحبه ذاهب مع ركبان الابل القاصدين إلى اليمن منضم إليهم، مقود معهم، وجسمى مقيد بمكة محبوس وممنوع عن السير معهم — فلفظ هواى أخصر من الذى أهواه — ونحوه

(٢) أضاف الكوكب إلى الخرقاء أى المرأة الحمقاء مع أنه ليس لها لانها لاتتذكر كسوتها إلا وقت طلوع سهيل سحراً فى الشتاء — وتفصيل ذلك أنه يقال إن المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها فى الصيف فاذا طلع سُهيل وهو كوكب قريب من القطب الجنوبى فى السحر وذلك قرب الشتاء أحست بالبرد واحتاجت إلى الكسوة ففرقت غزلها أى قطنها أو كتّانها الذى يصير غزلا فى أقاربها ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت، فاضافة كوكب الخرقاء لأدنى ملابسة — وقد جعل الشاعر هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص (٣) اعلم ان أغلب البيانيين لم يثبت التعريف

يُؤْتى بالمسند اليه مُعرفا بالنداء لأغراض

١ — منها اذا لم يُعرف للمخاطب عنوان خاصٌ ـ نحو ـ يارجلُ

٢ — ومنها الاشارة الى عِلّة مايُطلب منه نحو ـ ياتلميذ أكتب الدّرس

المبحث الحادى عشر

﴿ فى تنكير المسند اليه ﴾

يُؤتى بالمسند اليه نكرة لعدم عِلْم المُتكلم بجهةٍ من جهات التّعريف حقيقةً أو ادّعاءً، كقولك ـ جاء هنا رجل يسأل عنك : اذا لم تعرف مايُعيّنه من علَم أو صِلة أو نحوهما، وقد يكون لأغراض أخرى

١ كالتّكثير [١] نحو : (وإنْ يُكذّبوكَ فقدْ كُذّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبلكَ (أى رُسُلٌ كثيرة)

٢ والتّقليل ـ نحو : لو كان لنا من الأمر شئٌ، ونحو : ورضوان من الله أكبر

٣ والتّعظيم والتّحقير ـ كقول ابن أبى السّمط

لهُ حاجبٌ عنْ كل أمْرٍ يَشينهُ ... وليسَ لهُ عَنْ طالب العُرْف حاجبُ

أى له مانع عظيم وكثير عن كلّ عيب — وليس له مانع قليل أو

بالنداء فى تعريف المسند اليه . وتحقيق ذلك يطلب من المطولات

(١) اعلم ان الفرق بين التعظيم والتكثير أن التعظيم بحسب رفعة الشأن وعلوّ الطبقة ـ وأن التكثير باعتبار الكميات والمقادير تحقيقا كما فى قولك ـ ان له لأبلا، وان له لغنما ـ أو تقديرا نحو ورضوان من الله أكبر ـ أى قليل من الرضوان أكبر من كل شئ ـ و يلاحظ ذلك الفرق فى التحقير والتقليل أيضا

حقير عن طالب الأحسان [١] فيحتمل التعظيم والتكثير والتقليل والتحقير

٤ وإخفاء الأمر — نحو قال رجل إنك انحرفتَ عن الصّواب
تخفى اسمه حتّى لا يلحقه أذًى

٥ وقصد الإفراد ـ نحو وَيلٌ أهْوَنُ من ويلَين « أى ويل واحد »

٦ وقصد النّوعية ـ نحو لكلّ داءٍ دَواءٌ (أى لكلّ نوع من الدّاء
نوع من الدّواء)

المبحث الثانى عشر

﴿ فى تقديم المسند اليه [٢] ﴾

إعلم أنّ مَرتبة المُسند اليه التّقديمُ ، وذلك لأنّ مدلوله هو الذى يخطر أولاً فى الذّهن لأنه المحكوم عليه ، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً

---

(١) أى ومنه قوله : ولله عندى جانب لا أضيعه وللهو عندى والخلاعة جانب و يحتمل التكثير والتقليل قوله تعالى إنى أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن

(٢) معلوم أن الالفاظ قوالب المعانى . فيجب أن يكون ترتيبها الوضعى حسب ترتيبها الطبعى . ومن البيّن أن رتبة المسند اليه التقديم لانه المحكوم عليه و رتبة المسند التأخير إذ هو المحكوم به ــ وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتى تالية لهما فى الرتبة ، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها و إن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن اذاً تغيير هذا الاصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذى يؤدى اليه ومترجما عمّا يريد

ولا يخلو التقديم من أحوال أربع

الاول ــ ما يفيد زيادة فى المعنى مع تحسين فى اللفظ وذلك هو الغاية القصوى واليه المرجع فى فنون البلاغة ــ والكتاب الكريم هو العُمدة فى هذا . انظر إلى قوله تعالى

فلهذا تقدّم وضعاً ، ولتقديمه دواعٍ شتّى

١ منها تعجيل المسَرَّة — نحو : ألعفو عنك صدرَ به الأمر

٢ ومنها تعجيل المساءة — نحو : القصاصُ حكم به القاضى

٣ ومنها التّشويق الى المتأخّر اذا كان المتقدّم مُشْعِراً بغرابة كقول المعرّى

والّذى حارت البريّةُ فيه حيوانٌ مُستحدَثٌ من جماد (١)

(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) تجد أن تقديم الجار فى هذا قد أفاد التخصيص وأن النظر لا يكون إلا لله مع جودة الصياغة وتناسق السجع

الثانى ـ ما يفيد زيادة فى المعنى فقط نحو (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) فتقديم المفعول فى هذا لتخصيصه بالعبادة وأنه ينبغى ألاّ تكون لغيره ، ولو أُخّر ما أفاد الكلامُ ذلك

الثالث ـ ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس لهذا الضرب شئ من الملاحة كقوله

وكانت يدى ملأى به ثم أصبحت « بحمد إلهى » وهى منه سليب

فتقديره : ثم أصبحت وهى منه سليب بحمد إلهى

الرابع ـ ما يختل به المعنى ويضطرب ، وذلك هو التعقيد اللفظى ـ أو المعاظلة التى تقدمت ، كتقديم الصفة على الموصوف ، والصلة على الموصول ، أو نحو ذلك كما سلف من قول الفرزدق

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كُليبٌ تصاهره

فتقديره إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، أى ما أم أبيه منهم ، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الاولى بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق حتى يفهم المراد منه .

(١) قيل الحيوان هو الانسان ـ والجماد الذى خلق منه هو النطفة وحيرة البرية فيه هو الاختلاف فى اعادته للحشر — وهو يريد أن الخلائق

٤ ومنها التَّلذّذ — نحو : ليلى َ وصلَت — وسلمى َ هجرت

٥ ومنها التّبرُّك — نحو : اسمُ الله اهتديتُ به

٦ ومنها النَّص على عموم السَّلب — أو سلب العموم

فعموم السلب يكون بتقديم أداة العموم (١) كـكلّ . وجميع . على أداة النفى نحو : كلّ ظالم لا يفُلح ـ المعنى لا يفلح أحد من الظّلَمَة ، ونحو كلّ ذلك لم يكن : أى لم يقع هذا ولا ذاك ، ونحو كلّ تلميذ لم يقصّر فى واجبه ويسمى « شمول النّفى »

واعلم أن عُموم السّلب يكون النّفى فيه لـكلّ فرد

وتوضيح ذلك أنك إذا بدأت بلفظة « كلّ » كنتَ قد بَنيتَ وسلّطت الـكُلّيةَّ على النّفى وأعملتهَا فيه ـ وذلك يقتضِى ألاَّ يشذَّ عنه شئ

وسلب العموم يكون بتقديم أداة النّفى على أداة العموم ـ نحو لم يكن كلّ ذلك ، أى لم يقع المجموع ، فيحتمل ثبوت البعض ، ويحتمل نفى كلّ فرد ، لانّ النّفى يُوَجّه الى الشّمول خاصة دون أصل الفعل ويُسمَّى « نفى الشّمول »

واعلم أن سلب العُموم يكون النّفى فيه للمجموع غالبًا كقول المُتنبّى

* ما كلُّ رأيِ الفتى يدعُو إلى رَشَدٍ *

تحيّرت فى المعاد الجسمانى ، يدل لذلك قوله قبله

بأنّ أمر الاله واختلاف النا س فداع إلى ضلال وهادى

(١) بشرط أن تكون أداة العموم غير معمولة لما بعدها كما مثل ـ فان كانت معمولة للفعل بعدها سواء تقدمت لفظا أو تأخرت نحو كلُّ ذنب لم أصنع ـ ولم آخذ كلَّ الدراهم أفاد الكلام سلب العموم ونفى الشمول غالبا

وقد جاء لعموم النفى قليلا قوله تعالى (إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور)

ودليل ذلك الذَّوق والاستعمال

٧ ومنها افادة التّخصيص قطعا ـ [١] اذا كان المسند اليه مسبوقاً بنفى والمسند فعلا ـ نحو ما أنا قُلت هذا ـ أى لم أقُلْه : وهو مقول لغيرى

(ولذا لا يصحّ أن يُقال ما أنا قلت هذا ولا غيرى، لأن مفهوم ما أنا قلت أنّه مقول للغير، ومنطوق ولا غيرى كونه غير مقول للغير، فيحصل التّناقض سلباً وإيجابا)

واذا لم يَسبق المسندَ اليه نفىٌ كان تقديمه محتملا [٢] لتخصيص الحكم به أو تقويته اذا كان المسند فعلا [٣] نحو أنت لا تبخل ـ وهو يَهَبُ

---

(١) وذلك يكون فى ثلاثة مواضع

الأول ـ أن يكون المسند اليه معرفة ظاهرة بعد نفى نحو ما فؤاد فعل هذا

الثانى ـ أن يكون المسند اليه معرفة مضمرة بعد نفى نحو ما أنا قلت ذلك

الثالث ـ أن يكون المسند اليه نكرة بعد نفى نحو ما تلميذ حفظ الدرس

(٢) وذلك فى ستة مواضع

الأول ـ أن يكون المسند اليه معرفة ظاهرة قبل نفى ـ نحو فؤاد ما قال هذا

الثانى ـ أن يكون المسند اليه معرفة ظاهرة مثبتة نحو عباس أمر بهذا

الثالث ـ أن يكون المسند اليه معرفة مضمرة قبل نفى نحو أنا ما كتبت الدرس

الرابع ـ أن يكون المسند اليه معرفة مضمرة مثبتة نحو أنا حفظت درسى

الخامس ـ أن يكون المسند اليه نكرة قبل نفى نحو رجل ما قال هذا

السادس ـ أن يكون المسند اليه نكرة مثبتة نحو تلميذ حضر اليوم فى المدرسة

واعلم أن ما ذكرناه هو مذهب عبد القاهر الجرجانى وهو الحق وخالفه السكاكى

(٣) فان قيل : لماذا اشترط أن يكون المسند فعلا وهل إذا كان المسند وصفا

الألوف ، فإنَّ فيه الإسناد مرتين ، أسناد الفعل الى ضمير المخاطب
في المثال الأول ، واسناد الجملة الى ضمير الغائب في المثال الثاني

٨ ومنها كون المُتقدّم محطّ الإنكار والغرابة ـ كقوله

أبعدَ المشيبِ المُنقضى فى الذّوائب ... تُحاوِلُ وصلَ الغانيات الكواعب

٩ ومنها سُلوك سبيل الرُّقى ـ نحو هذا الكلام صحيح ، فصيح ، بليغ
فاذا قلتَ فصيح ـ بليغ، لا يحتاج الى ذكر صحيح ـ واذا قلت بليغ
لا يحتاج الى ذكر فصيح

١٠ ومنها مُراعاة التّرتيب الوُجودِى ـ نحو (لا تأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ)

المبحث الثالث عشر

﴿ فى تأخير المسند اليه ﴾

يُؤَخّرُ المسند اليه إن اقتضى المقامُ تقديم المسند ـ كما سيجيءُ
ولا نَلتمسُ دواعىَ للتّقديم والتّأخير إلا اذا كان الاستعمال يبيح كليهما

تطبيق عام على أحوال المسند اليه وما قبله

أمير المؤمنين يأمرك بكذا ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، المراد بالخبر بيان سبب داعى الامتثال . المسند اليه أمير المؤمنين . ذكر للتعظيم . وقدم لذلك والمسند جملة يأمر، ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند اليه

مشتملا على ضمير نحو أنت بخيل لم يكن كالفعل فى إفادة التقوية ـ أقول . لمّا كان ضمير الوصف لا يتغير تكلّما وخطابا وغيبة ، فهو شبيه بالجوامد ، وكانت تقويته قريبة من الفعل لا مثلها تماماً

وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد (والتعظيم وتقوية الحكم وكون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه واقتضاء المقام تقديم المسند اليه أحوال) والذكر والتقديم والتأخير مقتضيات ـ والاتيان بهذه الجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال

أنت الذى أعاننى . وأنت الذى سرّنى — ذكر أنت ثانيا لزيادة التقرير والايضاح ، فزيادة التقرير والايضاح حال ـ والتكرير مقتضى ـ والاتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال

سعيد يقتحم الاخطار « بعد مدحه » ذكر سعيد للتعظيم والتعجب ، فالتعظيم والتعجب حال ـ والذكر مقتضى ، والاتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال

حضر الكريم « بعد أحضر سعد » ذكر الكريم لتعظيم سعد ومدحه فالتعظيم حال ، والذّكر مقتضى ، والاتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال

علىّ كتب الدّرس « جواب ـ ما الذى عمل على » ـ ذكر علىّ للتعريض بغباوة السامع . وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلا ، فالتعريض والتقوية حالان والذكر والتقديم مقتضيان . والاتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحالين

محمود نعم التلميذ « بعد مدح كثير له » ـ ذكر محمود لقلة الثقة بالقرينة وقدم لتقوية الحكم

ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله ـ حذف المسند وهو خلقنا ـ للعلم به

خلق الانسان من عجل ـ حذف المسند اليه وهو الله تعالى للعلم به

معطى الوسامات والرتب ـ حذف المسنداليه للتنبيه على تعيين المحذوف ادعاء

ألم يجدك يتيما فآوى ـ حذف مفعول آوى للمحافظة على الفاصلة

صاحبك يدعو إلى وليمة العرس ـ حذف مفعول يدعو للتعميم باختصار

لا يعطى ولا يمنع إلا الله تعالى ـ حذف المفعولان لعدم تعلق الغرض بهما

أهين الامير ـ حذف الفاعل للخوف عليه

* لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * قدم نصف الثانى للمحافظة على الوزن

* ما كلّ ما يتمنىّ المرء يدركه * قدمت أداة النفى عـلى أداة العموم لافادة سلب العموم ونفى الشمول

جميع العقلاء لا يسعون فى الشر ـ قـدمت أداة العموم على أداة النفى لافادة عموم السلب وشمول النفى

وعلى الله فليتوكل المؤمنون ـ قدم الجار والمجرور للتخصيص

ونحن التّاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

الجملة الأولى خبرية اسمية من الضرب الابتدائى ـ والمراد بالخبر اظهار الفخر والشجاعة . المسند اليه نحن . ذكر لأن ذكره الأصل . وقدم للتعظيم ، وعرف بالاضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار . والمسند التاركون . ذكر وأخر لأن الاصل ذلك

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمتّ بى من كان فيك يلوم

جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى . والمراد بالخبر التوبيخ . المسند اليه أنت . ذكر وقدم لأن الأصل فيــه ذلك . وعرف بالاضمار لكون المقام للخطاب مع الاختصار . والمسند لفظة الذى ، وقد ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك . وعرّف بالموصولية للتعليل

يعنى أن إخلاف وعــده كان سبب الشماتة واللوم . وأما جملة أشمتّ فمعطوفة على جملة أخلفت . ووُصلت بها لما تقدّم . وعُرف المسند اليه وهو الفاعل فى يلوم بالاضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار

أبو لهب فعل كذا ـ جملة خـبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحـكم بتكرار الاسناد . والمراد بالخبر أصل الفـائدة لمن يجهل ذلك . المسند اليه أبو لهب . ذكر وقدّم لأن الاصل فيه ذلك .وعرف بالعلمية للكناية عن كونه جهنميا

اسئلة على احوال المسند اليه يطلب اجوبتها

ما هو المسـند اليـه ؟ — ما هى أحواله ؟ . — متى يجب ذكره

ما هى الوجوه التى ترجّح ذكره عند وجود القرينـة ؟ . — متى يحـذف ما الفرق بين المعرفة والنكرة ؟ . — لم يُعرّف المسند اليه بالاضمار ؟ . — ما الأصل فى الخطاب ؟ — ما الأصل فى وضع الضمير ؟ — هل يقدّم الضمير على مرجعه ؟ . هـل يوضع الظاهر موضع الضمير ؟ . — لم يعرّف المسند اليه بالعلميّة ؟ . ـ لم يُعرّف بالاشارة ؟ . ـ لم يعرّف بالموصولية ؟ . ـ لم يُعرّف بأل .. ؟ ـ الى كم تنقسم أل ؟ . ـ لم يُعرّف بالاضافة ؟ ، ـ لم يعرّف بالنداء . ؟ لأىّ شئ ينكّر المسند اليـه ؟ . لم يقدّم ؟ . ما الفرق بين عموم السلب وسلب العموم . ـ لم يؤخّر

الباب الرابع

﴿ فى المسند وأحواله (١) ﴾

ألمُسند هو — الخبر ، والفعل التّام ، واسم الفعل ، والمبتدأ الوصف المُستغنى بمرفوعه عن الخبر . وأخبار النّواسخ . والمصدر النّائب عن الفعل

وأحواله هى ـ الذكر ، والحذف ، والتّعريف ، والتّنكير ، والتّقديم والتّأخير ، وغيرها ـ وفى هذا الباب ثلاثة مباحث

المبحث الاول

﴿ فى ذكر المسند أو تركه ﴾

يُذكر المسند للأغراض التى سبقت فى ذكر المسند اليه — وذلك

(١) وانما ذكر المسند بعد المسند اليه لان المسند محكوم به ـ والمسند اليه محكوم عليه ـ والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعا ـ ففعل ذلك وضعا

١ كـكون ذكره هو الأصل ولا مُقتضى للعُدول عنه
نحو: العلم خيرٌ من المال

٢ وكضعف التّعويل على دلالة القرينة — نحو حالى مستقيم
ورزقى ميسور « اذ لو حُذف ميسور — لا يدلُّ عليه المذكور »

٣ وكضعف تنبُّه السّامع، نحو (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا ثَابِتٌ)
(اذ لوحذف ثابت رُبما لا يتنبّه له السّامع لضعف فهمه)

٤ وكالرّدّ على المخاطب — نحو (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ)
بعد قوله تعالى (مَنْ يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)

وكافادة أنه «فِعلٌ» فيفيد التّجدُّدَ والحدوثَ، مقيّداً بأحد الأزمنة
الثلاثة بطريق الاختصار
«أو اسمٌ» فيفيد الثُّبوتَ مطلقاً نحو (يخَادِعُونَ اللهَ وَهوَ خادعهم
٥ فانّ يُخادعون تُفيد التّجدُّد مرّة بعد أخرى، مُقيّداً بالزمان من
غير افتقار الى قرينة تدلُّ عليه ـ كذكر الآن ـ أو ـ الغد
وقوله وهو خادعهم ـ تُفيد الثّبوت مطلقاً من غير نظر الى زمان

ويُحذف المسند لأغراض كثيرة

١ منها اذا دلّت عليه قرينة وتعلّق بتركه غرض مِمّا مرّ فى حذف
المسند اليه

والقرينة

« ا » « إمّا مذكورة كقوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوات

وَالأَرضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) أى خلقهنَّ الله

«ب» وإمّا مُقدّرة كقوله تعالى (يُسَبِّحُ لهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ) أى يُسَبِّحهُ رِجالٌ ـ كأنه قيل من يُسَبِّحه ؟

٢ ومنها الاحتراز عن العبث ـ نحو (إن اللهَ بَرِىءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ ورَسُولُه — أى ورسولُهُ برىءٌ منهم أيضاً

فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة اليه

٣ ومنها ضيق المقام عن ذكره ـ كقول الشاعر

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عنـــدك راضٍ والرّأىُ مُختَلِفُ

« أى نحن بما عندنا راضُون ـ فحذف لضيق المقام »

٤ ومنها اتّباع الاستعمال ـ نحو لولا أنتم لكنّا مؤمنين)

« أى لولا أنتم موجودون » ، ونحو فصبرٌ جميلٌ « أى أجمل »

المبحث الثانى

« فى تعريف المسند أو تنكيره »

يُعرّف المسند

١ لإفادة السّامع حُكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله بإحدى طُرُق التعريف — نحو هذا الخطيب . وذاك نقيب الاشراف

٢ ولإفادة قصره على المسند اليه «حقيقة» نحو سعد الزّعيم إذا لم يكن زعيم سواه ـ أو «ادعاء» مبالغة لكمال معناه فى المسند اليه نحو : سعد الوطنى أى الكامل الوطنية ، فيخرج الكلام فى صورة توهّم أنّ الوطنية لم

توجد الا فيه لعدم الاعتداد بوطنية غيره

وذلك اذا كان المسند معرفاً بلام الجنس (١)

ويُنكّر المسند لعدم الموجب لتعريفه ـ وذلك

١ لقصد إردة العهد ـ أو الحصر ـ نحو أنت أميرٌ وهو وزير

٢ ولاتّباع المسند اليه فى التّنكير ـ نحو تلميذ واقفٌ بالباب

٣ ولإفادة التّفخيم ـ نحو (هُدًى لِلْمُتّقِين)

٤ ولقصد التّحقير ـ نحو: ما خالد رجلا يُذكر

المبحث الثالث

﴿ فى تقديم المسند أو تأخيره ﴾

يُقدمُ المسند إذا وُجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملا نحو قام علىٌّ ـ أو ممّا له الصدارة فى الكلام نحو أين الطريق ؟؟

أو إذا أُريد به غرض من الأغراض الآتية

١ منها التّخصيص بالمسنداليه ـ نحو (لِلّهِ مُلْكُ السّمٰواتِ وَالأَرْضِ)

٢ ومنها التّنبيه من أوّل الأَمر على أنه خبرٌ لانعتٌ كقوله

له هِممٌ لا مُنتَهَى لِكِبارها وَهِمّته الصّغرى أجلٌّ من الدّهر

---

(١) على أن التعريف بلام الجنس لا يفيد أحيانا القصر كقول الخنساء

إذا قبح البكاء على قتيل وجدت بُكاءك الحسنَ الجميل

فالخنساء لا تقصد قصر الجنس على بكاء قتيلها ، ولكنها تريد أن تثبت إليه وتخرجه من جنس بكاء غيره من القتلى ـ فهو ليس من القصر فى شئ

لَهُ رَاحةٌ لو أَنَّ مِعشَارَ جُودِها   على البَرِّ كان البَرُّ أَنْدَى من البحرِ

فلو قيل « همم له » لتوهُّم ابتداءً كون « له » صفة لما قبله

٣ ومنها التّشويق للمُتأخّر اذا كان فى المتقدّم ما يُشوّق لذكره

كتقديم المسند فى قوله تعالى (إنَّ فى خَلْقِ السَّمٰواتِ والأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ) وكقوله

خيرُ الصّنائعِ فى الأنام صنيعةٌ   تنبُو بحاملها عن الإِذلال

٤ ومنها التفاؤل — كما تقول للمريض — فى عافيةٍ أنتَ : وكقوله

سَعِدتْ بغُرَّة وجهك الأيامُ   وتَزَيَّنَتْ بِلقائكَ الأعْوَامُ

٥ ومنها إفادة قصر المُسنداليه على المُسند نحو (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)

« أى دِينكم مقصورٌ عليكم وَدِينى مقصورٌ علىَّ »

٦ ومنها المساءة كقول المتنبى

ومِنْ نَكَدِ الدُّنيا عَلى الحُرّ أن يرى   عدُوًّا له مامن صداقته بُدٌّ

٧ ومنها التّعجب أو التّعظيم أو المدح أو الذّم أو الترحّم أو الدّعاء نحو للهِ دَرّك ، وعظيمٌ أنتَ يا أللهُ . ونِعْمَ الزعيم سعدٌ وبئس الرجل خليل ، وفقير أبوك ، ومباركٌ وصولك بالسّلامة

ويُؤَخَّر المُسْنَدُ لأنّ تأخيره هو الأصل ، وتقديم المسند اليه أهمّ نحو الوطن عزيز

وينقسم المسند من حيث الافرادُ وعدمُه الى قسمين — مفرد — وجملة

فالمسند المفرد قسمان — فعل : نحو قدم سعدٌ — واسم : نحو سعدٌ قادمٌ

والمسند الجملة ثلاثة أنواع

١ أن يكون سببيا نحو خليل أبوه منتصر ـ أو أبوه انتصر ـ أو انتصر أبوه

٢ وأن يقصد تخصيص الحكم بالمسند اليه ـ نحو أنا سعيت في حاجتك (أي الساعي فيها أنا لا غيري)

٣ وأن يقصد تأكيد الحكم — نحو سعد حضر . لما فيها من تكرار الاسناد مرتين

ويؤتى بالمسند ظرفاً للاختصار ـ نحو خليل عندك

وجاراً ومجروراً ـ نحو محمود في المدرسة

تمرين

بين أسباب التقديم والتأخير فيما يأتي

(١) ما كل ما فوق البسيطة كافياً فاذا قنعت فبعض شيء كاف

(٢) وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن شعري فيه من نفسه شعر

(٣) اذا شئت يوماً أن تسود عشيرة فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم

---

(١) قدم حرف النفي وهو « ما » على لفظ العموم وهو (كل) ليدل على عموم السلب ـ والمعنى لا يكفيك جميع ما على الارض إذا كنت طامعا

(٢) اذا كان المسند فعلا منفياً ووسط المسند اليه بين الفعل وحرف النفي كما في هذا المثال وهو (ما أنا قلت) دل ذلك على التخصيص . والمعنى لست القائل لذلك الشعر وحدي ، بل شاركني فيه غيري

ولذلك يعد من الخطأ الذي لا يستقيم معه معنى أن تقول ما أنا فعلت هـذا ولا غيري ، لأن معنى ما أنا فعلت ـ يفيد من نفسه نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك فقولك ـ ولا غيري ، يكون تناقضاً

(٣) قدم الجار والمجرور في قوله (بالحلم سد) ليدل على التخصيص أي أنك تسود بالحلم لا بغيره

(٤) ثلاثة تَشْرق الدنيا ببهجتها   شمس الضّحى وأبو اسحق والقمر

(٥) أَفى الحق أن يُعطَى ثلاثون شاعراً   ويُحرم مادون الرّضا شاعرٌ مثلى

(٦) فكيف وكلٌّ ليس يعدو حِمامه   وما لامرئ عمّا قضى الله مزحل

(٧) قال تعالى (بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشاكِرِين)

(٨) بك اقتدتِ الايام فى حسناتها   وشيمتها لولاك همٌّ وتكريب

تطبيق عام على احوال المسند

لما صدأت مرآة الجنان . قصدت لجلائها بعض الجنان — الجملة الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهو قصدت . وهى خبرية فعلية من الضرب الابتدائى ـ والمراد بها أصل الفائدة . المسند قصد . ذكر لأن ذكره الاصل . وقدم لافادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار . والمسند إليه التاء ـ ذكر لأن الأصل فيه ذلك ـ وأخر

---

(٤) قدم العدد وهو ثلاثة وأخر المعدود ليشوّق اليه . لان الانسان اذا سمع العدد مجموعا يشتاق الى تفصيل آحاده

(٥) قدم الجار والمجرور بعد الاستفهام فى قوله أفى الحق أن يعطى ـ ليدلّ على أن ذلك المقدم هو محط الانكار . فتحليل المعنى أنه لا ينكر الاعطاء ولكنه ينكر أنّ يُعدّ ذلك حقا وصوابا مع حرمانه هو

(٦) قدم أداة العموم على أداة السلب فى قوله (كلٌّ ليس يعدو) ليدلّ على عموم السلب ـ أى أن الناس واحداً واحداً يشملهم حكم الموت ولا مفرّ منه

(٧) قدم المفعول على الفعل فى قوله (الله فاعبد) ليدلّ على التخصيص أى أعبد الله ولا تعبد غيره

(٨) قدم الجار والمجرور على الفعل فى قوله (بك اقتدت) ليدلّ على التخصيص أى أن الاقتداء كان بك لا بغيرك

لاقتضاء المقام تقديم المسند . وعرّف بالاضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار

كأنه الكوثر الفياض ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي ـ والمراد بها المدح . فهي تفيد الاستمرار بقرينة المدح . المسند اليه الهاء . ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بالاضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار . والمسند الكوثر ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ـ وعرف بأل للعهد الذهني

كتاب في صحائفه حِكَم ـ التنكير في هذه الجملة للتعظيم

ما هذا الرجل انسانا ـ نكر المسند « إنسانا » للتحقير

* له همم لا منتهى لكبارها * ـ المسند له ـ قدم لافادة أنه خبر من أول الأمر ، لأنه لو تأخر لتوهم أنه صفة للمسند إليه لأنه نكرة

ولم يكن له كفواً أحد . قدم المسند كفواً . على المسند اليه « أحد » للمحافظة على الفاصلة ـ على رأى بعضهم . والمنصوص عليه في كتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة الى نفي المثل

زهرة العلم أنضر من زهرة الروضة ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح . المسند اليه زهرة العلم . ذكر وقدم لأن الاصل فيه ذلك . وعرف بالاضافة الى العلم لتعظيمه . والمسند أنضر . ذكر وأخر لأن الاصل فيه ذلك ؛ ونكر لتعظيمه

غلامي سافر . أخي ذهبت جاريته . أنا أحب المطالعة ـ الحق ظهر . الغضب آخره ندم ـ أتى بالمسند في هذه المثل جملة لتقوية الحكم لما فيها من تكرار الاسناد

اسئلة على احوال المسند يطلب اجوبتها

ماهو المسند ؟ . — ماهي أحواله ؟ . — لأي شيء يذكر المسند ؟ . — لأيّ شيء يحذف ؟ . — لِمَ يُقدّم ؟ . — لِمَ يؤخر ؟ . — لم يُعرّف ؟ . — لم ينكّر ؟ . — لم يؤتى به جملة

الباب الخامس

﴿ فى الإطلاق (١) ـ والتّقييد ﴾

إذا اقتُصِرَ فى الجملة على ذكر المسند اليه والمسند . فالحكم مطلقٌ والإطلاق يكون حينما لا يتعلّق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهبَ السّامع فيه كلّ مَذهبٍ مُمكنٍ

وإذا زيدَ عليهما شيءٌ ممّا يتعلّق بهما أو بأحدهما . فالحكم مُقيّدٌ والتّقييد يكون حينما يتعلّق الغرض بتقييده بوجه مخصوص ، بحيث لو حُذف القيد لكان الكلام كذباً ـ أو غيرَ مقصود ـ نحو (وما خَلَقْنَا السَّمٰوات والأرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِين) فلو حذف الحال وهو (لاعبين) لكان الكلام كذباً بدليل المشاهدة ـ ونحو يكاد زيتها يضيء ، اذ لو حُذف « يكاد » لفات الغرض المقصود وهو إفادة المقاربة . وهلم جرّاً

واعلم أن معرفة خواصّ التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع ، وباهر الصنع ، ولطائف المزايا ، يسترعى لُبّك إلى أنّ التّقييد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة وتقويتها عند السامع لما هو معروف من أنّ الحكم كلّما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً، وحينئذ

---

(١) الاطلاق والتقييد وصفان للحكم. فالأطلاق أن يقتصر فى الجملة على ذكر المسند والمسند اليه حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه ـ نحو : الوطن عزيز . والتقييد أن يزاد على المسند والمسند اليه شئ يتعلق بهما أو بأحدهما مما لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة ، أوكان الحكم كاذبا نحو الولد النجيب يسرّ أهله

تكون فائدته أتمّ وأكمل

والتّقييد يكون بالتوابع ، وضمير الفصل ، والنواسخ ، وأدوات الشرط والنفى ، والمفاعيل الخمسة ، والحال والتمييز ـ وفى هذا الباب جملة مباحث (١)

المبحث الاول

﴿ فى التّقييد بالنّعت ﴾

أمَّا النَّعت فيؤتى به لأغراض كثيرة

(ا) منها تخصيص المنعوت بصفة تُميِّزه إن كان نكرة — نحو : جاءنى رجل تاجر

(ب) ومنها توضيح المنعوت اذا كان معرفة لغرض

١ الكشف عن حقيقته ـ نحو ـ الجسم الطويل العريض العميق يُشغل حيزاً من الفراغ

٢ أو التأكيد ـ نحو ـ تلك عشرة كاملة ، وأمس الدّابرُ كان يوماً عظيماً

٣ أو المدح — نحو حضر سعد المنصور

٤ أو الذّم — نحو (وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)

٥ أو التّرحّم — نحو قدِم زين المسكينُ

---

(١) اعلم أن التقييد يكون لتمام الفائدة لما تقرّر من أن الحكم كلّما زاد قيده زاد خصوصية ، وكلّما زاد خصوصية زادت فائدته لا فرق بين مسند اليه أو مسند أو غيرهما ، كما لا فرق بين تقييده بالتوابع أو غيرها .

المبحث الثانى

﴿ فى التّقييد بالتوكيد ﴾

أمّا التّوكيد فيُوتى به

١ لمجرّد التّقرير ، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السَّامع نحو جاء الأميرُ ـ الأميرُ

٢ وللتّقرير مع دفع توهُّم خلاف الظّاهر ـ نحو جاءنى الأميرُ نفسُه

٣ وللتّقرير مع دفع توهُّم عدم الشّمول نحو (فَسَجَدَ الملاَئكَةُ كُلُّهمْ أَجمَعُونَ)

٤ ولإرادة انتقاش معناه فى ذهن السّامع . نحو (أُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجنّةَ)

المبحث الثالث

﴿ فى التّقييد بعَطف البيان ﴾

أما عطف البيان فيُؤتى به

«ا» لمجرّد التّوضيح للمتبوع باسم مُختصّ به[1] نحو أقسم بالله أبو حفص عُمَر

«ب» وللمدح . كقوله تعالى (جَعَلَ اللّهُ الْـكَعْبَةَ « الْبيْتَ الْحرَامَ » قِياماً لِلنَّاس) فالبيت الحرام عطف بيان للمدح

المبحث الرابع

﴿ فى التَّقييد بعطف النَّسق ﴾

أما عطف النّسق فيُؤْتى به للأغراض الآتية

---

(١) يكفى فى التوضيح أن يوضّح الثانى الأولَ عند الاجتماع ، وإن لم يكن أوضحَ منه عند الانفراد ، نحو على زين العابدين ، ونحو : عسجد ذهب

١ لتفصيل المسند اليه باختصار ، نحو : جاء سعد وسعيد ، فانه أخصر من : جاء سعد ، وجاء سعيد ، ولا يعلم منه تفصيلُ المسند لأن الواوَ لمطلق الجمع

٢ ولتفصيل المسند مع الاختصار أيضاً ، نحو جاء نصرٌ فمنصورٌ (١) أو ثم منصور ، أو جاء الأميرُ حتى الجند . لأن هذه الأحرفَ الثلاثةَ مُشتركة فى تفصيل المسند — إلا أنّ الأولَ يفيد الترتيبَ مع التَّعقيب والثانى يفيد التَّرتيب مع التراخى — والثالث يفيد ترتيبَ أجزاء ماقبله ذاهباً من الأقوى الى الأضعف أو بالعكس — نحو مات الناس حتّى الأنبياء

٣ ولردِّ السامع الى الصَّواب مع الاختصار — نحو جاء نصر — لا منصور أو : لكن منصور

٤ ولصرف الحكم الى آخَر — نحو ماجاء منصور بل نصر

٥ وللشكِّ من المتكلم — أو التَّشكيك للسّامع ، أو للإبهام — نحو (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ)

٦ وللإباحة أو التّخيير — نحو تعلَّم نحواً أو صرفاً . وتَزوَّجْ هنداً أو أختها — ونحو تعلَّم إمَّا صرفاً وإمَّا نحواً ، وتَزوّج إمَّا هنداً أو أختها

---

(١) قد تجىء الفاء للتعقيب فى الذكر دون الزمان — إما مع ترتيب ذكر الثانى على الأول كما فى تفصيل الاجمال فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى — ونحو ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين

وإما بدون ترتيب وذلك عند تكرير اللفظ الأول — نحو بالله — فبالله

وقد تجىء ثم للتراخى فى الذكر دون الزمان — إما مع الترتيب المذكور نحو

ان من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد قبل ذلك جده

المبحث الخامس

فى التقييد بالبدل

يُؤتى بالبدل لزيادة التقرير والإيضاح ، لأن البدل مقصودٌ بالحكم بعد إبهام ، نحو حضر ابنى علىٌّ . فى بدل الكلّ — وسافر الجندُ أغلبُه فى بدل البعض . ونفعنى الاستاذ علمُه . فى بدل الاشتمال — ووجهك بدرٌ شمسٌ — فى بدل الغلط (١) لإفادة المبالغة التى يقتضيها الحال

المبحث السادس

فى التقييد بضمير الفصل

يُوتى بضمير الفَصل لأغراض

١ منها التخصيص، نحو (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)

٢ ومنها تأكيد التخصيص إذا كان فى التركيب مخصصٌ آخرُ كقوله تعالى (إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)

٣ ومنها تمييز الخبر عن الصفة ، نحو — العالِم هو العاملُ بعامه

فان الغرض ترتيب درجات حال الممدوح . فابتدأ بسيادته ثم بسيادة أبيه . ثم بسيادة جده . وإما بدون ترتيب نحو وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين . . ولا ستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى نحو ثم أنشأناه خلقا آخر فنزلوا الترتيب فى هـذه الأمور منزلة الترتيب الزمانى المستفاد منها بأصـل الوضع ولذا يكون استعمالها فى هذه الأمور مجازاً

(١) لـكن الحق الذى عليه الجمهور أن بدل الغلط لايقع فى كلام البلغاء

المبحث السابع

(فى التَّقييد بالنّواسخ)

التَّقييد بها يكون للأغراض التى تؤدِّيها معانى ألفاظ النَّواسخ كالاستمرار — أو لحكاية الحال الماضية فى « كان » (١)
وكالتوقيت بزمن مُعيّن فى « ظلّ ، وبات ، وأصبح ، وأمسى وأضحى »
وكالتّوقيت بحالة معيَّنة فى « مادام »
وكالمقاربة فى « كاد ، وكَرب ، وأوشك »
وكالتّأكيد فى « إنّ وأنّ » — وكالتّشبيه فى « كأنّ »
وكالاستدراك فى « لكنّ » — وكالرّجاء فى « لعلّ » — وكالتمنّى فى « ليتَ » ـ وكاليقين فى « وجد ، وألفى ، ودَرى ، وعلم ـ وكالظنّ فى خال ، وزعم ، وحسِب ، وكالتحوُّل : فى « اتَّخذ وجعل وصيَّر » وهلمّ جرّا

المبحث الثامن

﴿ فى التقييد بالشّرط ﴾

التَّقييد به يكون للأغراض التى تُؤَدِّيها معانى أدوات الشّرط ـ كالزّمان فى « متى وأيّان » والمكان فى أين ، وأنّى ، وحيثما ـ والحال فى « كيفما » واستيفاء ذلك وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يُذكر فى علم النحو وإنّما يفرّق هُنا بين (إنْ وإذَا ولو) لاختصاصها بمزايا تُعدُّ من وجوه البلاغة

---

(١) فالجملة تنعقد من الاسم والخبر ـ أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر ويكون الناسخ قيداً ـ فاذا قلت . رأيت اللهَ أكبرَ كل شئ . فمعناه الله أكبر كل

الفرق بين ان ـ واذا ـ ولو

الأصل عدم قطع المتكلّم بوقوع الشَّرط فى المستقبل مع « أن » ومنْ ثمَّ كَثُرَ أن تُستَعمل « إنْ » فى الأحوَال التى يندُر وقوعها ووجب أَنْ يتلوَها لفظ المضارع لاحتمال الشكّ فى وقوعه [١]

بخلاف « اذا » فتُستعمل بحسب أصلها فى كلّ ما يَقطع المتكلّم بوقوعه فى المستقبل ـ ومن أجل هذا لاتُستعمل « إذا » الاّ فى الأحوال الكثيرة الوقوع ، ويتلوها الماضى لدلالته على الوقوع قطعاً ـ كقوله تعالى (فإذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالوا لَنَا هَذِهِ وإنْ تُصِبْهُمْ سَيئَةٌ يَطَّيَّروا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ)

فلكون مجىء الحسنة منه مُحقَّقًا ـ ذكر هو والماضى مع (اذا)

وإنَّما كان ماذكر مُحققا ـ لأنّ المرادَ بها مُطلقُ الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خَصب ورخاء وكثرة أولاد ، كما يفهم من التّعريف بأل الجنسية فى لفظة « الحسنة »

ولكون مجئ السَّيئة نادراً ذُكر هو والمضارع مع (أن)

وإنَّما كان ما ذُكر نادراً لأنّ المراد بها نوعٌ قليلٌ وهو جدْبٌ وَبَلاءٌ كما يُفهم من التّنكير فى لفظة « سيّئة » الدّال على التّقليل

ولو ـ تفيد انتفاءَ الشىء بسبب انتفاء غيره فى الماضى مع القطع

شئ على وجه العلم واليقين . وهكذا . (١) ولذا لا يقال إن طلعت الشمس أزرك : لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه ، وانما يقال إذا طلعت الشمس أزورك

بانتفاء الوقوع

ويجب كون جملتيها فعليتين ماضويتين، نحو: لو أتقنت عملك لبلغت أملك

وتسمى «لو» حرف امتناع لامتناع ـ كقوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا) ونحو : (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين) أى انتفت هدايته إياكم بسبب انتفاء مشيئته لها

تنبيهات

الأول ـ يُعلم مما تقدم أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب فاذا قلت إن اجتهد فريد كافأته: كنت مخبراً بأنك ستكافئه ، ولكن فى حال حصول الاجتهاد، إلا فى عموم الأحوال (١)

ويتفرع على هذا أنها تُعدّ خبرية أو انشائية باعتبار جوابها

الثانى ـ ماتقدم من الفرق بين «إن» و «إذا» هو مقتضى الظاهر

وقد يَخرُج الكلامُ على خلافه ، فتستعمل «إنْ» فى الشرط المقطوع بثبوته أو نفيه — لأغراض كثيرة

«١» كالتجاهل ـ نحو قول المعتذر ـ ان كُنْتُ فعلتُ هذا فمن خطأ

---

(١) قال السكاكى قد يُقيّد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعى التقييد به ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية والانشائية ـ فالجزاء إن كان خبرا فالجملة خبرية نحو إن جئتنى أكرمك أى أكرمك لمجيئك، وان كان انشاء فالجملة انشائية نحو ان جاءك خليل فأكرمه ، أى أكرمه وقت مجيئه ، فالحكم عنده فى الجمل المصدّرة بان وأمثالها فى الجزاء ، وأمّا نفس الشرط فهو قيد المسند فيه ، وقد أخرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب

«ب» وكتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى علمه كقولك للمتكبّر توبيخاً له — إنْ كنتَ من تراب فلا تفتخر

«ج» وكتغليب غير المتّصف بالشّرط على المتّصف به كما إذا كان السّفرُ قطعيَّ الحصول لسعيد ، غيرَ قطعيٍّ لخليل ، فتقول ان سافرتما كان كذا(١)

وقد تُستعمل إذا فى الشرط المشكوك فى ثبوته أو نفيه ، لأَغراض

(ا) منها الإشعار بأن الشّك فى ذلك الشّرط لاينبغى أن يكون مشكوكا فيه . بل لاينبغى ألاّ يكون مجزوماً به — نحو اذا كثُر المطر فى هذا العام أَخصب النّاس

(ب) ومنها تغليب المتّصف بالشّرط على غير المتّصف به — نحو اذا لم تسافرْ كان كذا ـ وهلّم جرّا من عكس الأغراض التى سبقت

الثالث ـ لمّا كانت (إن) و(إذا) لتعليق الجزاء على حصول الشرط فى المستقبل وجب أن يكون شرطُ وجزاءُ كلٍّ منهما جملةً فعليةً استقبالية لفظاً ومعنى ، كقوله تعالى (وإنْ يَستغيثُوا يُغَاثُوا بماءٍ كَالمُهْلِ)

---

(١) أى ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به ، فاستعملت إن فى المجزوم وهو من قطع له به بسبب تغليبه على من لم يقطع له به ـ وهذا السبب مسائغ لذكر إن ـ واعلم أن التغليب (الذى هو أن يعطى أحد المصطحبين أو المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجرى فى أساليب كثيرة لنكات عديدة ، مجحت بها المطولات فى هذا المقام . واعلم أن المقصود بالذات من جملتى الشرط والجواب هو جملة الجواب فقط وأما جملة الشرط فهى قيد لها فاذا قلت ان زارنى سليم أكرمته فالمقصود أنك ستكرم سليما ولكن فى حال زيارته لك . فتعدّ اسمية أو فعلية خبرية أو إنشائية باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلا : فارجع اليه إن شئت

وكقول الشاعر * وإذا تُرَدّ إلى قليلٍ تقنعُ *

ولا يُعدلُ عن استقباليّة الجملة لفظاً ومعنى الى استقباليتها معنى فقط إلاّ لدواعٍ غالباً

« ا » منها التفاؤل — نحو — إنْ عِشتُ فعلتُ الخير (١)

« ب » ومنها تخييل إظهار غير الحاصل « وهو الاستقبال » فى صورة الحاصل « وهو الماضى » — نحو — إنْ متُّ كان ميراثى للفقراء

الرّابع — عُلم مما تقدّم من كون « لو » للشّرط فى الماضى لزومُ كون جملتى شرطها وجزائها فعليّتين ماضويّتين . وعدم ثبوتهما

وهذا هو مُقتضَى الظّاهر — وقد يخرج الكلام على خلافه

فتُستعمل « لو » فى المضارع لدواعٍ اقتضاها المقامُ — وذلك

« ا » كالاشارة الى أن المضارعَ الذى دخلت عليه يُقصد استمراره فيما مضى وقتاً بعد وقت ، وحصوله مرّة بعد أخرى — كقوله تعالى (لَوْ يُطِيعُكُمْ فى كثيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) (٢)

« ب » وكتنزيل المضارع منزلة الماضى (لصدوره عمّن المُستقبلُ عنده بمنزلة الماضى فى تحقق الوقوع ، ولا تخلّفَ فى أخباره كقوله تعالى (وَلَوْ

---

(١) وقد تستعمل إن فى غير الاستقبال لفظا ومعنى — وذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط فى الماضى حقيقة كقول أبى العلاء المعرى

فياوطنى إن فاتنى بك سابق من الدهر فلينعم بساكنك البالُ

وقد تستعمل اذا أيضا فى الماضى حقيقة نحو حتى اذا ساوى بين الصّدفين وللاستمرار نحو : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا (٢) أى امتنع عنتكم أى وقوعكم

تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) (١)

المبحث التاسع

﴿ فى التقييد بالنفى ﴾

أَلتقييد بالنّفى يكون لسلب النّسبة على وجه مخصوص ممّا تفيده أحرف النّفى السّبعة — وهى — لا . وما . ولات . وإنْ ولنْ . ولم . ولمّا

(فلا) للنّفى مطلقاً — و(مَا وإنْ ولاَتَ) لنفى الحال إنْ دخلت على المضارع ـ و (لن) لنفى الاستقبال . و (لم ولمّا) لنفى المُضىّ ـ الاّ أنه (بلمّا) يَنسحبُ الى مابعد زمن التكلُّم : ويختصّ بالمتوقّع ـ وعلى هذا فلا يقال لمّا يقم خليلٌ ثم قام . ولا : لمّا يجتمع النقيضان ـ كما يقال لم يقم علىٌّ ثم قام ولم يجتمع الضّدان ؛ فلمّا فى النفى تقابل (قد) فى الاثبات . وحينئذ يكون منفيُّها قريباً من الحال ـ فلا يصحّ لمّا يجئْ خليل فى العام الماضى

المبحث العاشر

﴿ فى التّقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها ﴾

أَلتَّقييدُ بها يكون لبيان نوع الفعل ؛ أو ماوقع عليه . أوفيه . أو لأجله

فى جهد وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على اطاعتكم (١) نزل وقوفهم على النار فى يوم القيامة منزلة الماضى فاستعمل فيه إذ ولفظ الماضى وحينئذ فكان الظاهر أن يقال ولو رأيت بلفظ الماضى ـ لكن عدل عنه الى المضارع تنزيلا للمستقبل الصادر عمّن لاخلاف فى خبره منزلة الماضى الذى عُلم وتحقّق معناه — كأنه قيل قد انقضى هذا الأمر وما رأيته — ولو رأيته لرأيت أمراً فظيعا

أو بمُقارنته . ويُقيّد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عاملها . ويُقيّد بالتّميز لبيان ماخَفِيَ من ذَات أو نِسبة . فتكون القيودُ هي محطُّ الفائدة ، والكلام بدونها كاذبٌ — أو غيرُ مقصود بالذّات — كقوله تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) وقد سبق القولُ في ذلك مفصلًا

تنبيهان

الأول — عُلِم مِمّا تقدّم أن التّقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض التي سبقت — وتقييدها اذا كانت (مذكورة)

أما إذا كانت (محذوفة) فتفيد أغراضاً أُخرى

١ منها التّعميم باختصار — كقوله تعالى (واللهُ يَدْعُوا إلى دَارِ السَّلَامِ) (أي جميعَ عباده) لأنّ حذف المعمول يؤذن بالعمُوم [(١)] (ولو ذُكر لفات غرض الاختصار)

٢ ومنها الاعتماد على تقدّم ذكره — كقوله تعالى (يَمْحُو اللهُ مَايَشَاءُ ويُثْبِتُ) أي ويثبتُ مايَشاء

٣ ومنها طلب الاختصار — نحو (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) أي يغفر الذُّنوب

٤ ومنها استهجان التّصريح به نحو: (مارأيتُ منه ولارأى منّي) أي العورة

---

(١) أي ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبا كقوله

فلو شئت أن أبكي دما لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وأعددته ذخراً لكلّ ملمّة ... وسهم المنايا بالذخائر أولع

فان تعلّق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب . فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر في نفس السامع

٥ ومنها البيانُ بعد الإبهام ـ كما فى حذف مفعول فعل المشيئـة [١] ونحوها [٢] اذا وقع ذلك الفعل شرطا فأنّ الجواب يدلّ عليه ويبيّنه بعد إبهامه فيكون أوقع فى النفس ، ويقدّر المفعول مصـدراً من فعل الجواب نحو (فَمَنْ شَاء فَلْيُؤْمِنْ) أى فمن شاء الإيمان

٦ ومنها المحافظة على سجع ـ أو : وزن

فالأول — كقوله تعالى (سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخشى)

إذ لو قيل يخشى الله ـ لم يكن على سنن رؤوس الآى السّابقة

والثانى ـ كقول المتنبى

بنَاهَا فأعلى والقنَا يقرعُ القنَا ومَوجُ المنايا حَولها متَلاطِمُ

أى فأعلاها

٧ ومنها تعيُّن المفعول ـ نحو رعت الماشية (أى نباتاً)

٨ ومنها تنزيل المتعدّى منزلة اللّازم لعدم تعلّق الغرض بالمعمول بل يجعل المفعول نسياً ، بحيث لا يكون ملحوظاً مقدّرا ولا يلاحظ تعلق الفعل به أصـلا كقوله تعالى (هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعلَمُونَ والَّذِينَ لاَ يَعلَمُونَ) [٣]

---

(١) هذا التعميم و إن أمكن بذكر المفعول على صيغة العام ، لكن يفوت الاختصار المطلوب

(٢) اى مايرادفها فى المعنى كالارادة والمحبة (٣) أى فالغرض مجرد اثبات العلم ونفيه بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص ـ والمعنى لا يستوى من ثبتت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له ، فلو قدر له مفعول وقيل هل يستوى الذين يعلمون الدين

الثانى ـ الأصل فى العَامل أن يُقدّم على المعمول

وقد يُعكس فيقدّم المعمول على العامل لأغراض شتّى

١ منها التّخصيص ـ نحو (إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِين) (١)

٢ ومنها رَدُّ المخاطَب الى الصّواب عند خَطئِهِ فى تعيين المفعول نحو : نصراً رأيتُ ـ ردًّا لمن اعتقد أنك رأيت غيره

٣ ومنها كون المتقدّم محطّ الإنكار مع التّعجب ـ نحو أبعدَ طُولِ التّجربةِ تنخدع بهذه الزّخارف

٤ ومنها رِعاية مُوازاة رُؤوس الآى ـ نحو (خُذُوهُ فغُلُّوهُ ، ثمَّ الْجَحيمَ صَلُّوهُ) وَهلمَّ جرًّا من بقية الأغراض التى سبقت (٢)

والذين لا يعلمونه لفات هذا الغرض (١) وذلك لأن المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به ، لا مجرد الاخبار بأنّ العبادة له ، فاستفادة التخصيص من التقديم إنما هى بحسب المقام لا بأصل الوضع

(٢) أى فيكون التقديم للتبرك والاستلذاذ وموافقة كلام السامع والاهتمام وضرورة الشعر ، وغير ذلك ـ واعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات

إمّا لأمر معنوى نحو وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ـ فلو أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل ، والمراد كونه من صلة فعله

و إما لأمر لفظى نحو ولقد جاءهم من ربهم الهدى ـ فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل لأنها مبنيّة على الألف ـ وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض إما لاصالة فى التقدم لفظا نحو حسبت زيداً كريما فان زيداً وإن كان مفعولا فى الحال لكنه مبتدأ فى الأصل ـ أو معنى نحو أعطى زيد عمراً درهما فان عمراً وإن كان مفعولا بالنسبة إلى زيد لكنه لا يخلو من معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم لأنه آخذ والدرهم مأخوذ

تطبيق عام على الاطلاق والتقييد

اذا كنتَ فى نعمة فارعَها فانّ المعاصى تزيل النّعم

جملة فارعها انشائية أمرية والأمر مستعمل فى أصل معناه ، المسند اليه أنت وهى مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل ، ومقيدة بالشرط للتعليق ، وكانت أداة الشرط إذا لتحقق الحصول « فان المعاصى تزيل النعم » جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بالخبر التحذير من المعاصى

المسند اليه المعاصى والمسند جملة تزيل ، وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد ،وقيّد بالمفعول به « النعم »لبيان ماوقع عليه الفعل ، والحكم مقيد بأنّ للتوكيد

إن اجتهد خليل أكرمته — الجملة « أكرمته » وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى المسندأكرم والمسند اليه التاء وهى مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل ، و بالشرط للتعليق . وكانت أداة الشرط « إن» لعدم الجزم بوقوع الفعل

وأصابت تلك الرُّبى عين شمس أورثتها من لونها اصفرارا
كلما جال طرفها تركت النا س سكارى وما هم بسكارى

« وأصابت تلك الربى » جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بالخبر أصل الفائدة ــ المسند أصاب ، ذكر لأن الأصل فيه ذلك . وقدّم لافادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار ، والمسند اليه عين شمس ، ذكرلأن الأصل فيه ذلك وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند وخصص بالاضافة لتعينها طريقا لاحضار معناه فى ذهن السامع . والمضاف اليه شمس قيد بالصفة « أورثتها من لونها » لانها فى محل جر صفة شمس للتخصيص . وقيد الحكم بالمفعول به « تلك » لبيان ماوقع عليه الفعل وعرف المفعول به بالاشارة لبيان حاله فى البعد . وقيد المفعول بالبدل « الربى » لتقرير حاله فى نفس السامع « تركت الناس سكارى » هى الجملة لان الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهى جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى والمراد بالخبر التفخيم المسند اليه الناس ، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بأل للعهد الذهنى

لأن المراد بالناس الذين نظروا اليها ، والمسند سكارى ذكر وأخر لأن الاصل فيه ذلك ونكر للتهويل والحكم مقيد بترك لافادة التحويل وبالشرط للتعليق وكانت أداة الشرط كلما لافادة التكرار « وما هم بسكارى » جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث والمراد بالخبر أصل الفائدة ، المسند اليه هم والمسند سكارى والحكم مقيد بما لنفى الحال .

لا تيأسنّ وكن بالصبر معتصما لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

« لا تيأسن » جملة انشائية نهيية والمراد بالنهى الارشاد . المسند لاتيأس والمسند اليه أنت . و « كن بالصبر معتصما » أصلها أنت معتصم بالصبر : وهى جملة انشائية أمرية والمراد بالأمر الارشاد أيضا ، المسند اليه الضمير المستتر فى كن والمسند معتصما والحكم مقيد « بالصبر » لبيان ما وقع عليه الفعل ، وبالأمر « كن » لافادة التوقيت بالاستقبال « لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا » أصلها لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى والمراد بالخبر الحث على الصبر . المسند تبلغ والمسند اليه أنت والحكم مقيد بلن للنفى فى المستقبل . وبالجار والمجرور لبيان غاية الفعل ،

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فى البيت جملة انشائية غير طلبية وهى اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الاسناد ـ المسند اليه « الكرب » ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرف بأل للعهد الذهنى ، وقيد بالنعت « الذى أمسيت فيه » لتوضيحه والمسند يكون الخ والحكم مقيد بعسى لافادة الرجاء ـ وأما جملة النعت «الذى أمسيت فيه» فهى جملة خبريه اسمية من الضرب الابتدائى المسند اليه فيها التاء ـ والمسند الجار والمجرور والحكم مقيد بأمسى لافادة المساء وجملة الخبر « يكون وراءه فرج قريب» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى . المسند اليه فيها « فرج » ذكر لأن الأصل فيه ذلك وأخر لضرورة النظم وقيد بالنعت « قريب » لافادة القرب والمسند

وراءه — ذكر لأن الأصل فيه ذلك وقدم للضرورة والحكم مقيد بالناسخ « يكون » لافادة الاستقبال

يوشك من فرّ من منيّته في بعض غِرّاته يوافقها

أصل الجملة يوشك من فر من منيته يوافقها فى بعض غراته وهى جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بها التيئيس من الخلود فى هذه الدنيا ، المسند اليه « من » ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرّف بالموصولية لعدم العلم بما يخصه غير الصلة والمسند جملة يوافقها . ذكر وأخّر لأن الاصل فيه ذلك وأتى به جملة لتقوية الحكم وقيد بالجار والمجرور لبيان زمنه . والحكم مقيد بالناسخ « يوشك » لافادة المقاربة

ان الثمانين وبلّغتها قد أحوجت سمعى الى ترجمان

ان الثمانين قد أحوجت . جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث والمراد بها اظهار الضعف ـ المسند اليه « الثمانين » ذكر وقدّم لان الاصل فيه ذلك ، وعرّف بأل للعهد الذهنى . والمسند (قد أحوجت) ذكر وأخّر لان الاصل فيه ذلك وأتى به جملة لتقوية الحكم ـ والحكم مقيد بأن وقد للتوكيد ، وأما قوله و بلغتها فهى معترضة للدعاء وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . المسند اليه التاء والمسند بلغ ، والحكم مقيد بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل

اسئلة على الاطلاق والتقييد يطلب أجوبتها

ما هو الاطلاق ؟ . ـ ما هو التقييد ؟ ـ متى يكون الاطلاق ؟ . متى يكون التّقييد ؟ . لماذا يقيّد بالنعت ؟ ـ لماذا يقيد بالتوكيد ؟ . لماذا يقيد بعطف النسق ؟ . ـ لماذا يقيد بالبدل ؟ . ـ لماذا يقيد بالمفاعيل الخمسة ؟ . لماذا يقيد بالحال ؟ . ـ لماذا يقيد بالتميز ؟ . ـ لماذا يقيد بالنواسخ ؟ . ـ لماذا يقيد بضمير الفصل ؟ . لماذا يقيد بالشرط ؟ ـ ما الفرق بين إن وإذا ولو ؟ . ما المقصود

من الجملة الشرطية ؟ . ـ هل يمكن أن تستعمل إن فى مقام الجزم بوقوع الشرط ؟ . ـ هل يمكن أن تستعمل إذا فى مقام الشك ؟ : ـ هل يمكن أن تستعمل لو مع المضارع ؟ . لماذا يقيد بالنفى ؟

الباب السادس

« فى أحوال متعلّقات الفعل »

ألأصل فى الفعل بناؤه للمعلوم ، وقد يُبنى للمجهول ويُحذف الفاعل لأغراض شتّى .

١ للعلم به ـ نحو (خُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً)

٢ أو للجهل به ـ نحو ـ سُرق المتاع ـ اذا لم يُعرف السّارق

٣ أو للخوف عليه ـ نحوشُتِمَ الأَمير . اذا خيف على الشّاتم

٤ أو للخوف منه ـ نحو قتل قَتيل : إذا خِيف مِن القاتل

٥ أو للمُحافظة على سجع ـ نحو (من طابت سريرته حُمدت سيرته)

٦ أو لتعظيم الفاعل اذا كان الفعل خسيساً — أو صونه عن اللّسان نحو تُكلِّم بما لا يليق

٧ أو لتحقيره بصون اللّسان عنه نحو ـ قد قِيلَ ما قِيلَ

والأصل في المفعول أن يُؤَخّر عن الفعل ولا يُقدّمُ عليه إلاّ لأغراض كثيرة

١ منها التّخصيص ـ نحو (إِيّاكَ نَعْبُدُ) ردًّا على من قال أعتقد غير ذلك

٢ ومنها رِعاية الفاصلة — نحو (ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ)

٣ منها التبرُّك — نحو — كتاباً مقدَّساً تلوتُ

٤ ومنها التلذُّذ — نحو — الحبيبَ قابلتُ

والأصل فى العامل أن يُقدّمَ على المعمول ؛ كما أنَّ الأصلَ فى المعمول أن تُقدّم عُمدتُه على فَضلتِهِ — فيُحفظ هذا الأصلُ بين الفعل والفاعل

أمّا بين الفعل والمفعول ونحوه كالظّرف والجارّ والمجرور فيختلف التّرتيب للأسباب الآتية

(ا) إمّا لأمرٍ معنوىّ — نحو (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجلٌ يَسْعَى) (فلو أُخِّر المجرور لتُوُهِّم أنه من صلة الفاعل وهو خلافُ الواقع لأنه صلةٌ لفعله)

(ب) وإمّا لأمرٍ لفظى — نحو (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى)

فلو قُدِّم الفاعل لاختلفتِ الفواصلُ ، لأنها مبنيةٌ على الالف

(ج) وإما للأهميّةِ — نحو — قُتل الخارجىُّ فلانٌ

وأمّا تقديم الفضلات على بعض — فقد يكون

(ا) للأصالة فى التقدُّم لفظاً — نحو — حسِبتُ الهلال طالعاً ،

فانَّ الهلال وان كان مفعولاً فى الحال لكنه مبتدأ فى الأصل

أو للأصالة فى التقدُّم معنى — وذلك كالمفعول الأول فى نحو : أعطى الأمير الوزير جائزة ، فإن الوزير وإن كان مفعولا بالنسبة الى الأمير ، لكنه فاعل فى المعنى بالنِّسبة الى الجائزة (١)

(ب) أو لإخلال فى تأخيره — نحو مررت راكباً بفلان — فلو أخرت

(١) لان الجائزة مأخوذة ، والآخذ لها الوزير الذى فيه معنى الفاعلية التى تستدعى حق التقدم

الحال لتُوُهِّمَ أنها حال من المجرور ، وهو خلاف الواقع فإنها حال من الفاعل والأصل فى المفعول ذكره ، ولا يحذف إلاَّ لأغراض تقدَّم ذكرها

الباب السابع فى القصر

القصر لغة الحبس – واصطلاحا هو تخصيص أمرٍ بآخرَ بطريق مخصوص أو – هو: إثبات الحكم لما يذْكر فى الكلام ونفيه عمّا عداه بإحدى الطرق الآتية

نحو : ما فَهِمَ الا خليل – فمعناه تخصيص الفهم بخليل ، ونفيه عن غيره مِمَّن يُظَنُّ فيه ذلك – فما قبل « إلاَّ » وهو الفهم يسمّى مقصوراً

وما بعدها وهو (خليل) يسمى مقصوراً عليه (وما – وإلا) طريق القصر ولكل قصر طرفان «مقصور، ومقصور عليه » وفى هذا الباب أربعة مباحث.

المبحث الاول

« فى طُرق القصر »

للقصر طُرُقٌ كثيرة – وأشهرها فى الاستعمال أربعة [1] وهى

١ – النفى والاستثناء ، نحو : ما شوقى الاَّ شاعر – أو : ما شاعر الأَ شوقى

---

(١) ومن طرق القصر التى ليست مشهورة الاستعمال لفظ :وحده . أو فقط . أو لا غير . أو ليس غير . أو مادة الاختصاص، أو مادة القصر . أو توسط ضمير الفصل. أو تعريف المسند اليه . أو تقديم المسند اليه على خبره الفعلى أحيانا وغير ذلك . وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية وقد أوصلها السيوطى فى كتاب الاتقان فى علوم القرآن إلى أربعة عشر طريقا

أهمها الطرق الاربعة المشهورة الاستعمال وهى تختلف من أوجه كثيرة

٢ — وإنما — نحو : « إنّما يخشَى اللهَ من عباده العلماءُ »

٣ — والعطف بلا ـ وبل ـ ولـكن ـ نحو :الأرض متحركة لا ثابتة

أو: ما الأرض ثابتة بل متحركة ـ أو: ما الأرض ثابتة لـكن متحركة

٤ — وتقديم ماحقّه التّأخير — نحو إيَّاكَ نعبدُ وإيّاكَ نستعين

« وتوضيح ذلك » أن المقصور عليه « فى النفى والاستثناء » هو مابعد أداة الاستثناء ـ نحو : وما توفيقى الا بالله

والمقصور عليه مع (إنما) يكون مؤخراً فى الجملة وجوباً نحو: انماالدنياغرُور

والمقصور عليه مع (لا) العاطفة هو الواقع قبلها والمُقابِلُ لما بعدها نحو : الفخر بالعلم لا بالمال

والمقصور عليه مع (بل) أو(لـكن) العاطفتين هو الواقع مابعدها نحو : ما الفخر بالمال بل بالعلم ـ ونحو : ما الفخر بالنّسب لـكن بالتّقوى

والمقصور عليه فى(تقديم ماحقّه التأخير) هو المُقدَّم نحو:على اللهتوكلنا

منها أن لا العاطفة لا تجتمع مع النفى والاستثناء لان شرط المنفى بها أن لا يكون منفيا صريحا قبلها بغيرها فلا تقول ما علىٌّ إلاّ مجتهدٌ لا متكاسل ـ ولذا عيب على الحريرى قوله

لعمرك ما الانسان إلا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وتجتمع « لا » مع إنما أو التقديم نحو إنما أنا مصرى لا سورى . ونحو المجتهدَ أكرمتُ لا المتكاسلَ لان النفى فيهما غير مصرح به ـ ومنها أن الاصل فى الحكم مع النفى والاستثناء ـ أن يكون مجهولا منكراً للمخاطب (أى شأنه أن يجهله المخاطب وينكره) بخلاف إنما لانّ النفى مع الاستثناء لصراحته أقوى فى التأكيد من إنما فينبغى أن يكون لشديد الانكار . ونحو :قولك (وقد رأيت شبحاً من بعد) ما هو

ملاحظات

١ ـ للقصر بإنّما مزيّة على العطف لأنّها تفيد الاثبات للشيء ، والنفى عن غيره دَفعة واحدة ، بخلاف العطف فانه يفهم منه الاثبات أولاً ، ثم النفى ثانياً ـ أو عكسه

٢ ـ القصر بالتّقديم لا يُدَلّ عليه بطريق الوضع كالثلاثة الأول ، بل مرجع دلالته الى الذوق السليم والفكر الصّائب ـ ويُسمّي علماء المعانى التّخصيصَ المُستفادَ من هذه الوسائل بالقصر ـ ويُسمّون الوسائلَ نفسَها طُرُقَ القَصر

إلا زيد لمن اعتقد أنه غيره . ونحو : إن أنتم إلا بشر مثلنا . لما كانوا مصرّين على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة فى البشر . رد المكذبون إصرارهم عليها بقولهم ذلك

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغى فيستعمل فيه النفى والاستثناء نحو (وما محمد إلا رسول) أى مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرّى من الموت

وهذا معلوم للصحابة لكن لاستعظامهم موته لشدة حرصهم على بقائه صلى الله عليه وسلم نزّلوا منزلة من لا يعلمه

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم نحو انما نحن مصلحون . لادّعائهم أن كونهم مصلحين أمر ظاهر . ولهذا رد عليهم بقوله (ألا إنهم هم المفسدون) مؤكدا بما ترى بالجملة ـ فالاستثناء لقوته يكون لرد شديد الانكار حقيقة أو ادعاء ـ و « إنما » لضعفها تكون لرد الانكار فى الجملة حقيقية أو ادعاء ـ ومنها زيادة « انما » على العطف بمزية أنه يفهم منها الحكمان أعنى الاثبات للمذكور ـ والنفى عما عداه معاً ، بخلاف العطف فانه يفهم منه أولا الاثبات ، ثم النفى ، أو عكسه ، نحو انما خليل فاهم ـ خليل فاهم لا حافظ ـ وأحسن مواقعها التعريض نحو انما يتذكر أولوا الألباب

واعلم ان « غير » كإلاّ فى إفادة القصرين ، وفى امتناع اجتماعه مع لا العاطفة فلا يقال ما علىٌّ غير شاعر لا منجم ، وما شاعر غير على لا نصر

المبحث الثانى

﴿ فى تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع الى قسمين ﴾

(ا) قصر حقيقى (١) وهو أن يختصّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألاَّ يتعدّاه إلى غيره أصلا ـ نحو لا إلَهَ إلاّ اللهُ

تنبيهات

الاول ـ الاصل فى العطف أن ينَص فيه على المُثْبت له الحكم والمنفى عنه إلاَّ إذا خيف التطويل ـ وفى الثلاثة الباقية ينَص على المثبتْ فقط

الثانى — النفى بلا العاطفة ـ لا يجتمع مع (النفى والاستثناء) فلا تقول مامحمد إلا ذكى لاغبى . لان شرط جواز النفى بلا أن يكون ما قبلها منفيًّا بغيرها . ويجتمع النفى بلا العاطفة مع كل من انما والتقديم . فتقول : انما محمد ذكى لا غبى و بالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة

الثالث ـ الاصل فى (النفى والاستثناء) أن يجئ لأمر ينكره المخاطب ـ أو يشكّ فيه ـ أو لما هو منزّل هذه المنزلة : ومن الاخير قوله تعالى : وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فى القُبُورِ * إنْ أَنْتَ إلا نَذِيرٌ

الرابع ـ الأصل فى (إنما) أن تجئ لأمر من شأنه أن لا يجهله المخاطب ولا ينكره ، وإنما يراد تنبيهه فقط . أو لما هو منزل هذه المنزلة . فمن الأول قوله تعالى : (إنّمايَستَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) وقوله تعالى (إنّماعليك البلاغ وعلينا الحساب) ومن الثانى قوله تعالى حكاية عن اليهود : إنّما نَحْنُ مُصْلِحُون ، فهم قد ادّعوْا أن إصلاحهم أمرٌ جلىٌّ لا شكّ فيه ـ وقال الشاعر

أنا الزّائد الحامى الذّمار وإنّما ... يُدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلى

(١) ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيقى الادعائى ويكون على سبيل المبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتدّ به

(ب) وقصر إضافى ـ وهو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شئ آخَر مُعيَّن، لا لجميع ماعداه ، نحو: ماخليل إلا مسافر : فانك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره كمحمود مثلا وليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه ، إذ الواقع يشهد ببطلانه

المبحث الثالث

﴿ في تقسيم القصر باعتبار طرفيه ﴾

ينقسم القصر باعتبار « طرفيه المقصور والمقصورعليه »

سواء أكان القصر حقيقياً أم إضافياً إلى نوعين

(١) قصر صفة على موصوف ـ ومثاله من الحقيقى (لا رازقَ إلاَّ الله)

ومثاله من الإضافى ، نحو : لا زعيم إلاّ سعد

(ب) قصر موصوف على صفة . ومثاله من الحقيقى ، نحو : ما الله إلاّ (١) خالقُ كلّ شيء (١)

ومثاله من الإضافى قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ)

---

(١) قصر الموصوف على الصفة فى القصر الحقيقى لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشئ حتى يمكن إثبات شئ منها ونفى ما عداها ـ و يكثر القصر الحقيقى فى قصر الصفة على الموصوف بخلاف القصر الأضافى الذى يأتى كثيرا فى كلّ من قصر الصفة على الموصوف ، وقصر الموصوف على الصفة ـ واعلم أنّ المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية التى تدلّ على معنى قائم بشئ ، سواء أكان اللّفظ الدال عليه جامدا أو مشتقا ، فعلا أو غير فعل ، وليس المراد بها الصفة النحوية المسماة بالنعت

أسباب ونتائج

الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره فى الذهن كقول الشاعر

وما المرء إلا كالهلال وضوئه ... يوافى تمام الشهر ثم يغيب

المبحث الرابع

﴿ في تقسيم القصر الأضافي ﴾

ينقسم القصر الإضافيُّ بنوعيه (١) على حسب حال المخاطب الى ثلاثة أنواع

(ا) قصر إفراد ـ إذا اعتقد المخاطب الشِّركة ـ نحو إنَّما الله إلهٌ واحدٌ « ردًّا على مَن اعتقد أنّ الله ثالثُ ثلاثةٍ »

(ب) قصر قلب — إذا اعتقد المخاطب عكسَ الحكم الذى تُثبِتَه نحو: ماسافر إلا عليّ . « ردًّا على من اعتقد أن المسافرَ خليل لا عليٌ »

ونحو: وما لامرئٍ طول الخلود وانما يخلّده طول الثناء فيخلد

وقد يراد بالقصر المبالغة فى المعنى كقول الشاعر

وما المرء الا الاصغران لسانه ومعقوله والجسم خَلقٌ مُصوّرٌ

وكقوله ـ لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على

وذو الفقار لقب سيف الامام على ، وسيف العاص بن منبه

والقصر قد ينحو فيه الاديب مناحيَ شتى ، كأن يتّجه الى القصر الاضافى رغبة فى المبالغة كقوله

وما الدنيا سِوى حلُم لذيذ تُنبّهه تباشير الصّباح

وقد يكون من مرامى القصر التعريض كقوله تعالى (انما يتذكر أولوا الألباب) اذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ولكنها تعريض بالمشركين الذين فى حكم من لا عقل له

(١) بخلاف الحقيقى بنوعيه ، اذ العاقل لايعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها الا واحدة ، أو يتردد فى ذلك ، كيف وفى الصفات ما هى متقابلة فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها و ينفى عن الباقى إفراداً أو قلباً أو تعيينا

فقد قلبتَ وعكستَ عليه اعتقادَه

(ج) قصر تعيين ـ إذا كان المخاطب يتردّد فى الحكم: كما إذا كان متردّداً فى كون الأرض متحرّكةً أو ثابتة فتقول له: الأرض متحرّكة لا ثابتة «ردّا على مَنْ شكَّ وتَرَدّد فى ذلك»

واعلم أن القصر يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول، وغير ذلك من المتعلّقات

تطبيق (١)

وضّح فيما يلى نوع القصر وطريقه

١ ماالدّهرُ عندكَ إلا رَوضةٌ أُنُفٌ ... يامَن شمائلُهُ فى دهره زهَرُ (١)

٢ ليس عارٌ بأن يُقالَ فقيرٌ ... إنما العار أن يُقال بخيلُ

٣ وإنما الأُممُ الأَخلاق مابقِيت ... فإن همُوا ذَهبتْ أخلاقُهم ذَهبُوا

٤ فلمّا أبى إلاّ البكاءَ رَفَدْتُهُ ... بعَينين كانا للدُّمُوع على قَدْرِ (٢)

٥ مالنـا فى مديحـه غـيرُ نظم ... للمساعى التى سـعاها ووصفُ

نمرة	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
١	ما الدهر . .	موصوف على صفة	إضافى	النفى والاستثناء
٢	انما العار . .	موصوف على صفة	»	إنما
٣	انما الأمم	موصوف على صفة	حقيقى ادعائى	»
٤	فلما أبى . . .	صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٥	مالنا	» »	»	» »

وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف. كما فى المطول وشراح التجريد

(١) روضة أنف، لم يرعها أحد (٢) رفده أعانه. قدر. مصدر قدر على الشئ بمعنى

٦ بك اجتمع الملك المُبَدَّدُ شَمْلُهُ وضُمَّتْ قَوَاصٍ منه بعد قَوَاصي (١)

٧ سيذكرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمُ وفي الليلة الظلماء يُفْتَقَدُ البدرُ (٢)

٨ ما افترقنا في مديحه بل وَصفْنَا بعضَ أخلاقه وذلك يَكفي

تطبيق (٢)

١ قال الله تعالى (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ)

٢ قال تعالى (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ)

٣ قال تعالى (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)

٤ قال تعالى (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)

٥ فإنْ كان في لبس الفتى شرفٌ له فما السَّيْفُ إلا غِمده والحمائلُ (٣)

نمرة	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
٦	بك اجتمع	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور
٧	وفي الليلة . .	موصوف على صفة	»	» » »
٨	ما افترقنا . .	» »	اضافي	بل

نمرة	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
١	إنما الله	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	إنما
٢	إن حسابهم	»	» »	»	النفي والاستثناء
٣	لله ما في السموات .	حقيقي	صفة على موصوف		التقديم
٤	إن أنتم	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	النفي والاستثناء
٥	فما السيف	»	» »	محتمل	» »

(١) المبدد المفرق . القواصي جمع قاصية ، وهي الناحية البعيدة (٢) جد في أمره اجتهد . والجد (بكسر الجيم) . الاجتهاد . وضده الهزل . يفتقد . يطلب

(٣) جفن السيف غمده : والحمائل : جمع حمالة : علاقة السيف .

٦ ليسَ اليتيمُ الذى قدْ ماتَ والدُه بَلِ اليتيمُ يَتيمُ العِلمِ والأَدب

٧ وماشابَ رأسى من سنِينَ تتابَعت علىَّ ولـكن شيبتنى الوقائع

٨ إنَّ الجَديدَينِ فى طولِ اختلافهما لا يَفسُدَان ولـكن يفسُدُ الناسُ

١ لا يألف العلم إلا ذكى — ولا يجفوه إلا غبى

٢ قد علمتْ سلْمى وجاراتُها ما قطَّرَ الفارس إلاَّ أنا

٣ إنما الدنيا هِباتٌ وعوارٍ مُستردَّهْ

شِدَّةٌ بعد رَخاء ورَخاء بعد شِدَّة

٤ على اللهِ توكَّلْنَا — إنّما الأعمال بالنِّيّات ، وإنّما لـكل امرئ مانوى

٥ محاسنُ أوصاف المغنِّين جمَّة وما قصباتُ السبْق إلا لمعْبَد

٦ الى اللهِ أشكو أنَّ فى النّفس حاجةً تمرُّ بها الايَّام وهى كما هِيَا

٧ عند الامتحانِ يُكرمُ المرءُ أو يُهان

رقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور		باعتبار المخاطب	طريقه	
٦	ليس اليتيم . . .	إضافى	صفة على موصوف		محتمل	العطف ببل	
٧	وما شاب	»	»	»	»	»	بلكن
٧	لا يفسدان	»	»	»	»	»	»

رقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
١	لا يألف العلم الا ذكى	قصر صفة على موصوف	حقيقى	النفى والاستثناء
٢	ماقطر الفارس الا أنا	» » » »	»	» »
٣	انما الدنيا هبات	قصر موصوف على صفة	إضافى	إنما
٤	على الله توكلنا	قصر صفة على موصوف	»	التقديم
٥	ماقصبات السبق الاالخ	قصر صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٦	الى الله اشكو	» » » »	حقيقى	التقديم
٧	عندالامتحان يكرم الخ	قصر صفة على موصوف	اضافى	التقديم

٨ هاتِ جملةً تفيد نجاحَ سعد ـ وعدم نجاحَ سعيد ـ بواسطة إنما

٩ رُدَّ بطريق القصر بأنما على من ظنّ أن المطر يكثر شتاء فى السودان

١ (ا) مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية ؟؟ فيكون القصر قصر قلب
(ب) « « « « « « « إفراد
(جـ) « « « « « « « تعيين

وهى (ما أدَّيتُ الا الواجبَ علىَّ)

٢ غيِّر الجملة الآتيةَ بحيث تفيد القصرَ بالعطف
« بالاختراعات الحديثه ارتقت الأمم العربيّة »

أسئلة على القصر يطلب أجوبتها

ماهو القصر لغة واصطلاحا ؟؟ كم قسما القصر ؟؟ ماهو القصر الحقيقى ماهو القصر الاضافى ؟ ـ كم قسما القصر الحقيقى ؟ ـ كم قسما القصر الاضافى مامثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقى ؟ ـ مامثال قصر الصفة على الموصوف من الأضافى ؟ مامثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقى ؟ مامثال قصر الموصوف على الصفة من الأضافى ؟ ـ كم قسما الاضافى بقسميه ؟ على من يُرَدّ بقصر الأفراد ؟ ـ على مَن يُرَدُّ بقصر القلب ؟ ـ على من يُرَدُّ بقصر

---

(٨) إنما نجح سعد لاسعيد (٩) إنما يكثر المطر فى السودان ربيعا لا شتاء

(١) (ا) اذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت غير الواجب عليك
(ب) اذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت الواجب وغيره
(جـ) اذا كان المخاطب مترددا فى تأدية الواجب وغيره

(٢) ارتقت الأمم الغربية بالاختراعات الحديثة لا بغيرها

التعيين ؟ ـ ماهى طرق القصر المصطلح عليها فى هذا الباب ؟ ما أقواها أيمكن وقوع القصر بين الفعل والفاعل ؟ ايمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته ؟ . ـ أيمكن وقوع القصر بين المفعولين ؟ . ـ متى يجب تأخير المقصور عليه ؟ ومتى يكثر تأخير المقصور عليه ؟ . ـ لماذا يجب تأخير المقصور مع انما ؟ ـ ويكثر مع النفى والاستثناء ؟ !

تطبيق عام على القصر ـ والابواب السابقة

لا حول ولا قوة إلا بالله ـ جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذى هو أقوى طرق التوكيد ـ المسند اليه (حول وقوة) والمسند الجار والمجرور . ولا نظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبرها أهل المعانى ولا يعدون حذفه ايجازاً . والحكمان مقيدان بالنفى والاستثناء لافادة القصر ـ ففيهما قصر صفة وهى التحول عن المعاصى ، والقوة على الطاعة على موصوف وهو الذات الأقدس . وهو قصر اضافى طريقه النفى والاستثناء . ثم ان كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصى والقوة على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصر قلب . أو على من يعتقد الشركة فهو افراد . أو على من يتردد فهو تعيين

اياك نعبد واياك نستعين ـ جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث . المسند . نعبد ونستعين . والمسند اليه الضمير المستتر فيهما ـ وهما مقيدتان بالمفعولين إياك . وقدم المفعولين لافادة القصر ـ ففيهما قصر صفة وهى العبادة والاستعانة على موصوف وهو الذات الأقدس . طريقه تقديم ما حقه التأخير ـ وهو اضافى . ثم ان كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى ـ فهو . قلب ـ أو على من يعتقد الشركة فهو افراد . أو على من يتردد فهو ـ تعيين

انما شوقى شاعر ـ فيه قصر موصوف وهو شوقى على صفة وهى الشعر ـ طريقه انما ـ وهو قلب أو إفراد أو تعيين على حسب حال المخاطب

الله الغفور الرحيم ـ فيه قصر الصفة وهى المغفرة والرحمة ـ على موصوف وهو الله تعالى ـ طريقه تعريف المسند بأل

وهو قلب ـ أو افراد ـ أو تعيين ـ على حسب حال المردود عليه

إنما الشجاع علىّ — فيه قصر صفة وهى الشجاعة ـ على موصوف وهو علىّ طريقه إنما

المرء بآدابه لا بثيابه ـ فيه قصر الموصوف على الصفة ، قصر قلب بين المسند اليه والمسند . طريقه العطف بلا

إنّما الاله واحد — فيه قصر الموصوف على الصفة ، قصرا حقيقيا ـ طريقه إنما . وهو واقع بين المسند اليه والمسند

الباب الثامن

﴿ فى الوصل والفصل ﴾

العلم بمواقع الجمُل ، والوقوف على ماينبغى أن يصنع فيها من العطف والاستئناف والتّهدّى إلى كيفية إيقاع حروف العطف فى مواقعها ، أو تركها عند عدم الحاجة اليها صعبُ المسلك ، لا يُوفّق للصّواب فيه الاّ مَن أوتى قسطا وافراً من البلاغة وطُبع على إدراك محاسنها ، ورُزق حظّاً من المعرفة فى ذوق الكلام ، وذلك لغموض هذا الباب ودِقّة مسلكه ، وعظم خطره ، وكثير فائدته ، يدلّ لهذا أنهم جعلوه حدا للبلاغة ـ فقد سُئل عنها بعض البلغاء فقال : هى « معرفة الفصل والوصل » فالوصل عطف جملة على أخرى بالواو ونحوها ـ والفصل ترك هذا العطف (١)

---

(١) اعلم أنه اذا توالت الجملتان . لايخلو الحال من أن يكون — للاولى محل من الأعراب ـ أوْلاَ . وان كان لها محل من الاعراب فلا بد من أن يقصد تشريك الثانية لها فى حكم الاعراب ـ أولا . فان قصد التشريك عطفت الثانية عليها نحو الله يحيى ويميت ـ والاّ فصلت عنها نحو قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الله يستهزئ

والذى يَتكلّم عليه علماء المعانى هُنَا العطفُ « بالواو » خاصَّة دون بقيَّة حروف العطف — لأنَّ الواو هى الأَداة التى تَخفَى الحاجةُ اليها ، ويحتاج العطف بها الى لُطف فى الفهم ، ودقّة فى الإدراك ، إذ لا تفيد إلاّ مجرّدَ الرّبط وتشريكَ ما بعدها لما قبلها فى الحكم — بخلاف العطف بغيرها فيفيد مع التّشريك معانى أخرى — كالتّرتيب مع التّعقيب فى الفاء — وكالتّرتيب مع التّراخى فى ثمَّ — وهكذا باقى حروف العطف التى إذا عُطف بواحد منها

....

بهم . لم يعطف قوله الله يستهزئ بهم على ما قبله لئلا يشاركه فى حكم المفعولية للقول وهو ليس مما قالوه كما سيأتى — وإن لم يكن لها محل من الاعراب فان كان لها حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية وجب الفصل — دفعا للتشريك بينهما — نحو انما أنت منذر ولكل قوم هاد . الله يعلم ما تحمل كل أنثى — لم يعطف (قوله الله يعلم) على ما قبله لئلا يشاركه فى حكم القصر فيكون تعالى مقصورا على هذا العلم — وان لم يكن لها ذلك الحكم نحو : زيد خطيب وعمرو متشرع — أو قصد اعطاء حكمها للثانية نحو انما زيد كاتب وعمرو شاعر ، وجب الوصل كما رأيت — ما لم تكن احدى الجملتين مطلقا منقطعة عن الاخرى انقطاعا كاملا بحيث لا يصح ارتباطهما — أو متصلة بها اتصالا كاملا بحيث لا تصح المغايرة بينهما . فيجب الفصل لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف وعدم افتقار المتصلتين الى ارتباط به . ويحمل شبه كل واحد من الكمالين عليه فيعطى حكمه — واعلم انه لا يقبل فى العطف الا عطف المتناسبات مفردة أو جملا بالواو أو غيرها ، فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات ، فنحو الشمس والقمر والسماء والارض ، محدثة (مقبول) ونحو الشمس والارنب والحمار . محدثة (غير مقبول) لكن اصطلاحهم اختصاص الوصل والفصل بالجمل ، وبالواو — فلا يحسن الوصل الا بين الجمل المتناسبة . لا المتحدة ولا المتباينة . والافصل — واعلم انه ان وجدت الواو بدون معطوف عليه قدّر مناسب للمقام — نحو (أو كلما عاهدوا عهداً)

ظهرت الفائدة ، ولا يقع اشتباه فى استعماله

وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامعٌ كالمُوافقةِ فى نحو : يقرأ ويكتبُ ، وكالمُضادّة فى نحو يضحك ويبكى ،

وإنّما كانت المضادّة فى حكم المُوافقة ، لأنّ الذّهن يتصوّر أحد الضّدين عند تصوّر الآخر ، فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة ،

والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند اليه والمسند جميعاً فلا يُقال خليل قادم ، والبعير ذاهب ، لعدم الجامع بين المسند اليهما

كما لا يقال : سعيد عالم ، وخليل قصير ، لعدم الجامع بين المسندين

وفى هذا الباب مبحثان

المبحث الاول

﴿ فى مواضع الوصل ﴾

الوصلُ عطفُ جملة على أُخرى بالواو ونحوها ـ ويقع فى ثلاثة مواضع [(١)]

الأول — إذا اتّفقت الجملتان فى الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى أو معنى فقط[(٢)] ولم يكن هناك سَببٌ يقتضى الفصل بينهما . وكانت بينهما مُنَاسبةٌ تامّة كقوله تعالى (إنّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ

فيقدر أ كفروا وكلما عاهدوا لان الهمزة تستدعى فعلا

(١) الوصل يقع وجوبا بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين كما سيأتى تفصيل ذلك

(٢) المعول عليه اتفاقهما فى المعنى لأن العبرة به ولا قيمة لاختلاف الصورة اللفظية

لَفِى جَحِيمٍ) وقوله تعالى (فادْعُ وَاستَقِمْ كما أُمِرْتَ)

وقوله تعالى (إِنِّى أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّى بَرِىءٌ ممّا تشرِكُون) أى إِنِّى أُشْهِدُ اللهَ وأُشْهِدُكُم [١] : فتكون الجملة الثانية فى هذه الآية إنشائية لفظا ، ولكنّها خبرية فى المعنى [٢]

ونحو : إذهبْ الى فلان وتقول له كذا ، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظا . ولكنها انشائية معنى « أى وقلْ له »

فالاختلاف فى اللفظ لا فى المعنى المُعوّل عليه ، ولهذا وجب الوصل وعطف الجملة الثانية على الاولى لوجود الجامع بينهما ، ولم يكن هناك سبب يقتضى الفصل بينهما ، وكل من الجملتين لا موضع له من الاعراب

الثانى ـ اذا اختلفت الجملتان فى الخبرية والانشائية وكان الفصل يُوهِم خِلَافَ المقصود [٣] كما تقول مجيباً لشخص بالنّفى « لا وشفاه الله [٤] » لمن يسألك هل برِئَ علىٌّ من المرض ؟؟ « فترك الواو يُوهم السّامع

---

(١) والداعى لذكر الجملة الثانية انشائيـة ولم تذكر كالأولى خبرية لأجل التحاشى عن مساواة شهادتهم بشهادته تعالى ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً

(٢) اعلم أن صور الجملتين ثمانية ـ لأنهما (إماخبريتان) لفظاومعنى أو معنى لا لفظا ــ أو الأولى جملة خبرية معنى لا لفظا ـ أو بالعكس

(و إما انشائيتان) لفظاومعنى ـ أومعنى لالفظا ـ أوالاولى جملة خبرية صورة والثانية انشائيـة ـ أوبالعكس كما مثلنا (٣) أما اذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله (٤) فجملة شفاه الله خبرية لفظا انشائية معنى والعبرة بالمعنى ـ واعلم أن « لا » فى هـذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية اذ التقدير « لابرء حاصل له » وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به

الدّعاء عليه ، وهُو خلافُ المقصود ، لأن الغرض الدعاء له »

ولهـذا وجب أيضا الوصـل وعطف الجملة الثانيـة على الاولى لدفع الإيهام ، وكلٌّ من الجملتين لامحل له من الاعراب

الثالث ـ اذا كان للجملة الأولى محلٌّ من الاعراب ، وقصِد تشريك الجملة الثانية لها فى الاعراب حيث لا مانع نحو : علىٌّ يقول ويفعل

فجملة يقول فى محل رفع خبر المبتدأ ، وكذلك جملة : ويفعل ، معطوفة على جملة يقول وتشاركها بأنها فى محل رفع خبر ثان للمبتدأ

وحكم هذه الجملة حكم المفرد المُقتضِي مُشاركة الثانى للأول فى إعرابه

والأحسن أن تَتَّفِقَ الجملتان فى الإسمية والفعلية ، والفعليتان فى الماضوية والمضارعية

أى أن تُعْطف الاسمية على مثلها ، وكلٌّ من الماضوية والمضارعيّة على مثلها ـ وكذا الإسميتان فى نوع المسند من حيثُ الإفراد والجملية والظّرفية:

ولا يَحسن العدولُ عن ذلك إلاّ لِأغراض

« ا » كحكاية الحال الماضيـة ، واستحضار الصّورة الغريبـة فى الذهن نحو (إنَّ الذينَ كَفَرُوا ويَصُدُّونَ عَنْ سَبِيل اللهِ ، فَرِيقاً كَذَّبْتمْ وفَرِيقاً تَقْتُلون)

« ب » وكإفادة التجدُّد فى احداهما ، والثُّبوتِ فى الأخرى ـ نحو : (أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللّاعِبِين) فقـد لُوحِظَ فى الأولى إحداثُ تعاطِى الحقّ ـ وفى الثانية الاستمرار على اللّعِب ، والثّبات على

حالة الصِّبا — ونحو : الصَّديق يُكاتبني وأنا مقيمٌ على وُدِّهِ (١)

المبحث الثاني

﴿ في مواضع الفصل ﴾

مِن حقِّ الجُمَل اذا ترادفت ووقع بعضُها إِثر بعض أن تُربطَ بالواو لِتكونَ على نَسق واحد — ولكن قد يَعرِضُ لها مايُوجب تركَ الواو فيها ويُسمى هذا فصلا — ويقع في خمسة مواضع

الأول — أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تامٌ وامتزاجٌ معنويٌّ حتى كأنّهما أُفرغَا في قالَب واحد ، ويُسمّى ذلك « كمالَ الاتصال »

الثاني — أن يكون بين الجملتين تبايُنٌ تامٌّ بدون إيهامَ خلاف المراد ويُسمَّى ذلك « كمالَ الانقطاع »

الثالث — أن يكون بين الجملتين رابطة قويّة ، ويُسمّى « شِبهَ كمال الاتصال »

الرابع أن يكون بين الجملة الأولى والثالثة جملةٌ أخرى متوسطة حائلة بينهما فلو عطفت الثالثةُ على « الأولى المناسبةِ لها » لتوُهّم أنها معطوفة على « المتوسِّطة » فيترك العطف ، ويسمّى « شِبهَ كمال الانقطاع »

الخامس — أن يكون بين الجملتين تناسبٌ وارتباط لكن يمنع من عطفهما مانع وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم ، ويُسمّى « التّوسُّطَ بين الكمالين »

---

(١) وذلك لأنّ الدّلالة على التجدّد تكون بالجملة الفعلية ، وعلى الثّبوت بالجملة الاسمية — ومثل هذا يحصل عند إرادة المضي في احداهما والمضارعية في الاخرى

ايضاح وتحديد

لكل موضع من مواضع الفصل الخمسة السّابقة — وهى

الموضع الأول ـ « كمال الاتصال » وهو اتّحادُ الجملتين اتّحاداً تاماً وامتزاجاً معنوياً بحيث تُنزّل الثّانية من الأولى منزلةَ نفسها

« ا » بأن تُجْعَلَ بدلاً منها نحو (أَمَدَّكُم بما تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُم بأَنْعَامٍ وبنِين)[١]

« ب » أو بأن تُجعل بياناً لها ـ كقوله تعالى (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ)

« ج » أو بأن تُجعل مُؤَكِّدة لها ـ كقوله تعالى (فَمَهِّلْ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً) فالمانع من العطف فى هـذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاما يمنع عطف الشئ على نفسه ، ويُوجب الفصل

الموضع الثانى « كمال الانقطاع » وهو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً

« ا » بأن يختلفا خبراً وإنشاء ، لفظاً ومعنى ، أو معنى فقط نحو : حضر الأمير حفظه الله : ونحو تـكلّمْ إنّى مُصغٍ اليك — وكقول الشاعر

وقال رائِدُهم أُرسوا نُزَاولها فحتفُ كلّ امرىء يجرى بمقدار[٢]

---

(١) هذا فى بدل البعض ـ وأما فى بدل الـكل فنحو ـ بل قالوا مثـل ما قال الأولون . قالوا أئذا متنا ـ وأما بدل الاشتمال فنحو قوله

أقول له ارحل لا تُقيمَنّ عندنا وإلاّ فـكن فى السّر والجهر مُسلما

فجملة لا تقيمن بدل من ارحل بدل اشتمال لان بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية

(٢) أى أوقفوا السفينة كى نباشر الحرب ولا تخافوا من الموت فان لـكل أجل كتابا ـ أى فالمانع من العطف فى هـذا الموضع أمر ذاتى لا يمكن دفعه أصـلا وهو كون احداهما جملة خبرية والأخرى انشائية ولا جامع بينهما

«ب» أو بألاّ تكون بينهما مناسبة فى المعنى ولا ارتباط — كقولك علىٌّ كاتبٌ . الحمام طائر ، فانه لا مناسبة بين كتابة علىّ . وطيران الحمام

فالمانع من العطف فى هذا الموضع « أمر ذاتى » لا يمكن دفعه أصلا وهو التّباين بين الجملتين ، ولهذا وجب الفصل وترك العطف، لأنّ العطف يكون للرَّبط ، ولا ربط بين جملتين فى شدة التّباعد وكمال الانقطاع

الموضع الثالث « شبه كمال الاتصال » وهو كون الجملة الثانية قويّة الارتباط بالأولى لوقوعها جوابا عن سؤَال يفهم من الجملة الأولى ـ فتفصلُ عنها كما يفصل الجواب عن السّؤَال ـ نحو : وما أبرّئ نفسى إنّ النّفسَ لأمّارة بالسُّوء [١] ونحو

زعم العوازلُ أنّنى فى غمرة صَدقوا ولكنْ غمرتى لاتنجلى

« كأنه سئل : ـ أصدَقوا فى زعمهم أم كذبوا ؟ ؟ فأجاب : صدقوا » [٢]

فالمانع من العطف فى هذا الموضع وجود الرابطة القويّة بين الجملتين فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ـ ولهذا وجب أيضا الفصل

الموضع الرابع « شبه كمال الانقطاع » وهو أن تسبق جملةٌ بجملتين يصحُّ عطفها على الأُولى لوجود المناسبة ، ولكن فى عطفها على الثانية فسادٌ فى المعنى ، فيُترك العطف بالمرّة دفعاً لتوهُّم أنه معطوف على الثانية ـ نحو

---

(١) الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الاولى لانها جواب عن سؤال نشأ من الاولى « لِمَ لا تبرِّئ نفسك ؟؟ » فقال « إنّ النفس لامّارة بالسوء » فهذه الرابطة القويّة بين الجملتين مانعة من العطف فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ـ و بذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال ، وشبه كمال الاتصال

(٢) و بيان ذلك بعبارة أخرى أنه اذا اجتمعت جملتان : فذلك على خمسة أحوال

وَتَظنُّ سَلمى أنّنى أبغِى بها بدلاً أُراها فى الضّلال تَهِيمُ

فجلة « أراها » يصح عطفها على جملة « تظنّ » لـكن يمنع من هذا توهُّم العطف على جملة « أبغى بها » فتـكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى ، مع أنه غير المقصود — ولهذا امتنع العطف ووجب أيضا الفصل

والمانع من العطف فى هـذا الموضع « أمر خارجى احتمالى » يمكن دفعه « بمعونة قرينة » ومن هذا وممّا سبق يُفهم الفرق بين كلّ من « كمال الانقطاع ـ وشبه كمال الانقطاع »

أولا — أن تكون الثانية بمعنى الاولى ، أو جزءاً منها ، فيجب ترك العطف لأَن الشئ لا يُعطف على نفسه ، وكذا الجزء لا يُعطف على كلّه

فيقال حينئذ إنّ بين الجملتين كمال الاتصال ـ ومواضعه :

« ا » أن تكون الثانية توكيداً للأولى ـ مثل قوله تعالى (مَا هذَا بَشَراً إنْ هَذَا إلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ)

«ب» أن تكون الثانية بدلا من الأولى ـ مثل أطعتُ الله . أدّيتُ الصلاة

« ج » « « بياناً للأولى ـ مثل بثّنى شكواه . قال إنى لا أجد قوت يومى

ثانيا — أن تـكون الثانية مباينة للأولى تمام المباينة ، فيجب ترك العطف لأن العطف يكون للربط ، ولا ربط بين المتباينين ، فيقال بين الجملتين كمال الانقطاع . ومواضع ذلك

« ا » أن تختلفا خبراً و إنشاء مثل — مات فلان رحمه الله

إلا اذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود فيجب العطف نحو لا وشفاك الله

«ب» أن تتحدا خبراً و إنشاء ولـكن لا يوجد بينهما رابط ، مثل القمر طالع — آكلت كثيراً

الموضع الخامس « التوسّط بين الكمالين مع قيام المانع » وهو كون الجملتين متناسبتين وبينهما رابطة قويّة ـ لكن يمنع من العطف مانع ، وهو عدم قصد التّشريك فى الحكم ـ كقوله تعالى (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » فجملة « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » لا يصح عطفها على جملة « إنّا معكم » لاقتضائه أنه من مقول المنافقين والحال أنه من مقوله تعالى « دعاء عليهم » ولا على جملة « قالوا » لئلاّ يُتوهّم

ثالثاً — أن تكون الجملتان متناسبتين و بينهما رابطة ، ويُسمّى ذلك التّوسطَ بين الكمالين ـ وذلك على نوعين

«ا» ألاّ يمنع من العطف مانع فيعطف ـ مثل اجتهدوا وتأدبوا

«ب» أن يمنع من العطف مانع ـ وهو عدم قصد التشريك فى الحكم فيمتنع العطف مثل قوله تعالى (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)

رابعاً — أن تكون الثانية قوية الرابطة بالاولى ، لانها جواب عن سؤال يفهم من الاولى ، فهذه الرابطة القوية تمنع العطف ، لأنها أشبهت حالة اتحاد الجملتين (و يسمى ذلك شبه كمال الاتصال ـ مثل رأيته مبتسما ، أظنه نجح)

خامساً ـ أن تكون الاخيرة مناسبة للاولى ، ولا مانع من عطفها عليها ، ولكن يعرض حائل بينهما وهو جملة أخرى متوسطة ، فلو عطفت الثالثة على الاولى المناسبة لها لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة ، فامتنع العطف بتاتا وأصبحت الجملتان كأنهما منقطعتان بهذا الحائل ـ و يُسمى ذلك شبه كمال الانقطاع ، نحو : قول الشاعر

وتظنّ سلمى أنّنى أبغِى بها بدلا أُراها فى الضّلال تَهيمُ

واعلم أنّ التركيب الذى تجاذبت فيه أسباب الوصل وتعاضدت دواعيه قد يفصل إمّا لمانع من تشريك الجملة الثانية مع الأولى و يُسمى قطعاً كما سبق ، وإمّا

مشاركته له فى التّقييد بالظّرف — وأنّ استهزاء الله بهم مُقيّد بحال خُلوّهم إلى شياطينهم » والواقع أنّ استهزاء الله بالمنافقين غير مُقيّد بحال من الأحوال ولهذا وجب أيضا الفصل

تنبيهان

الأول — لمّا كانت الحال تجئ جملة ، وقد تقترن بالواو ، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل ، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها — نحو : جاء فؤاد والشمس طالعة (١)

لجمله جواب سُؤال مقدّر لأغناء السّامع عنه ، أو لكراهة سماعه له لو سأل ، أو لكراهة انقطاع كلامه بكلام السائل ، أو للاختصار ، و يُسمّى الفصل لذلك استئنافاً — كقوله

فى المهد ينطق عن سعادة جدّه   أثر النّجابة ساطع البرهان

« على تقدير أنه جواب كيف ينطق وهو رضيع لم يبلغ أوان النّطق ؟ ؟ »

(١) بيان ذلك أن الحال

إمّا مؤكدة فلا واو للاتّحاد بين الجملتين لأنها مقررة لمضمونها نحو سعداً بوك كريما و إما منتقلة لحصول معنى حال النسبة (أى نسبة العامل الى صاحب الحال) فلزم فيها أمران . الحصول والمقارنة . فالحال المفردة صفة فى المعنى ، فلا تحتاج لواو للاتحاد وأما الجملة — فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو للارتباط معنى . لوجود الحصول والمقارنة معا ، فلا حاجة للربط بها — نحو وجاءوا أباهم عشاء يبكون — ونحو ، قدم الامير تتسابق الفرسان أمامه ، ولا يجوز وجاؤا أباهم عشاء و يبكون ، ولا قدم الامير وتتسابق وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة فى النحو التى تمتنع فيها الواو الثانية — الحال الواقعة بعد عاطف نحو فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون . الثالثة — المؤكدة لمضمون الجملة نحو — هو الحق لا شك فيه ، ذلك الكتاب لا ريب فيه . الرابعة — الماضى التالى إلاّ — نحو ما تكلم زيد إلاّ قال خيراً — وقيل يجوز اقترانه بالواو كما ورد فى قوله :

ويجب فصلها فى ثلاثة مواضع

١ إذا كان فعلها ماضياً تاليا « إلا » أو وقع ذلك الماضى قبل « أو » التى للتّسوية — نحو ماتكلّم فؤاد إلاّ قال خيراً ـ وكقول الشاعر

كُن للخليل نصيراً جار أو عدلا ولا تشحّ عليه جادَ أوْ بخلا

٢ اذا كان فعلها مضارعا مُثبتا أو منفيّا « بما ـ أو ـ لا » نحو :

نعم امرأ هرم لم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع بها وزرا

الخامسة ـ الماضى المتلو بأو : نحو — لأضربنّه ذهب أو مكث ـ ومنه

كن للخليل نصيراً جار أو عدلا ولا تشحّ عليه جاد أو بخلا

السادسة ـ المضارع المنفى بلا ـ نحو ومالنا لا نؤمن بالله ، مالى لا أرى الهدهد ، وقوله

لو أن قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أُحجب

السابعة ـ المضارع المنفى بما ـ كقوله

عهدتك ماتصبو وفيك شبيبة فمالك بعد الشيب صبّاً متيماً

وأبعد الجمل فى الصلاح للحالية الجملة الاسمية لدلالتها على الثبوت ـ لا على الحصول والمقارنة ، فيجب فيها الواو ـ نحو (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقد يكتفى فيها بالضمير ندورا ـ نحو كلمته فوه الى فىّ ـ أى مشافهة ـ ثم الماضى مثبتا لعدم المقارنة فيحسن معها الواو لان الماضى يدل على الحصول المتقدم ، لا الحصول حال النسبة ـ وتجب « قد » تحقيقا أو تقديراً لتقرّ به من الحال أى لتجعل (قد) الفعل الماضى الدال على حصول متقدم ـ لاحصول حال النسبة قريبا من حال النسبة لا من حال التكلم ـ اذ اللازم فى الحال مقارنتها لزمان النسبة لا لزمان التكلم ـ وانما اكتفى بهذا التقريب فى صحة الحال وان كان اللازم الاقتران ـ إما لانه ينزل قرب الحال الى زمان النسبة منزلة المقارنة مجازاً — وإما لانه يعتبر قربها فى الفعل هيئة للفعل ـ فاذا قلت جاءنى زيد وقد ركب ـ فكأنك نزلت قرب ركوبه من مجيئه منزلة مقارنته له ـ أو جعلت كون مجيئه بحيث يقرب منه ركوبه هيئة لمجيئه وحالا له.

(وَجاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ) ونحو : (وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللهِ) ونحو :

عَهِدْتُكَ ما تَصبو وفيكَ شَبيبةٌ فمالكَ بعد الشَيبِ صبّاً متيَّما

٣ إذا كانت اسمية واقعة بعد حرف عطف ـ أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها ـ كقوله تعالى (فجاءَها بَأْسُنَا بيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُون) وكقوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين) (١)

الثاني ـ علم ممّا تقدّم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين فى الخبرية والانشائيــة ، ولا بدّ مع اتفاقهما من جهــة بها يتجاذبان ، وأمر جامع به

ـ قالوا ـ وتمتنع (قد) مع الماضى الممتنع ربطه بالواو . وهو التالى إلاّ والمتلو بأو ـ لكن فى شرح الرضى ـ انهما قد يجتمعان بعد إلا ـ نحو ما لقيته إلا وقد أكرمنى ويلى الماضى المثبت الماضى المنفى لأنه هيئــة للفعل بالتأويل . لان قولك جاء زيد ليس راكبا ـ فى قوة جاء زيد ماشيا فيتحقق الحصول ويستمر غالبا فيقارن كذلك فيحسن ترك الواو نظراً الى تحقق الحصول والمقارنة ـ ويجوز ذكرها أيضا نظراً الى كونه ما كان هيئة للفعل الا بعد تأويل ـ ونظراً الى كون استمراره أغلبيا لا دائميا والأحسن فى الظرف اذا وقع حالا ترك الواو نظراً للتقدير بمفرد ، تقول نظرت الهلال بين السحاب . ومثله الجار والمجرور نحو فخرج على قومه فى زينته — ونحو أبصرت البدر فى السماء ـ وان جوزوا الواو بتقدير فعل ماض ـ وما يخشى فيه التباس الحال بالصفة أتى فيه بالواو وجوبا ، ليتميز الحال فيقال جاء رجل ويسعى ـ اذا لو قيــل يسعى ـ لالتبس الحال بالصفة فى مثله

(١) لما كان قوله ذلك الكتاب ، فيه مظنة مجازفة بسبب ايراد المسند اليه اسم اشارة ـ والمسند معرفا بأل ـ أكده بقوله (لا ريب فيه) تأكيداً معنويا .

ولما كانت الدعوى المذكورة مع ادعاء عدم المجازفة مظنة استبعاد ـ أكده بقوله « هدى للمتقين » تأكيداً لفظيا حتى كأنه نفس الهداية

يتآخذان ، وذلك الجامع إمّا عقلى [١] أو وَهْمى [٢] أو خيالى [٣]

(١) فالجامع العقلى ـ أمر بسببه يقتضى العقل اجتماع الجملتين فى القوة المفكرة كالاتحاد فى المسند أو المسند اليه ـ أو فى قيد من قيودهما ـ نحو زيد يصلى و يصوم و يصلى زيد وعمرو . . وزيد الكاتب شاعر . وعمرو الكاتب منجم . وزيد كاتب ماهر ، وعمرو طبيب ماهر ـ وكالتماثل والاشتراك فيهما ـ أو فى قيد من قيودهما أيضا بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص بهما أو بالقيد ـ لامطلق تماثل ـ فنحو زيد شاعر وعمرو كاتب لايحسن إلاّ إذا كان بينهما مناسبة لهانوع اختصاص بهما ـ كصداقة أو أخوة أو شركة أو نحو ذلك ـ وكالتضايف بينهما . بحيث لا يتعقل أحدهما الا بالقياس الى الآخر كالأبوة مع البنوة ـ والعلة مع المعلول ـ والعلو والسفل ـ والأقل والأكثر ـ إلى غير ذلك

(٢) والجامع الوهمى ـ أمر بسببه يقتضى الوهم اجتماع الجملتين فى المفكرة كشبه التماثل الذى بين نحو لونى البياض والصفرة — فان الوهم يبرزهما فى معرض المثلين من جهة أنه يسبق اليه أنهما نوع واحد زائد فى أحدهما عارض ـ بخلاف العقل فانه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد هو اللون ـ وكالتضاد بالذات ـ وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف ـ يتعاقبان على محل واحد ـ كالسواد والبياض ـ أو التضاد بالعرض كالاسود والأبيض ـ لانهما ليسا ضدين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد ـ بل بواسطة مايشتملان عليه من سواد و بياض ـ وكشبه التضاد كالسماء والأرض ـ فان بينهما غاية الخلاف ارتفاعا وانخفاضاً لكن لايتعاقبان على محل واحد كالتضاد بالذات ، ولاعلى ما يشمله كالتضاد بالعرض

(٣) والجامع الخيالى ـ أمر بسببه يقتضى الخيال اجتماع الجملتين فى المفكرة بأن يكون بينهما تقارن فى الخيال سابق على العطف لتلازمهما فى صناعة خاصة، أو عرف عام ـ كالقدوم والمنشار والمنقاب فى خيال النجار

والقلم والدواة والقرطاس فى خيال الكاتب ـ وكالسيف والرمح والدرع فى خيال المحارب ـ وهلم جرا

أسئلة على الوصل والفصل يطلب أجوبتها

ماهو الوصل ؟ . — ماهو الفصل ؟ ، — كم موضعا للوصل ؟ . — كم موضعا للفصل ؟ . — ماهو الجامع العقلى ؟ . — ماهو الجامع الوهمى ؟ . ما هو الجامع الخيالى ؟ . — متى يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها ؟ . — فى كم موضع يجب فصل الجملة الحالية .

تطبيق عام على الوصل والفصل

جرّبت دهرى وأهليه فما تركت لى التجارب فى ودّ امرئ غرضاً

فصلت الثانية لشبه كال الاتصال فانها جواب سؤال

يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

فصلت الثانية لشبه كال الاتصال فانها جواب سؤال ناشئ مما قبلها

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا — عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما فى الانشاء مع المناسبة التامة بين المفردات فان المسند اليه فيهما متحد . والمسند وقيدهما متقابلان

ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم — عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما خبراً لفظا ومعنى مع المناسبة التامة بين مفرداتها — فان المسندين المقدرين فيهما متحدان ، والمسندان اليهما متقابلان . وقيدهما الأول متحد . والثانى متقابل

وللقرآن الكريم اليد البيضاء فى هذا الباب — كقوله تعالى أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت — فالمناسبة بين الابل والسماء — و بينها و بين الجبال والأرض غير موجودة بحسب الظاهر . ولكنه أسلوب حكيم فى غاية البلاغة — لأنه لما كان الخطاب مع

أشكر الله على السّراء ينجيك من الضّراء ـ لم تعطف الثانية على الاولى لكمال الانقطاع . فان الاولى انشائية لفظا ومعنى والثانية عكسها

اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده ـ لم تعطف الثانية على الاولى لكمال الاتصال فانها مؤكدة لها

أنت حميد الخصال ـ تصنع المعروف وتغيث الملهوف ـ فصلت الثانية من الاولى لكمال الاتصال فانها بيان لها . ووصلت الثالثة بالثانية للتوسط بين الكمالين مع وجود مانع من الوصل

تمرين (١)

بيّن سر الفصل والوصل فيما يلى

(١) أُخطُ مع الدهر إذَا ماخطا ... واجْرِ مع الدّهر كما يجرى

(٢) حكم المنية فى البرية جارى ... ما هذه الدُّنيا بدارِ قَرَار

(٣) لاتدعُهُ ان كنت تُنصف نائباً ... هو فى الحقيقة نائمٌ لا نائب

(٤) قال لى كيف أنت قلتُ عليلٌ ... سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ

العرب ، وليس فى تخيلاتهم الا الابل لانها رأس المنافع عندهم ـ والارض لرعيها والسماء لسقيها ـ وهى التى توصلهم الى الجبال التى هى حصنهم عند ما تفجأهم حادثة أو رد الكلام على طبق مافى مخيلاتهم

(١) وصل بين الجملتين لاتفاقهما إنشاء مع وجود المناسبة وعدم المانع

(٢) فصل الشطر الثانى عن الاول لانه توكيد معنوى له ـ اذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء فأكدذلك بالشطر الثانى فبينهما كمال الاتصال

(٣) فصل الشطر الثانى عن الاول لاختلافهما خبراً و إنشاء اذ الثانى خبر والاول إنشاء ـ فبينهما كمال الانقطاع

(٤) فصل بين قال وقلت لان الثانى جواب سؤال ـ اذ جرت العادة أنه اذا

(٥) قالت بُليتَ فما نَراكَ كعهدنَا ليْتَ العُهُودَ تجدَّدَتْ بعد البِلى

(٦) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً

وانما المرء بأصغريه كلّ امرىء رهنٌ بما لديه

لاَ تَطْلُبَنَّ بِآلة لكَ حاجةً قلمُ البليغ بغير حَظٍّ مِغْزَلُ

(٧) يَرَى البخيلُ سَبيلَ المالِ واحدةً إنّ الكريم يرى فى ماله سُبلا

(٨) نفسى له نفسى الفداءُ لنفسه لكنّ بعض المالكين عفيف

(٩) مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ

(١٠) يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(١١) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى

قيل للرجل كيف أنت . أن يجيب . أنا عليل وكذا بين جملتى سهر دائم وحزن طويل فكأنه قيل: فما سبب علتك؟؟ فأجاب سهر دائم الخ ففى كل منهما شبه كال الاتصال

(٥) بين الشطر الثانى والاول كال الانقطاع لان أولهما خبر والثانى إنشاء

(٦) بين جملتى ترى وتحسب كال الاتصال لان الثانية بدل اشتمال من الاولى

(٧) بين الشطر الثانى والاول شبه كال الاتصال لان الثانية جواب عن سؤال مقدر نشأ من الاولى كانه قيل : فما حال الكريم فى ماله ؟؟ فقال ان الكريم الخ

(٨) بين نفسى له ونفسى الفداء كال الاتصال لان الثانية توكيد لفظى للاولى

(٩) إن هذا الاملك ــ توكيد معنوى لقوله ماهذا بشراً ، اذ مجرى العادة والعرف أنه إذا قيل فى معرض المدح : ما هذا بشراً ، وما هذا بآدمى ، أن يكون الغرض أنه ملك ، فيكنى به عن ذلك . فبينهما كال الاتصال

(١٠) بين يدبر ويفصل كال الاتصال لان الثانية بدل بعض من كل

(١١) بين قوله وما ينطق عن الهوى وقوله إن هوالا وحى يوحى . كال الاتصال

(١٢) قَالُوا سَلاَماً، قَالَ سَلاَمٌ

(١٣) يهوَى الثّناء مبرّز ومقصّرٌ حبُّ الثناء طبيعةُ الإِنسانِ

(١٤) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقولُ آمَنَّا باللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِين يُخَادِعُونَ اللهَ

(١٥) وإذا تتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً

(١٦) أَلاَ مَن يشتَرِى سهراً بنوم سعيدٌ مَنْ يَبيتُ قَرِيرَ عَيْنِ

(١٧) فآبوا بالرماح مكسّرات وأبنا بالسّيوف قد انحنينا

(١٨) فما الحداثة عنْ حلم بمانعة قَدْ يُوجد الحلمُ فى الشّبانِ والشّيبِ

لان الثانية توكيد معنوى ، لان تقرير كونه وحياً نفى لان يكون عن هوى

(١٢) بين قالوا وقال شبه كال الاتصال ، لان الثانية جواب عن سؤال مقدر ، كأنه قيل فماذا قال لهم ؟ ؟ حينئذ أجيب بأنه قال سلام ـ وهكذا الحال فى حكاية القصص فى كل ماجاء فى القرآن ، والحديث وكلام العرب

(١٣) فصل بين الشطر الثانى والاول ، لان بينهما كال الاتصال ـ اذ الشطر الثانى مؤكد للاول

(١٤) فصل جملة يخادعون عما قبلها ، لان بينهما كال الاتصال ، لان هذه المخادعة ليست شيئا غير قولهم آمنا ـ دون أن يكونوا مؤمنين ، فهى إذا توكيدمعنوى للاولى

(١٥) فصلت جملتا كأن لم يسمعها — وكأن فى أذنيه وقرا ، عما قبلهما لانهما كالتوكيد له ، إذ المقصد من التشبيهين واحد ، وهو أن ينفى الفائدة فى تلاوة ماتلى عليه من الآيات ـ فهما من كال الاتصال

(١٦) فصل الشطر الثانى عن الاول لاختلافهما خبرا او إنشاء ـ فبينهما كال الانقطاع

(١٧) بين جملتى آبوا وأبنا توسط بين الكمالين لاتفاقهما فى الخبرية مع وجود المناسبة

(١٨) بين الشطر الثانى والاول شبه كال الاتصال ، اذ الثانى جواب سؤال مقدر

يقولون إنى أحمل الضّيم عندهم أعوذ بربى أن يضام نظيرى (١٩)

إنَّ الذينَ كفرُوا سوَاءٌ عليهِمْ أأنذرْتهمْ أمْ لمْ تنذِرْهمْ لا يؤْمنون (٢٠)

فياموتُ زُر إنَّ الحياة ذميمةٌ ويانفسُ جِدّى إن دهرك هازل (٢١)

يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ (٢٢) وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً (٢٣) وهىَ تَمرُّ مرَّ السَّحَابِ - يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفصِّلُ الآياتِ (٢٤) وَمَنْ يَفعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثاماً (٢٥) يُضاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ

الباب التاسع

﴿ فى الإيجاز والأطناب والمُساواة ﴾

كلُّ ما يجُول فى الصَّدرمن المعانى ، ويخطُر ببالك معنًى منها ، لا يَعدُو التّعبير عنه طريقا من طُرقٍ ثلاث

---

(١٩) هذا البيت من حيث عدم عطف أعوذ على ماقبله . على حد قوله . وتظن سلمى الخ (٢٠) لم تعطف على ما قبلها مع ان بينهما مناسبة فى المعنى بالتضاد لانها مبيِّنة لحال الكفار ، وما قبلها مبين لحال المؤمنين ، وان بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته ، بل ذكر استتباعا لبيان حال الكفار ، وليس بين بيان حال المؤمنين وحال الكفار مناسبة تقتضى الوصل

(٢١) لم يعطف قوله ان الحياة على ما قبله لانه جواب لسؤال مقدر كانه قيل لماذا تطلب زيارة الموت ؟؟ فأجاب إن الحياة ذميمة (٢٢) لم يعطف قوله يذبحون على يسومون لكونه بيانا له (٢٣) فجملة تحسبها جامدة بدل اشتمال (٢٤) فجملة يفصل الآيات بدل بعض (٢٥) فجملة يلق أثاما بدل كل - وقد أنكر بدل الكل علماء البيان خلافاً للنحاة

أولا — إذا جاء التّعبير على قدر المعنى بحيث يكون اللّفظ مُساوياً لأصل ذلك المعنى ـ فهذا هو « المُساواة » وهى الدّستورُ الذى يُقاس عليه

ثانياً — إذا زاد التعبيرُ على قدر المعنى فذلك هو « الإطناب »

ثالثاً — إذا نقُص التعبير عن قدر المعنى فذلك هو « الايجاز » (١)

لهذا يختار البليغ للتّعبير عمّاً في نفسه طريقاً من هذه الطُّرق الثّلاث فهو تارةً يُوجِزُ ، وتارةً يُسهبُ ، وتارة يأتى بالعبارة بينَ بيْنَ

وذلك على حسب مايقتضيه حال المخاطب ، ويدعو اليه موطنُ الخطاب

وفى هذا الباب ثلاثة مباحث

المبحث الاول

﴿ فى الإيجاز واقسامه ﴾

الإيجاز ـ هو جَمعُ المعانى المُتكاثِرَة تحت اللّفظ القليل الوافى بالغرض مع الإبانة والإفصاح

يعنى انّ الإيجاز هو تأدية المعنى بأقلّ من متعارف الأوساط (١) مع وفائها بالغرض كقوله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِين)

---

(١) قال الامام على مارأيت بليغا قط الا وله فى القول إيجاز ، وفى المعانى اطالة ـ وقالت بنت الحطيئة لابيها ـ ما بال قصارك أكثر من طوالك قال لانها بالآذان أولج ، و بالافواه أعلق — وقيل لشاعر — لم لا تطيل شعرك ؟؟ .

فقال حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق

(٢) بأن يكون اللفظ اقل من المعهود عادة ، مع وفائه بالمراد ، فان لم يف كان

فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها ـ وكقوله تعالى (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) وكقوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنّيات »

فاذا لم تَفِ العبارة بالغرض سمّي « إخلالا وحذفاً رديئاً » كقول اليَشْكُرِي

والعيش خيرٌ فى ظِلا ل النُّوكِ ممّن عاش كَدًّا

« مراده أن العيش النّاعم الرّغد فى حال الحُمق والجهل خيرٌ من العيش الشّاقّ فى حال العقل » لـكن عبارته لا تفيد ذلك فيُضرب به عُرْضَ الحائط

وينقسم الإيجاز إلى قسمين . إيجاز قِصَرٍ — (١) وإيجاز حذْف

فإيجاز القِصَر يكون بتضمين العبارات القصيرة معانى كثيرة من غير حذف كقوله تعالى (وَلَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) فانّ معناه كثير ، ولفظهُ يسير ، إذْ المراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتِلَ امتنع عن القتل ، وفى

الايجاز اخلالا وحذفا رديئا ـ كقول عروة بن الورد

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

يريد إذ يقتلون نفوسهم فى السلم ـ لـكن صوغ كلامه لا يدل عليه . ومثله قول بعضهم نثرا (فان المعروف اذا زجا كان أفضل منـه اذا وفر وأبطأ) ولأجل تمام ما يريد كان عليه أن يقول ـ إذا قلّ وزجا .

واعلم أن متعارف الاوساط هم الذين لم يرتقوا الى درجة البلغاء ولم ينحطوا الى درجة البسطاء ، فهو الدستور الذى يُقاس عليه كل من الايجاز والاطناب

(١) وايجاز القِصَر . هو ما تزيد فيه المعانى على الالفاظ . وللقرآن الـكريم فيه المنزلة التى لا تسامى ـ والغاية التى لا تدرك

فمن ذلك قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فهذه الآية قـد جمعت مكارم الاخلاق . وانطوى تحتها كل دقيق وجليل . إذ فى العفو

ذلك حياته وحياة غيره . لأنّ (القتل أنفى القتل (١)) وبذلك تطول الأعمار ، وتكثر الذرّية . ويقبل كلٌّ واحد على ما يعود عليه بالنّفع ، ويتم النّظام ، ويكثر العُمران

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء . وبه تتفاوت أقدارهم . حتى أنّ بعضهم سئل عن البلاغة فقال : هى « إيجاز القِصر » وقال أكثم بن صيفى خطيب العرب « البلاغة الإيجاز »

الصفح عمن أساء ، وفى الامر بالمعروف صلة الارحام . ومنع اللسان عن الكذب وغضّ الطرف عن كل المحارم — وقوله عز اسمه (والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر وصنوف المرافق التى لا يبلغها العدّ — وقوله (ألا له الخلق والامر) هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء — وقوله عليه السلام (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء . وعوّدوا كل جسم ما اعتاد) فقد تضمّن ذلك من المعانى الطبيّة شيئا كثيراً

وقول علىّ كرّم الله وجهه « من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ »

وقول بعض الأعراب (اللهم هب لى حقك وأرض عنّى خلقك)

فسمعه علىّ عليه السلام فقال هذا هو البلاغة ومنه قول السموءل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره — إذ كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل فى تحملها من المشقة والعناء

والسبب فيما له من الحسن والروعة دلالة قليل الالفاظ على كثير المعانى إلى ما فيه من الدلالة على التمكن فى الفصاحة والبراعة ولذا قال محمد الأمين « عليكم بالايجاز فانّ له إفهاما . وللإطالة استبهاما » وقال آخر « القليل الكافى خير من كثير غير شاف »

(١) لقد أثر ونُقل عن العرب قولهم « ألقتل أنفى للقتل » وأين هذا المثل من هذه

وإيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لايخلّ بالفهم، مع قرينة تُعيّن المحذوف — وذلك المحذوف إما أن يكون

١ حرفا — كقوله تعالى (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) ـ أصله ولم أكُنْ (١)

٢ أو اسما مضافا ـ نحو (وَجَاهِدُوا فى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ) أى فى سبيل الله

٣ أو إسما مضافا اليه ـ نحو (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ) أى بعشر ليال

٤ أو إسما موصوفا ـ نحو (إلاّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً) أى عملا صالحا

٥ أو إسما صفة ـ نحو (فزَادَتْهُمْ رِجْساً إلى رِجْسِهِمْ) أى مضافا إلى رجسهم

٦ أو شرطاً ـ نحو (اتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ) أى فان تتَّبعونى

٧ أو جواب شرط ـ نحو (ولوْ تَرَى إذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ) أى لرأيت أمراً فظيعاً

٨ أو مسنداً ـ نحو (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) أى خلقهنّ الله

الآية الشريفة التى تمتاز بوجوه ـ منها أنها كلمتان، وما نُقل عنهم أربع ـ ومنها أنه لا تكرار فيها. وفيما قالوه تكرار ـ ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافيا للقتل، وانما يكون كذلك اذا كان على جهة القصاص ـ ومنها حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحسّ فى الآية الكريمة التى بلغت حدّ الاعجاز، لا فيما قالوه فى مثلهم البسيط الذى لا يزيد عن متعارف الاوساط

(١) وكحذف لا فى قول عاصم المنقرى

رأيت الخمر جامدة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما

فلا والله أشربها حياتى ... ولا أسقى بها أبدا نديما

٩ أو مسنداً اليه ـ كما فى قول حاتم

أماويّ ما يغنى الثّراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصّدر

أى إذا حشرجت النفس يوماً

١٠ أو متعلّقاً ـ نحو (لا يُسأَلُ عمّا يفعَلُ وَهُمْ يُسأَلون) أى عمّا يفعلون

١١ أو جملة ـ نحو (كَانَ الناسُ أُمّةً واحِدَةً فبَعَثَ اللهُ النبِيِّينَ)

أى فاختلفوا فبعث

١٢ أو جملا ـ كقوله تعالى (فَأرسِلون يُوسُفُ أيُّهَا الصِّدِّيقُ) (١)

أى فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه وقال له يا يوسف

واعلم أنّ دواعى الايجاز كثيرة ـ منها الاختصار، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم، وضيق المقام، واخفاء الأمر على غير السامع، والضّجر والسّآمة، وتحصيل المعنى الكثير باللّفظ اليسير الخ

ويستحسن «الايجاز» فى الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات

يريد لا أشربها

ويشترط فى ايجاز الحذف أن يقوم دليل على المحذوف وإلاّ كان الحذف رديئا الكلام وغير مقبول

(١) فأرسلون حكاية عن أحد الفتيين الذى أرسله العزيز الى يوسف ليستعبره مارآه. واعلم أنه لابد من دليل يدل على المحذوف وهو ـ اما العقل وحده: نحو وجاء ربك ـ وإما العقل مع غيره: نحو حرمت عليكم الميتة ـ أى تناولها ـ وإما العادة: نحو فذلكنّ الذى لمتننى فيه ـ أى فى مراودته. وإما الشروع فيه: نحو بسم الله الرحمن الرحيم ـ أى أؤلف مثلا. وإما مقارنة الكلام للفعل: كما تقول لمن تزوج «بالرفاء والبنين» أى أعرست متلبسا بالاتفاق والبنين

والتعزية ، والعتاب ، والوعد والوعيد ـ والتوْبيخ ، ورسائل استخراج الخراج وجباية الأموال ورسائل الملوك فى أوقات الحرب إلى الوُلاة والأوامر والنواهى الملكية ، والشكر على النعم

المبحث الثانى

﴿ في الإطناب وأقسامه ﴾

الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن مُتعارف الأوساط لفائدة تقويته وتوكيده ـ نحو (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) ـ أى كبرتُ

فاذا لم تكن فى الزيادة فائدة يُسمَّى « تطويلا » إن كانت الزيادة غير مُتعيِّنة ويُسمَّى « حشواً » إن كانت الزيادة مُتعينة

فالتطويل — كقول عدىّ العبادى في جُذيمةَ الأبرَش

وقدّتْ الأديمَ لراهِشَيْهِ ... وألفَى قولها كذِبا ومَيْنا (١)

﴿ تنبيه ﴾ حذف الجمل أكثر ما يرد فى كلام الله عز وجل ، إذ هو الغاية فى الفصاحة ، والنهاية فى مراتب البلاغة

(١) وقدّت أى قطعت . والضمير فيه يعود على الزّباء . وهى امرأة ورثت المُلك عن أبيها ـ والأديم الجلد ، ولراهشيه أى الى أن وصل القطع للراهشين وهما عرقان فى باطن الزراع يتدفق الدم منهما عند القطع ـ والضمير فى ألفى يعود على المقطوع راهشاه وهو جُذيمة الأبرش . والمراد الاخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء وقطعت راهشيه وسال منه الدم حتى مات ، وأنه وجد ما وعدته من تزوجه بها كذبٌ ـ وكقول الشاعر

ألا حبّذا هِندٌ وأرضٌ بها هِندٌ ... وهند أتى من دونها النأْىُ والبُعدُ

فالنأى والبعد بمعنى واحد ، ولا يتعين أحدهما للزيادة

فالمينُ والكذب بمعنى واحد . ولم يتعيّن الزائد منهما ، لان العطف بالواو لايفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا معيّة .

والحشو ـ كقول زُهير بن أبى سلمى

وأعلمُ علم اليوم والأمس « قبله »   ولكنّنى عن علم ما فى غد عمى (١)

وكلٌّ من الحشو والتطريل معيب فى البيان . وكلاهما بمعزِل عن مراتب البلاغة

واعلم أنّ دواعىَ الاطناب كثيرة . منها تثبيت المعنى ؛ وتوضيح المراد ، والتوكيد ، ورفع الايهام ، وإثارة الحمية ـ وغير ذلك

وأقسام الاطناب كثيرة (٢)

١ منها ذكر الخاص بعدالعام ـ كقوله تعالى(حَافِظوا عَلى الصلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطى) وفائدته التنبيه على فضل الخاص حتى كأنه لفضله ورفعته جزء آخر مغاير لما قبله

٢ ومنها ذكر العام بعد الخاص ـ كقوله تعالى (٣) (رَبِّ اغفِرْ لِي ولِوَالدَىَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بيتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)

وفائدته شمول بقية الافراد ـ والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً فى عنوان

---

(١) الشاهد فى قوله ـ قبله ، لأنه معلوم من قوله أمس : وكقول الآخر

ذكرت أخي فعاودنى   صُداعُ الرأس والوَصبُ

فان الصّداع لا يكون الا فى الرأس ، فذكر الرأس لا فائدة فيه

(٢) ومنها الحروف الزائدة . وتكثير الجمل ـ نحو فبما رحمة من الله لِنتَ لهم

(٣) من دعاء سيدنا نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين

عام . بعد ذكره أولا فى عنوان خاص

٣ ومنها الإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى فى ذهن السامع بذكره مرّتين ، مرّة على سبيل الأبهام والأجمال ، ومرّة على سبيل التفصيل والأيضاح ، كقوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ)

فقوله : أَنّ دابر هؤلاء تفسير وتوضيح لذلك الأَمر ، وفائدته تفخيم شأن المُبيّن وتمكينه فى النفس زيادة تمكّن

٤ ومنها التّوشيع ـ وهو أن يُؤْتَى فى آخر الكلام بمُثنًّى مفسّر بمفردين ليُرى المعنى فى صورتين ، يخرج فيهما من الخفاء المُستوحش إلى الظُّهور المأنوس ـ نحو ـ العلم عِلمان ، علم الأبدان ، وعلم الأديان

٥ ومنها التّكرار ـ وهو ذكر الشئ مرّتين أو أكثر ـ لأغراض

الاول ـ التأكيد كقوله تعالى (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) [1] وكقوله تعالى (فانّ مع العُسر يُسراً إنّ مع العسر يُسراً)

الثانى ـ طول الكلام لئلاّ يجئ مبتوراً ليس له طَلاوة ـ كقوله

وانّ امرأً دامت مواثيقُ عهده على مثل هـذا إنه لـكريمُ [2]

الثالث ـ قصد الاستيعاب نحو ـ قرأت الكتاب باباً باباً ـ وفهمته كلمة كلمة

الرابع ـ زيادة التّرغيب فى العفو ـ كقوله تعالى (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ . وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا

---

(١) أى سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ اذا شاهدتم هول المحشر

(٢) الشاهد فى تكرير إنّ فى أول البيت ، وتكريرها فى آخره

فإنَّ اللهَ غفورٌ رَحيمٌ)

الخامس ـ استمالة المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى (وَقالَ الذِى آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يا قَوْمِ إنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنيَا مَتَاعٌ)

(السادس) ـ التّنويه بشأن المخاطب نحو ـ انَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن ابراهيم

السابع ـ التّرديد ـ وهو تكرار اللفظ متعلقًا بغير ما تعلّق به أوّلا نحو — السَّخى قريبٌ من الله ، قريبٌ من الناس ، قريبٌ من الجنة والبخيل بعيدٌ من الله بعيدٌ من الناس بعيدٌ من الجنة

الثامن — التّلذُّذ بذكره ، نحو قول مَروان بن أبى حَفصة

سقى الله نجداً والسّلامَ على نجد ويا حبّذا نجد على القُرب والبُعد

التاسع — الارشاد إلى الطريقة المُثلى كقوله تعالى (أَوْلى لَكَ فأَوْلَى ثمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلَى)

٦ ومنها الاعتراض — وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام، أو بين كلامين متَّصلين فى المعنى بجملة معترضة أو أكثر لامحلّ لها من الاعراب(١)

وذلك لأغراض يرمى إليها البليغ ـ غير دفع الإيهام

(١) لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزئى جملة ولا بين كلامين ، بل جوز وقوعه آخر الكلام مطلقا سواء وليه ارتباط بما قبله أولا ـ كقوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل — فجملة ونعم الوكيل معترضة ، وليست معطوفة على ما قبلها حتى يلزم عطف الانشاء على الخبر

(ا) كالدّعاء نحو : إنّى « حفظك الله » مريض

وكقول عوف بن محلم الشّيبانى

إنّ الثمانين وبلّغتَها قد أحوجتْ سمعى إلى ترجمان (١)

(ب) والتّنبيه على فضيلة العلم — كقول الآخر

واعلمْ فعلمُ المرء ينفعُه أنْ سوف يأتى كل ما قُدِرا

(ج) والتّنزيه كقوله تعالى (وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)

(د) وزيادة التّأكيد ـ كقوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ)

(هـ) والاستعطاف ـ كقول الشاعر

وخفوقِ قلبٍ لو رأيتَ لهيبه ياجنّتى لرأيتَ فيه جهنّما

(و) والتّهويل نحو : وإنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيم

٧ ومنها الإيغال — وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها كالمبالغة فى قول الخنساء

وإنّ صخراً لتأتمّ الهُداة به كأنه عَلَمٌ فى رأسه نار

فقولها « كأنه علم » واف بالمقصود ، لكنها أعقبته بقولها « فى رأسه نار » لزيادة المبالغة ، ونحو : والله يرزق من يشاء بغير حساب

---

(١) بلغتها بفتح التاء أى بلغك الله اياها — وترجمان كزعفران ويجوز ضم التاء مع الجيم . واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره — وأن يعيش مثله ثمانين سنة ـ واعلم أنه قد يقع الاعتراض فى الاعتراض كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون

٨ ومنها التّذييلُ ـ وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مُستقلّة تشتمل على معناها تأكيداً لها (١) نحو (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً) ونحو (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ)

والتذييلُ « قسمان »

(ا) جارٍ مَجْرَى الأمثال لاستقلال معناه واستغنائه عما قبله كقول طَرفة

كلّ خليل قد كنت خاللته ... لا ترك الله له واضحه
كلّهم أروغُ من ثعلب ... ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة

(ب) وغير جار مجرى الأمثال ـ لعدم استغنائه عمّا قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى المراد كقول النابغة

لم يُبقِ جودُك لى شيئاً أؤمله ... تركتنى أصحبُ الدنيا بلا أمل

فالشطر الثانى مؤكد للأول، وليس مستقلا عنه، فلم يجر مجرى المثل

٩ ومنها الاحتراس — ويقال له التكميل ـ وهو أن يُؤتى بعد كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الإيهام

يعنى أن الاحتراس يُوجَدُ حينما يأتى المتكلم بمعنى يُمكن أن يدخل عليه فيه لومٌ، فيفطن لذلك ويأتى بما يخلصه سواء وقع في وسط الكلام نحو

فَسقَى ديارَك غيرَ مُفسدِها ... صوبُ الرّبيع وَديمةٌ تَهمى

---

(١) التأكيد ضربان التأكيد المنطوق كما فى هذه الآية ـ التأكيد المفهوم كقوله:

ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلُمّه ... على شعث أيّ الرجال المهذّب ؟؟

دلّ بمفهومه على نفى الكمال من الرجال، فأكده بقوله (أيّ الرجال المهذب)

فقوله غير مفسدها للاحتراس — أو وقع فى آخره

نحو (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ على حُبِّه) أى مع حبّ الطعام واشتهائهم له وذلك أبلغ فى الكرم

وكقول أعرابية لرجل (أذلّ الله كلّ عدوٍّ لك إلاّ نفسك)

١٠ ومنها التَّتميم — وهو زيادة كلمة أو أكثر توجد فى المعنى حُسنا بحيث لو حذفت صار الكلام مُبتذلا — كقول ابن المعتز يصف فرسا

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجُل

اذ لو حذف ظالمين لكان الكلام مبتذلا ، لا رِقّة فيه ولا طلاوة وتوهّم أنها بليدة تستحق الضّرب

ويستحسن الاطناب فى الصلح بين العشائر ، والمدح والثناء ، والذم والهجاء ، والوعظ والارشاد ، والخطابة فى أمر من الأمور العامة ، والتهنئة ومنشورات الحكومة الى الأمة ، وكتب الوُلاة الى الملوك لاخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الامور

واعلم أن الاطناب أرجح عند بعضهم من الايجاز ، وحُجّته فى ذلك أنّ المنطق إنما هو البيان . والبيان لا يكون الا بالاشباع . والشّفاء لا يقع إلاّ بالاقناع . وأفضل الكلام أبينه . وأبينه أشدّ إحاطة بالمعانى . ولا يحاط بالمعانى احاطة تامة إلاّ بالاستقصاء

والمختار أن الحاجة الى كلٍّ ماسّةٌ : ولكلٍّ موضعٌ لا يسدّ أحدهما مكان الآخر فيه . وللذوق السليم القول الفصل فى هذه الشؤون .

المبحث الثالث

﴿ في المُساواة ﴾

المُساواة — هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له (١) — بأن تكون المعاني بقدر الالفاظ . والألفاظ بقدر المعاني . لا يزيد بعضها على بعض وهي الأصل المقيس عليه ، والدّستور الذي يُعتمد عليه

كقوله تعالى (وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ) فإنّ اللّفظ فيه على قدر المعنى — لا ينقص عنه ولا يزيد عليه

وكقول طَرَفَةَ بن العبد .

ستُبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّد

أسئلة على الايجاز و الاطناب والمساواة يطلب أجوبتها

ما هي المساواة ؟ — ما هو الايجاز ؟ . — ما هو الإطناب ؟ . — كم

---

(١) المساواة هي ما ساوى لفظه معناه بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر — وهي نوعان

الأول — مساواة مع الاختصار وهي أن يتحرّى البليغ في تأدية المعنى أوجز ما يكون من الالفاظ القليلة الاحرف . الكثيرة المعاني — كقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وكقوله تعالى (ولا يحيق المكر السيئ إلاّ بأهله)

والثاني — مساواة بدون اختصار « و يسمى المتعارف » وهو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار . كقوله تعالى (حور مقصورات في الخيام) والوجهان في المركز الأسمى من البلاغة — غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليها

والمساواة فن من القول عزيز المنال . تشرأبّ اليه أعناق البلغاء ، لكن لا يرتقي

قسما الايجاز ؟ . ـ ماهو إيجاز القِصَر ؟ ـ ما هو ايجاز الحذف ؟ ـ بأى شئ يكون إيجاز الحذف ؟ . ـكم قسما الاطناب ؟ ـ ما هو ذكر الخاص بعد العام ماهو ذكر العام بعد الخاص ؟ ماهو الايضاح بعد الابهام ؟ ماهو التكرار ماهو الاعتراض ؟ ـ ماهو الايغال ؟ ـ ما هو التوشيع ؟ ـ ما هو التذييل ماهو التكميل ؟ . ـ ماهو التسيم ؟ . ـ ماهو الاحتراس ؟ . ـ ماهو الفرق بين التطويل والحشو ؟ . ما هى دواعى الايجاز ؟ ـ ماهى دواعى الاطناب كم قسما التذييل ؟ ـ أيكون الاطناب بغير هذه الانواع

تطبيق عام على الايجاز والاطناب والمساواة

درستُ الصرف ـ فيه مساواة لأن اللفظ على قدر المعنى ـ ويطعمون الطعام على حُبّه مسكينا ويتيما وأسيراً . فيه اطناب بالتتميم فان على حبه فضلة لزيادة التحسين فى المعنى

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ـ فيه مساواة

المرء بأدبه ـ فيه إيجاز قصر لتضمن العبارة القصيرة معانى كثيرة

تالله تفتأ تذكر يوسف ـ فيه ايجاز حذف وهو لا

وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ـ فيه ايجاز حذف جملة أى فضرب فانفلق

ألا كل شئ ما خلا الله باطل ـ فيه اطناب بالاحتراس

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأىّ الناس تصفو مشاربه

فيه الاطناب بالتذييل . والجملة الثانية جارية مجرى المثل

الى ذراه إلا بالانماذ لصعوبة المرتقى وجلالة المقصد ، والمساواة يعتبرها بعضهم وسطا بين الايجاز والاطناب . وبعضهم يدمجها ولا يعدها قسما ثالثا للايجاز والاطناب .

جوزى المذنب بذنبه وهل يجازى الا المذنب . فيه اطناب بالتذييل . وليس جاريا مجرى المثل

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ـ فيه اطناب بالاحتراس

البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة ـ فيه اطناب بالترديد

ولكنّ البر من اتقى ـ فيه ايجاز حذف مضاف ـ أى ذا البرّ

واهتمّ للسفر القريب فانه أنأى من السفر البعيد واشنع

فيه اطناب بالأيغال . فان أشنع مزيدة للترغيب فى الاهتمام

خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . فيه ايجاز حذف ـ أى خلطوا عملا صالحا بسيئ وعملا سيئا بصالح

والليل اذا يَسْرِ ـ فيه ايجاز بحذف الياء . وسبب حذفها ان الليل لمّا كان غير سار وانما يسرى مَن فيه . نقص منه حرف، اشارة الى ذلك جريا على عادة العرب فى مثل ذلك

ليحق الحق و يبطل الباطل ـ فيه ايجاز بحذف جملة ـ أى فعل ذلك

تمرين

بيّن الايجاز والاطناب والمساواة وأقسام كل منها فيما يأتى

إنّ فى خَلْقِ السَّمٰوات ِ وَالأَرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، والفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بعْدَمَوْتِهَا وبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١)

---

(١) فى هذه الآية الاطناب بتكثير الجمل . وهذا خلاف الانواع السابقة . وذلك لأنه لما كان الخطاب مع العموم وفيهم الذكى والغبى صرح بخلق أمهات الممكنات الظاهرة ليكون دليلا على القدرة الباهرة ـ وذلك بدل أن يقال (ان فى وقوع كل ممكن

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (١) يأخذ كل سفينة (٢)

أنا ابن جلا (٣) وطلاع الثنايا — متى أضع العمامة تعرفونى

فالله هو الولى (٤) وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك (٥)

فقلت يمين الله أبرح قاعداً (٦) — ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة — ويستحل دم الحجاج فى الحرم (٧)

تطمئن قلوبهم بذكر الله — ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٨)

ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن (٩) فأولئك كان سعيهم مشكوراً

لله لذة عيش بالحبيب مضت — ولم تدم لى وغير الله لم يدم (١٠)

وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء (١١) يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة — فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (١٢)

حليم إذا ما الحلم زين لأهله — مع الحلم فى عين العدو مهيب (١٣)

تساوى طرفاه لآيات للعقلاء) (١) فيه إيجاز القصر لأنه قد جمع مكارم الاخلاق

(٢) أى سفينة سالمة (٣) أى أنا ابن رجل جلا (٤) الشرط محذوف أى ان أرادوا ولياً فالله هو الولى (٥) أى فاقتد واصبر (٦) أى لا أبرح

(٧) فى الحرم — ايغال للزيادة فى المبالغة

(٨) فيه التذييل (٩) احترس بقوله وهو مؤمن عن توهم الاطلاق

(١٠) فيه تذييل جار مجرى الامثال (١١) فى قوله (من غير سوء) احتراس عن توهم بياض البرص ونحوه (١٢) فيه الاعتراض

(١٣) فى البيت احتراس

أتى الزمانَ بنوه فى شبيبته ... فسرَّهُمْ وأتيناهُ على هرم (١)
وألفيتُه بحراً كثيراً فُضُولهُ ... جَواد متى يذكر له الخير يَزْدَدِ (٢)
فان كنتَ لا تستطيعُ دَفعَ منيّتى ... فذَرْنى أُبادرْها بما ملكتْ يدى
ما أحسنَ الايامَ إلاّ أنها ... ياصاحبَىّ إذا مضت لم ترجع
ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه ... على شَعَثٍ أىُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ
تأمّل من خِلاَل السَّجف وانظر ... بعينك ماشربتُ ومَنْ سقانى
تجد شمس الضُّحى تدنو بشمسٍ ... الىّ من الرَّحيق الخُسروانى

خاتمة

الأصول والمُقتضيات المذكورة فى هذا الفنّ ليست مَسُوقةً على سبيل الحصر ، وانّما هى نموذج ينبِّه الطالب على اعتبار ما يحسن فى الذوق اعتباره ، ويُعينه على استخراج ما فى الكلام من وجوه البلاغة (٣)

والقاعدة أنه متى وُجد الكلام الصّادر عمَّن يُعتدّ بكلامه مُستعملا فى

---

(١) فى البيت ايجاز ـ أى وأتيناه على هرم (فساءنا)

(٢) فى البيت اطناب ـ فان قوله متى يذكر الخير يزدد تكميل

(٣) علمتَ أنّ البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ورأيت فى ما تقدم من الأحكام أن مقتضى الحال يجرى على مقتضى الظاهر ، وهذا بالطبع هو الاصل ، ولكن قد يُعدل عمّا يقتضيه الظاهر الى خلافه ، ممّا تقتضيه الحال فى بعض مقامات الكلام لاعتبارات يراها المتكلم

غير معناه الأصلى المعروف له وضعاً طَلَبَ المُراد بالتأمّل الصّادق مستعيناً بالقرائن وسياق المقال حتى ينجلى له وجه العدول ـ وقد تقدّم كثير من ذلك العدول (المسمّى بإخراج الكلام على خلاف مُقتضى الظّاهر) فى الابواب السابقة وبقى من هذا القبيل أنواع أخرى

الأول ـ الالتفات وهو نقل الكلام من حالة التكلم أو الخطاب أو الغَيبة الى حالة أخرى من ذلك ، لمُقتضيات ومُناسبات تظهر بالتأمُّل فى مواقع الالتفات ، وتلويناً للخطاب حتى لا يملّ السّامع من التزام حالة واحدة «فانّ لكل جديد لذّة» ولبعض مواقعه لطائف، ملاكُ إدراكها الذوقُ السليم

واعلم أنّ صور العدول الى الالتفات ستة

١ عدولٌ من التّكلم الى الخطاب ـ كقوله تعالى (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

٢ عدولٌ من التّكلم الى الغَيبة — كقوله تعالى (يا عِبادِيَ الذين أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاَ تقنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ)

٣ عدولٌ من الخطاب الى التّكلّم ـ كقوله تعالى (وَاسْتَغْفِروا رَبّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ)

٤ عدول من الخطاب الى الغيبة ـ كقوله تعالى (رَبَّنا إِنكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيومٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ المِيعاد)

٥ عدولٌ من الغيبة الى التّكلّم ـ كقوله تعالى (وهُوَ الّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْرًى بَينَ يَدَى رَحْمَتِهِ وأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً)

٦ عدولٌ من الغيبة الى الخطاب ـ كقوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثاقَ

بَنِى إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إلاَّ اللهَ)

الثانى ـ تجاهُل العارف ، وهو سَوق المعلوم مساق المجهول ، بأن يَجْعَل العارفُ بالشئ نفسه جاهلة به ـ وذلك لأغراض

١ كالتعجب نحو قوله تعالى (أفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ)

٢ والمبالغة فى المدح ـ نحو ـ وَجْهُكَ بدْرٌ أم شمسٌ

٣ والمُبالغة فى الذَّم ـ كقول الشاعر

وَما أدرِى وَسوفَ إخالُ أدرى أقومٌ آلُ حِصنٍ أم نساءُ

٤ والتّوبيخ وشِدّة الجزع كقول الشاعر

أيا شَجَرَ الخابور مَالَكَ مُورِقا كأنكَ لم تجزَعْ على ابن طَرِيفِ [1]

٥ وشِدّة الوَلَهِ ـ كقول الشاعر

بالله ياظبيات القاعِ قُلن لنَا ليلاىَ منكنّ أم لَيلى منَ البَشر

٦ والفخر كقوله

أيُّنا تعرف المواقف منه وَثَباتٍ على العِدَا وَثباتا

الثالث — القَلب [2] وهو جعل كلٍّ من الجزأين فى الكلام مكان

---

(١) تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشدة التحير والتضجّر

(٢) ويستدل عليه بالتأمل فى المعنى فنحو عرضتُ الناقة على الحوض . وأدخلت الخاتم فى أصبعى ـ أصله « عرضت الحوض على الناقة » لأن العرض يكون على ماله ادراك » وأصله أدخلت أصبعى فى الخاتم « لان الظرف هو الخاتم » والنكتة ان الظاهر الاتيان بالمعروض الى المعروض عليه . وتحريك المظروف نحو الظرف ولما كان ما هنا بالعكس قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار ـ وانما يقبل حيث يتضمن اعتباراً لطيفا

صاحبه ، لغرض كالمبالغة ـ نحو : قول رُؤْبَة بن الْعَجَّاج

ومَهْمه مغبَرَّة أرجاؤُها كأَنَّ لونَ أرضِهِ سَماؤُهُ (١)

أى كأَنّ لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، مُبالغة فى وصف لون السماء بالغُبْرَة ، حتى صار بحيث يشبّه به لون الأرض .

ونحو : أدخلت الخاتم فى أصبُعى ، وعرضت النّاقة على الحوض

الرابع التّعبير عن المضارع بلفظ الماضى — وعكسه

فمن أغراض التّعبير عن المضارع بلفظ الماضى

«ا» التّنبيه على تحقيق وقوعه — نحو — (أَتَى أَمْرُ اللهِ) ـ أى يأتى

«ب» وقرب الوقوع — نحو قد أقامتِ الصلاة ـ ى قرُب القيام لها

«ج» والتّفاؤل — نحو — إنْ شفاك الله تذهبْ معى

«د» والتعريض ـ نحو ـ (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)

فيه تعريض المشركين بأنهم قد حَبِطت أعمالهم

ومن أغراض التّعبير عن الماضى بلفظ المضارع

«ا» حكاية الحالة الماضية باستحضار الصّورة الغريبة فى الخيال

نحو (اللهُ الذى أرْسَلَ الرِّياح فتُثيرُ سَحَاباً) بدل فأثارت

«ب» وإفادة الاستمرار فيما مضى ـ نحو ـ (لَوْ يُطِيعُكمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) أى لو استمرّ على إطاعتكم لهلكتم

الخامس — التّعبير عن المستقبل بلفظ اسم « الفاعل »

نحو (إنّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ)

---

(١) والمهمه المفازة البعيدة ـ وأرجاؤه نواحيه

أو « المفعول » ـ نحو (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاس)

وذلك لأنّ الوصفين المذكورين حقيقةٌ فى الحال مجازٌ فيما سواه

السادس — التّغليب وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر فى اطلاق لفظه عليه ـ وذلك

١ كتغليب المذكر على المؤنّث فى قوله تعالى (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِين) وبالعكس ـ نحو ـ الأبوين (للأب والأم)

٢ وكتغليب الأخفّ على غيره ـ نحو الحَسنين فى الحَسن والحُسين

٣ وكتغليب الأكثر على الأقل ـ كقوله تعالى (لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا)

أدخل شُعيبٌ فى العود إلى ملّتهم ، مع أنه لم يكن فيها قطّ ، ثم خرج منها وعاد ، تغليبا للأكثر .

٤ وكتغليب العاقل على غيره كقوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين)

وصلّ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تم علم المعانى * ويليه علم البيان * والله المستعان

علم البيان

١ ألبيان (١) معناه فى اللّغة — الـكشف والإيضاح

وفى اصطلاح البلغاء — أُصولٌ وقواعدُ يُعرف (٢) بها إيرادُ المعنى الواحد بِطرُقٍ يَختلِف بعضُها عن بعض فى وُضوح الدّلالة على نفس ذلك المعنى

(ولا بُدّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً)

فالمعنى الواحد كـكرم سعد — يُدلُّ عليه تارة بطريق التّشبيه بأن

---

(١) هو اسم لـكل شئٍ كشف لك بيان المعنى وهتك لك الحجب دون الضمير ـ حتى يفضى السامع الى حقيقته . ويهجم على محصوله ، كائنا ما كان ذلك البيان . ومن أى جنس كان ذلك الدليل ـ لان مدار الأمر والغاية التى يجرى اليها القائل والسامع انما هو الفهم والافهام . فبأىّ شئٍ بلغت الافهام ؛ وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع . واعلم أن المعتبر فى علم البيان دقة المعانى المعتبرة فيها من الاستعارات والـكنايات مع وضوح الالفاظ الدالة عليها . فالبيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير (٢) أى يعرف من حصّل تلك الاصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض . فعلم البيان عـلم يُتمكن به من إبْراز المعنى الواحد بصور متفاوتة ، وترا كيب مختلفة فى درجة الوضوح ، فالمحيط بفن البيان . الضليع من كلام العرب منثوره ومنظومه . إذا أراد التعبير عن أىّ معنى يجول بضميره . استطاع أن يختار من فنون القول وطرق الـكلام . ما هو أقرب لمقصده . وأليق بغرضه ، بطريقة تُبيّن مافى نفس المتـكلم من المقاصد ، وتوصل الأثر الذى يريده به الى نفس السّامع فى المقام المناسب له ، فينال الـكاتب والشاعر والخطيب من نفس مخاطبيه إذا جوّد قوله ، وسحرهم ببديع بيانه

يقال « سعد كحاتم » ومرّة بطريق المجاز . بأن يُقال « رأيت بحراً فى دار سعد » وأخرى بطريق الكناية . بأن يُقال « سعد كثيرُ الرّماد » ولا يخفى أنّ بعضَ هذه التّراكيب أوضحُ من بعض كما ستعرفه[1]

«ب» وموضوع هذا العلم الألفاظ العربية من حيث المجازُ والكنايةُ وأمّا التكلّم عن الحقيقة والتّشبيه فليس مقصوداً بالذات فى علم البيان

« ج » وواضعه أبو عُبيدةَ الذى دَوَّنَ مسائل هذا العلم فى كتابه المسمّى « مجاز القرآن » ومازال ينمو شيئاً فشيئاً حتى وصل الى الامام « عبدالقاهر » فأحكم أساسه ، وشيّدَ بناءه ، ورتّب قواعده ، وتبعه الجاحظ ، وابن المُعتز وقُدامة ، وأبو هلال العسكرى

«د» وثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب « منثوره ومنظومه » ومعرفة مافيه من تَفاوُتٍ فى فنون الفصاحة ، وتبايُن فى درجاتِ البلاغة التى يصل بها الى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذى حار الجنُّ والإنسُ فى مُحاكاته ـ وعجزوا عن الإتيان بمثله

مقدّمة

ألّلفظ إن عُيِّن بازاء معنى ليدلّ عليه سُمِّى موضوعا ، والمعنى موضوعا له ، والتّعيين وضعاً . ثم إنه بعد ذلك إمّا ألاّ يُتصرّف فيه عند الاستعمال أو يُتصرّف فيه عنده

(١) ولا يغيب عن البال أن الألفاظ المترادفة تتفاوت دلالتها من جهة اللفظ والعبارة ، لا من ناحية الوضوح والخفاء فلا تدخل حينئذ فى مباحث فن البيان

فالأول ـ وهو الذى لا يُتَصَرَّف فيه عند الاستعمال يُسمَّى (حقيقة) (١)

والثانى ـ وهو الذى يُتصرَّف فيه عند الاستعمال

«ا» فان كان التّصرف باسناده الى غير ماحقّه أن يُسند اليه

سُمِّى «مجازاً عقليا ـ أو ـ إسناداً مجازيا ـ» نحو بنى الأمير المدينة

«ب» وان كان ينقله من معنى لمعنى لعلاقة وقرينة

وهى خمسة أنواع (١) الحقيقة العقلية (١) وهى اسناد الشئ إلى ماهو له عند المتكلم فى الظاهر نحو: أنبتَ اللهُ الشجر

٢ الحقيقة اللُّغوية وهى الكلمة المُستعملة فى الشئ الذى وضعت له عند أهل اللغة ـ نحو: أسد «للحيوان المفترس»

٣ الحقيقة الشّرعية وهى الكلمة المستعملة فى الشيء الذى وُضعت له عند أهل الشرع كالصلاة فأنها موضوعة «للأقوال والأفعال المخصوصة»

٤ الحقيقة الاصطلاحية الخاصة وهى الكلمة المستعملة فى ما وُضعت له فى اصطلاح خاص كالفاعل فإنه موضوع فى اصطلاح النحاةُ «للاسم المرفوع بالفعل المذكور قبله أو شبهه»

٥ الحقيقة الاصطلاحية العامة وهى الكلمة المُستعملة فى ما وُضعت له فى اصطلاح العام نحو ـ دابّة. فانها موضوعة فى العُرف العام «لذوات الاربع كالفرس والحمار»

---

(١) أقسام الحقيقة العقلية أربعة ـ الأول ما يطابق الواقع والاعتقاد معا كقول المؤمن أنبت الله الزرع ـ الثانى ما يطابق الاعتقاد فقط كقول الجاهل أنبت المطر الزرع ـ الثالث ما يطابق الواقع دون الاعتقاد، كقول المعتزلى لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها ـ خلق الله الافعال كلها ـ الرابع مالا يطابق شيئا منهما كقولك جاء فريد ـ وأنت تعلم أنه لم يجئ «دون المخاطب»

فان منعت قرينتهُ إرادةَ المعنى الموضوع له «فمجازبالاستعارة» ان كانت العلاقة المشابهةَ — « ومجازٌ مرسلٌ » ان كانت العلاقة غيرَها

وان لم تمنع القرينة ـ فان كان بالكاف وكأنّ ونحوهما « فتشبيه » وإلاّ « فكناية »

ولهذا انحصر علم البيان فى التّشبيه ـ والمجاز ـ والكناية

الباب الاول

﴿ فى التّشبيه [1] ﴾

التّشبيه — أوّلُ طريقة تدُلُّ عليه الطّبيعة لبيان المعنى ـ وهو فى اللغة التّمثيل ـ وعند علماء البيان ـ مُشاركة أمرٍ لأمرٍ فى معنًى [2] بأدوات [3]

---

(١) اعلم أن للتشبيه موقعاً حسنا فى البلاغة ـ وذلك لاخراجه الخفى إلى الجلى وإدنائه البعيد من القريب ، يزيد المعانى رفعة ووضوحا ، ويكسبها توكيداً وفضلا ويكسوها شرفا ونبلا . فهو فن واسع النطاق . فسيح الخطوة ، ممتد الحواشى ، متشعب الأطراف . متوعر المسلك . غامض المدرك . دقيق المجرى . غزير الجدوى

(٢) فالتشبيه هو الدلالة على أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها فى صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه ، وبتعريف التشبيه بذلك خرجت المشاركة فى عين نحو اشترك زيد وبكر فى الدار فانه لا يسمى تشبيها

(٣) خرجت الاستعارة والتشبيه الضمنى فى بعض صور التجريد « وهو مالم يكن تجريد الشئ عن نفسه » لانه حينئذ لاتشبيه نحو لهم فيها دار الخلد ، فانه لانتزاع دار الخلد من جهنم وهى عين دار الخلد لا شبيهة بها ، بخلاف نحو لقيت بزيد أسداً ـ فانه لتجريد أسد من زيد . وأسد مشبه به لزيد لا عينه ففيه تشبيه مضمر

معلومة (١) ـ كقولك ـ العلم كالنّور فى الهداية . . . فالعلم مُشَبَّه ، والنور مشبه به ، والهداية وجهُ الشّبه ، والكاف أداة التّشبيه ، فحينئذ أركان التشبيه أربعة ، مشبه . ومشبه به « ويُسمّيان طرفَى التّشبيه » ووجه شبه ، وأداة تشبيه « ملفوظة أو ملحوظة » ـ وفى هذا الباب مباحث

المبحث الاول

﴿ فى تقسيم طرفى التّشبيه إلى حِسّى وَعقلى ﴾

طرفا التّشبيه « المشبه والمشبه به »

١ إمّا حِسّيان (٢) « أى مُدركان بإحدى الحواسّ الخمس الظّاهرة » نحو ـ أَنْتَ كالشمس فى الضّياء ـ وكما فى تشبيه « الخدّ بالورد »

فى النفس ـ فكل من الاستعارة والتشبيه الضمنى المذكور لا يسمى تشبيها اصطلاحا وليس التشبيه مجرد الاشتراك فى معنى بل لابد فيه من ادّعاء مماثلة أحد أمرين لآخر فى معنى ومساواته إياه ـ ولذلك نفاه الشاعر

ما أنت مادحها يا من تشبّهها بالشمس والبدر لا بل أنت هاجيها

من أين للشمس خال فوق وجنتها ومبسم كنظام الدرّ فى فيها

(١) وهى الكاف وكأنّ ومثل ونحوها ـ وكذا مائل وشابه وما اشتق منهما أو يرادفهما فى المعنى مما سيأتى

(٢) اعلم أن من الحسى ما لا تدركه الحواس الخمسة وهى (البصر والسّمع والشم والذّوق واللمس) ولكن تدرك مادته فقط ويسمى هذا التشبيه بالخيالى ـ كقوله

كأن الحباب المستدير برأسها كواكب درّ فى سماء عقيق

فان هذه الكواكب والسماء لا يدركها الحس لأنها غير موجودة ـ ولكن يدرك مادتها التى هى الدر والعقيق على انفراد ـ والمراد بالحباب ما يعلو الماء من الفقاقيع

٢ وإمّا عقليان - أى مدركان بالعقل نحو : العلم كالحياة ونحو « الضّلاَل عن الحق كالعَمى » - ونحو « الجهل كالموت »

٣ وإمّا المشبه حِسّى والمشبه به عقلى - نحو - طبيب السّوء كالموت

٤ وإمّا المشبه عقلى والمشبه به حِسّى - نحو - العلم كالنّور

المبحث الثانى

﴿ فى تقسيم طرفى التّشبيه باعتبار الأفراد والتركيب ﴾

طرفا التّشبيه « المشبه والمشبه به »

والضمير للخمر - ومنه أيضا قول الآخر

وكأنّ محمرّ الشّقيق إذا تصوّب أو تصعّد
أعلام ياقوت نُشِرن على رماح من زبرجد

فان الاعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة — لكن المشبه الذى مادته هذه ليس موجوداً ولا محسوساً . والمراد بالعقلى مالا يدرك هو ولا مادته باحدى الحواس الظاهرة - بل ادراكه عقلا ؛ فيدخل فيه الوهمى وهو مالا يدرك هو ولا مادته باحدى الحواس ، لكن لو وجد فى الخارج لكان مدركا بها - و يسمى هذا التشبيه بالوهمى - كقوله

أيقتلنى والمَشرفىّ مُضاجعى ومَسنُونة زُرق كأنياب أغوال

فان أنياب الاغوال لم توجد هى ولا مادتها . وانما اخترعها الوهم ، لكن لو وجدت لأدركت بالحواس والمشرفى السيف . والمسنونة السهام . والأغوال يزعمون أنها وحوش هائلة المنظر ولا أصل لها . والوجدانيات كالجوع والعطش ونحوهما ملحقة بالعقلى ثم التضاد بين الطرفين قد ينزل منزلة التناسب ، و يجعل وجه الشبه على وجه الظرافة أوالاستهزاء كما فى تشبيه شخص ألكن بقُس بن ساعدة - أو رجل بخيل بحاتم - والفرق بين الظرافة والاستهزاء بالقرائن . فان كان الغرض مجرد الظرافة فظرافة - و إلا فاستهزاء

١ إمّا مفردان « مُطلقان » نحو ـ ضوءه كالشمس
أو مقيدان (١) نحو ـ السّاعى بغير طائل كالرّاقم على الماء
أو « مختلفان » نحو : ثَغره كاللُّؤلؤ المنظوم ـ ونحو : العين الزرقاء كالسّنان

وإمّا مركبان تركيبا لم يُمكنْ إفراد أجزائهما ـ كقوله (٢)

كأنَّ سُهيلاً وَالنجُومُ وَرَاءَهُ ... صفُوفُ صَلاَةٍ قامَ فِيها إمَامُهَا

(إذ لو قلت كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة. لذهبت فائدة التّشبيه)

٢ أو مركبان تركيباً اذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة (المشبّه به) كما ترى فى قول الشاعر الآتى -- حيث شبّه النجوم اللاّمعة فى كبد السّماء بدُرٍّ منتثر على بساط أزرق

---

(١) وتقييده بالاضافة أو الوصف أو المفعول أو الحال أو الظرف أو بغير ذلك ويشترط فى القيد أن يكون له تأثير فى وجه الشبه . ولهذا جعل قوله تعالى ـ(هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن) من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد . ونحو التعلّم فى الصغر كالنقش فى الحجر

(٢) ومنه قول الآخر

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فانه شبه هيئة الغبار ، وفيه السيوف مضطربة ، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط فى جهات مختلفة ـ وكقول الشاعر

كأنّ الدموع على خدّها ... بقيّة طَلٍّ على جلّنار

فالمشبه مركب من الدموع والخد ، والمشبه به مركب من الطّلّ والجلنار

وَكأنّ أَجْرَامَ النُّجوم لوَامِعاً   دُرَرٌ نُثِرْنَ عَلى بسَاطٍ أزْرَقِ

(إذ لو قلت كأن النُّجُوم دُرَرٌ ـ وكأنّ السماء بساط أزرق ، كان التشبيه مقبولا — لـكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به)

٣ وإما مفرد بمركب — كقول الخنساء (١)

أغرُّ أبلجُ تأتمّ الهُدَاةُ بِهِ   كأنه علمٌ فِى رأسـهِ نارُ

٤ وإما مركب بمفرد — نحو — الماء المالح كالسمّ (٢)

المبحث الثالث

﴿ فى تفسيم طرفى التَّشبيه باعتبار تعدّدهما ﴾

ينقسم طرفا التَّشبيه « المشبه والمشبه به » باعتبار تعدّدهما الى أربعة أقسام ملفوف ، ومفروق ، وتسوية ، وجمع

١ فالتشبيه الملفوف ، هو جمع كل طرف منهما مع مثله ، كجمع المشبه مع المشبه . والمشبه به مع المشـبه به — بحيث يُؤتى بالمشبهات أوّلا ، ثم بالمشبهات بها ثانيا

كقوله   ليل وبدر وغصن * شعر ووجه وقدٌّ

وكقوله

تبسُّمٌ وقطوبٌ فى ندًى وَوَغًى   كالغيث والبرق تحت العارض البرَد

---

(١) كقوله   وحدائق لبس الشّقيقَ نباتُها   كالأرجوان منقّطا بالعنبر

(٢) وكقوله   لاتعجبوا من خاله فى خدّه   كل الشقيق بنقطة سوداء

فالمشبه مركب من الخال والخد ، والمشبه به مفرد وهو الشقيق

وكقوله

وضوء الشُّهْبِ فوْق اللّيْل بادٍ كأطرَاف الأسِنَّة فِى الدُّروع [١]

٢ والتشبيه المفروق — هو جمع كل مشبه مع ما شُبِّه به — كقوله [٢]

ألنّشر مسكٌ وَالوجوهُ دَنَا نيرٌ وأطرَافُ الأكُفِّ عَنَم

٣ «وتشبيه التسوية» هو أن يتعدّد المشبه دون المشبه به — كقوله

صُدغُ الحبيب وَحالى كلاهما كالليالى

وثَغـره فى صـفاء وأدمعى كاللآلى

سُمِّى بذلك للتّسوية فيه بين المُشبّهات

٤ وتشبيه الجمع — هو أن يتعدّد المشبه به ، دون المشبه — كقوله

كأنما يَبسمُ عن لؤلؤ منضَّد أو بَرَد أو أُقاح [٣]

سُمِى بتشبيه الجمع — للجمع فيه بين مشبّهات بها ثلاث

وكقوله — مرّت بنا رأد الضّحى تحكى الغزالة والغزالا

---

(١) أى فقد جمع ضوء الشهب والليل المشبهين ، مع أطراف الأسنة والدروع المشبه بهما (٢) ومنه قوله

إنما النفس كالزجاجة والعلـ م سراج وحكمة الله زيت

فإذا أشرقت فإنك حىٌّ وإذا أظلمت فإنك ميت

(٣) أى كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم ، أو كالبرد أو كالاقاح فشـبه الشاعر ثغر المحبوب بثلاثة أشياء اللؤلؤ (وهو الجوهر المعلوم) والبرد (وهو حب الغمام) والاقاح جمع أقحوان بضم الهمزة ، وهو زهر نبت طيب الرائحة ، حوله ورق أبيض ، ووسطه أصفر

تمرين

أذكر أحوال طرفي التشبيه فيما يأتي

علم لاينفع كدواء لاينجع . الصديق المنافق والابن الجاهل كلاهما كجمر الغضا . الحق سيف على أهل الباطل ، الحِمْيَة من الأَنام كالحِمْيَة من الطَّعام

ياشبيه البدر حُسنا وضياءً ومنالا
وشبيهَ الغصن لينا وقواماً واعتدالا
أنت مثل الورد لونا ونسيما وملالا
زارنا حتى إذاما سرَّنا بالقرب زالا

فكم معنى بديع تحت لفظٍ هناك تزاوُجٌ كلّ ازدوَاج
كراح فى زُجاج أو كروح سَرَت فى جسم معتدل المزاج
ألخدُّ وردٌ والعذَار رِياض والطَّرفُ ليلٌ والبياض نهارُ

﴿ ملخص القول فى تقسيم طرفى التشبيه ﴾

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه ـ أولا ـ إلى حسّيين وعقليّين ومختلفين فالحسيان يشتركان (١) فى صفة مبصرة كتشبيه المرآة بالنهار فى الاشراق ، والشعر بالليل فى الظلمة والسواد فى قول الشاعر :

فرعاء تسحبُ من قيامٍ شعرَها وتغيب فيه وهو ليل أسحمُ
فكأنها فيه نهارٌ مشرقٌ وكأنه ليلٌ عليها مُظلم (١)

(٢) أو فى صفة مسموعة ـ كتشبيه انقاض الرحل بصوت الفراريج فى قول الشاعر

كأن أصواتَ مِن إيغالهِنَّ بنا أواخرِ المَيْس إنقاض الفراريج (٢)

---

(١) بامرأة فرعاء . كثيرة الشعر . أسحم . أسود من سحم كتعب

(٢) ألميس . الرحل . الانقاض . قيل صوت الفراريج الضئيل . وقيل صوت الحيوان

العمرُ والإنسان والدنيا همو   كالظلّ في الإقبال والإدبار

الخدُّ وَرْدٌ والصُّدغ غالية   والرِّيق خمرٌ والثَّغرُ مِنْ بَرَدِ

ليلٌ وبدرٌ وغصنٌ شَعرٌ ووجْهٌ وقدٌّ

خمرٌ ودرٌّ ووَرْدٌ ريقٌ وثَغرٌ وخدٌّ

وكتشبيه الأصوات الحسنة فى قراءة القرآن بالمزامير

(٣) أو فى صفة مذوقة . كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل . وكتشبيه الريق بالخمر فى قول الشاعر :

كأن المُدَامَ وصَوْب الغمامِ   وريحَ الخزامَى وذَوْبَ العَسَلْ

يعَلُّ به بَرْدُ أنيابها   إذا النجم وسْطَ السماء اعتَدَلْ (١)

(٤) أو فى صفة ملموسة . كتشبيه الجسم بالحرير فى قول ذى الرُّمة :

لها بَشر مثلُ الحرير ومَنطقٌ   رَخيمُ الحواشى لاهراء ولا نَزْرُ (٢)

(٥) أو فى صفة مشمومة . كتشبيه الريحان بالمسك — والنَّكهة بالعنبر

والعقليان — هما اللذان لم يدركا « هما ولا مادتهما » باحدى الحواس — كتشبيه السفر بالعذاب ، والضلال عن الحق بالعمى ، والاهتداء إلى الخير بالإبصار

والمختلفان — إما أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا — كتشبيه الغضب بالنار من التلظى والاشتعال — وكتشبيه الرأى بالليل فى قول الشاعر

الرأى كالليل مُسْوَدٌّ جوانِبُهُ   والليل لا ينجلى إلا بإصباح

والنقض صوت الموتان كالرحل . والفراريج . جمع فروج وهو فرخ الدجاجة . وتقدير البيت . كأن أصوات أواخر الميس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج (١) المدام . الخمر . الصوب . من صاب المطر يصوب . إذا انصب ونزل . الخزامى . نبت طيب الرائحة . والعلل الشرب الثانى يقال علل بعد نهل (٢) رخيم الحواشى . مختصر الاطراف الهراء (بضم الهاء) المنطق الكثير وقيل المنطق الفاسد الذى لا نظام له

العمرُ مثل الضّيف أوْ كالطّيف ليسَ له إقامه
العيش نوْمٌ وَالمنيّةُ يقظة والمرء بينهما خيالٌ سارى
العلم فى الصدر مثلُ الشّمس فى الفَلَكِ والعقلُ للمرء مِثلُ التّاج للمَلِكِ
عزَماتُه مثل النّجوم ثواقباً لو لم يكن للثّاقبات أفُولُ
وكأنّ أجرام النّجوم لوامعاً دُرَرٌ نُثِرن على بِساط أزرقِ

وإما أن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا ـ كتشبيه الكلام بالخلق الحسن وكتشبيه العطر بخلق كريم فى قول الصاحب بن عبّاد .

أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه (١)

وثانيا — إلى مفردين مطلقين . أو مقيدين . أو مختلفين ـ وإلى مركبين أو مختلفين .

فالمفردان المطلقان . كتشبيه السماء بالدّهان فى الحمرة . فى قوله تعالى : فإذَا انشقت السّماء فكانَتْ وَرْدَةً كالدّهانِ (٢)

وكتشبيه الكشح بالْجَدِيل . والساق بالأنبوب . فى قول امرئ القيس

وكشْح لطيف كالجَدِيل مخصّر وساق كانبوب السّقىّ المذلَّلِ (٣)

والمقيدان . بوصف . أو إضافة . أو حال . أو ظرف ـ أو نحو ذلك . كقولهم فيمن لايحصل من سعيه على فائدة : هو « كالراقم على الماء » فالمشبه هو الساعى على هذه الصفة . والمشبه به هو الراقم بهذا القيد . ووجه الشبه . التسوية بين الفعل والترك فى

(١) الثناء يشبه بالعطر لكنه اعتبر المعقول كأنه محسوس وجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغة ، وتخيّله شيئاً له رائحة وشبّه العطر به (٢) الدهان الجلد الاحمر

(٣) الكشح . ما بين الخاصرة الى الضلع (أقصر الاضلاع وآخرها) وهو من لدن السرّة الى المتن . الجديل الزمام المجدول من آدم .

كأنما النارُ فى تلهُّبها — والفحم من فوقها يُغطِّيها
زِنجية شبَّكت أناملها — من فوق نارَنجة لتُخفيها

الفائدة ـ وكقوله
والشمس من بين الأرائك قد حكَتْ — سيفاً صقيلاً فى يد رعشاءِ (١)
والمختلفان . والمشبه به هو المقيد : كما فى قول ذى الرّمة
قِفِ العيسَ فى اطلال ميَّةَ فاسألِ — رُسوماً كأخلاق الرِّداء المُسَلْسَلِ (٢)
أو المشبه هو المقيد . كما فى قول الشاعر
كأنَّ فِجاجَ الأرض وهى عريضةٌ — على الخائف المطلوب كُفَّةُ حابِلِ (٣)
والمركبان . كقول الشاعر
البدرُ منتقب بغيم أبيض — هو فيه بين تفجُّر وتبلُّج
كتنفّس الحسناء فى المرآة إذ — كَمُلَت محاسنُها ولم تتزوّج
والمختلفان ـ والمشبه مفرد كقوله تعالى : مثَلُ الذينَ كفَروا بربِّهم أعْمَالُهمْ كرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الريحُ فى يَوْمٍ عاصِف ـ وكقول الشاعر .

وقيل حبل من أدم أو شعر فى عنق البعير . مخصر . دقيق . السقى . البردى واحده سقية . المذلل الذى ذلل بالماء حتى طاوع كل من مدّ اليه يده . قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب فى شرحه لديوان امرئ القيس . شبه كشح المرأة بالزمام فى اللين والتثنّى واللطافة . وشبه ساقها ببردى قد نبت تحت نخل . والنخل تظله من الشمس والوجه بالبياض (١) الاراك شجر من الحمض يستاك بقضبانه ، واحده أراكة وجمعها أرائك (٢) العيس . كرام الابل وقيل الابل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفية . والاطلال جمع طلل . وهو الشاخص من آثار الديار . الرسم ما كان لاصقاً بالارض من آثار الديار . أخلاق . جمع خلَق (بفتح اللام) وهو الثوب البالى . المسلسل . الرقيق من تسلسل الثوب لبس حتى رقّ (٣) الفجاج جمع فج الطريق الواسع الواضح بين جبلين . الكفة ما يصاد به (الشبكة) الحابل الصياد

يا صاحِبيَّ تَقصَّيا نظريكُما تَريا وُجوهَ الأرضِ كيف تُصوَّرُ

أغَرُّ أبلَجُ تأتمُّ الهُداةُ به كأنَّهُ علم فى رأسه نار

أو المشبه به مفرد . كقول أبى الطيب المتنبى

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها فى نفوسهم شِيَمُ

شبه إشراق الأعراض والوجوه باشراق الشيم (الاخلاق الطيبة) فاشراق الوجوه ببياضها ، و إشراق الاعراض بشرفها وطيبها :وكقول أبى تمام يصف الربيع

يا صاحبيَّ تقصَّيا نظريكما تَرَيا وجوه الارض كيف تُصوَّر (١)

تريا نهاراً مشمِساً قد شابَهُ زَهْرُ الرُّبا فكأنما هو مُقْمِر

يريد أن النبات لكثرته وتكاثفه مع شدة خضرته قارب لونه السواد . ونقص من ضوء الشمس حتى كأنه ليل مقمر . فشبه النهار المشمس الذى قد خالطه زهر الربا بالليل المقمر ـ والاول مركب ـ والثانى مفرد مقيد

وثالثا ـ إلى (١) ملفوف . وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولا على طريق العطف أو غيره ، ثم بالمشبهات بها كذلك ـ كقول الشاعر

ليلٌ و بدرٌ وغصنٌ شعرٌ ووجه وقدٌّ

خمرٌ ودرٌّ وورد . ريقٌ وثغرٌ وخَدٌّ

شبّه الليل بالشعر ، والبدر بالوجه ، والغصن بالقد ، فى البيت الأول . والخمر بالريق والدر بالثغر . والورد بالخد ، فى البيت الثانى . وقد ذكر المشبهات أولا ـ والمشبهات بها ثانياً كما ترى

(٢) مفروق . وهو ما أوتى فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر . كقول أبى نوّاس

---

(١) تقصّيا . من تقصّيت الشىء بلغت أقصاه أى اجتهدا فى النظر . تصور تتصور . شابه . خالطه . الربا . جمع ربوة وهى المكان المرتفع وخص زهر الربا لانه أنضر وأشد خضرة

تريا نهاراً مُشمساً قد شابهُ (١) زهرُ الرُّبى فكأنما هو مُقمِرُ
وكأنَّ مِحْمَرَّ الشَّقِيـ ق اذا تَصوَّب أو تصعَّد (٢)

تبكى فتذرى الدرّ من نَرجس وتمسحُ الوردَ بعنّاب (١)

شبه الدمع بالدر لصفائه . والعين بالنرجس لما فيه من اجتماع السواد بالبياض والوجه بالورد .

ورابعا ـ إلى (١) تشبيه التسوية . وهو ما تعدد فيه المشبه ـ كقول الشاعر

صدْغُ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى (٢)

شبه فى الأول صدغ الحبيب وحاله هو بالليالى فى السواد . وفى الثانى شبه ثغر الحبيب ودموعه باللآلى فى القدر والاشراق

(٢) تشبيه الجمع . وهو ما تعدد فيه المشبه به كقول البُحترى :

بات نديماً لى حتى الصباح أغْيَدُ مجْدُولُ مَكانِ الوِشاحْ
كأنما يَبسِمُ عن لؤلؤ منضّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ (٣)

شبه ثغره بثلاثة أشياء باللؤلؤ والبرَد والاقاح

---

(١) أى قد خالط هذا النهار زهر الربا فكأنما هو ليل مقمر

(٢) العناب ـ شجر له حب كحب الزيتون وأحسنه الأحمر الحلو (٢) الصدغ (بضم الصاد) ما بين العين والاذن . والشعر المتدلى على هذا الموضع هو المراد هنا والثغر تطلق على الفم ، وعلى الاسنان فى منابتها والمراد الثانى (٣) الأغيد . الناعم البدن ، المجدول . المطوى غير المسترخى ـ والمراد لازمه . وهوضامر البطن والخصرتين الوشاح شبهُ قلادة ينسج من جلدعريض يرصع بالجواهر تشدّه المرأة فى وسطها أو على المنكب الأيسر معقوداً تحت الأبط الأيمن للزينة . المنضد . المنظم . البرد . حب الغمام . الاقاح نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء . وأوراق زهره مفلجة صغيرة ، واحدته قُحوانة (بضم القاف)

أعـلامُ ياقوت نُشِر ن على رِماحٍ مِنْ زَبَرْجد(١)
كأن مِثارَ النقعِ فوقَ رُؤوسنا وأسيافَناليلٌ تهاوَى كوا كبُه(٢)
خودٌ كأنَّ بنَانَها فى خُضرة النَّقش المزرَّدْ(٣)
سَمك من البلّور فى شبك تكوّن من زَبَرْجَدْ
كأنَّ قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابساً(٤) لدى وكرها العُنَّابُ والحشفُ البالى
مَن يصنعِ الخيرَ مع من ليس يَعرفُهُ كواقد الشَّمعِ فى بيت لِعميان(٥)

المبحث الرابع

﴿ في تقسيم التشبيه باعتبار وَجه الشّبه ﴾

---

(١) فكل من الاعلام والياقوت والزبرجد، والرمح محسوس على انفراده. لكن المركب الذى مادته هذه الأمور ليس بمحسوس لانه غير موجود — والحس خاص بالموجودات ـ فالمشبه مفرد وهو الشقيق. والمشبه به مركب وهو الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤوس أجرام خضر مستطيلة

(٢) شبهت هيئة السيوف الحاصلة من علوها ونزولها بسرعة فى وسط الغبار بهيئة كواكب تتساقط فى ليل مظلم (٣) أى أن أصابعها المُعبّر عنها بالبنان قد نقش عليها بالوشم ماهو كالشبك الزبرجدى أى المحيط ببياض أصابعها التى هى كالبلور ـ فالمفردات كل واحد منها يدرك بالحس ـ والمركب غير موجود

(٤) يريد الشاعر وصف العقاب بكثرة اصطياده الطيور — فشبه الطرى من قلوب الطير بالعناب — واليابس منها بالحشف البالى

(٥) ففيه التشبيه الملفوف حيث جمع فى الشطر الأول صنيع الخير ومعرفته وهما متلازمان ـ ثم أتى فى الشطر الثانى بالمشبه بهما أعنى وقود الشمع والنظر إلى نوره

وَجهُ الشّبه هو الوصف الخاص(١) الذى يُقصَدُ اشتراكُ الطّرفين فيه كالكرم — فى نحو: خليل كحاتم

(١) إمّا حقيقة كالبأس فى قولك (زيد كالأسد) وإمّا تخيلا كما فى قوله

يامن له شعر كحظّى أسود جسمى نحيل من فراقك أصفر

فان وجه الشبه فيه بين الشعر والحظ هو السواد. وهما يشتركان فيه — لكنه يوجد فى المشبه تحقيقا. ولا يوجد فى المشبه به الا على سبيل التخييل، لأنه ليس من ذوات الألوان. ثم اعلم أن وجه الشبه — إما داخل فى حقيقة الطرفين وذلك كما فى تشبيه ثوب بآخر فى جنسهما أو نوعهما أو فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذلك فى كونهما كتانا أو قطنا — وإما خارج عن حقيقتهما وهو ما كان صفة لهما (حقيقة) وهى قد تكون حسية كالحمرة فى تشبيه الخد بالورد، وقد تكون عقلية كالشجاعة فى تشبيه الرجل بالأسد — أو (إضافية) وهى ما ليست هيئة متقررة فى الذات بل معنى متعلقا بها كالجلاء فى تشبيه البيّنة بالصبح. ثم ان وجه التشبيه قد يكون واحداً وقد يكون بمنزلة الواحد (لكونه مركبا من متعدد) وقد يكون متعدداً — وكل من ذلك قد يكون حسيا وقد يكون عقليا. أما الواحد — فالحسى منه كالحمرة فى تشبيه الخد بالورد، والعقلى كالنفع فى تشبيه العلم بالحياة — وأما المركب فالحسى منه قد يكون مفرد الطرفين، كما فى قوله

وقد لاح فى الصبح الثُّريا كما ترى كعنقود مُلاّحية حين نوّرا

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التئام الحبب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم. وكلا الطرفين مفرد، وهما الثريا والعنقود. وقد يكون مركب الطرفين كما فى قوله

والبدر فى كبد السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع صورة بيضاء مشرقة مستديرة فى رقعة زرقاء مبسوطة. وكلا الطرفين مركب أولهما من البدر والسماء — والثانى من

وينقسم التشبيه باعتبار (وجه الشبه) إلى

١ تمثيل — وهو ما كان وجه الشّبه فيه صورةً منتزعةً من متعدّد، كقوله

وما المرء إلا كالشّهاب وضوئه يُوافي تمام الشّهر ثم يَغيب

فوجه الشبه سُرعة الفناء — انتزعه الشّاعر من أحوال القمر المتعدّدة إذ يبدو هلالاً ، فيصير بدراً ، ثم ينقص حتى يُدركه المَحاق

(ويسمّى التشبيه تمثيلا)

٢ وغير تمثيل — وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورةً منتزعةً من متعدّد نحو وجهه كالبدر — وكقول الشاعر

لا تطلبنّ بآلة لك رتبة قَلَمُ البليغ بغير حظّ مِغْزَلُ

فوجه الشبه قلّة الفائدة وليس منتزعا من متعدّد

٣ ومفصلٌ — وهو ما ذكر فيه وجه الشبه نحو : طبعُ فريد كالنّسيم رِقّة — ويده كالبحر جوداً — وكلامه كالدُّر حسنا — وكقول ابن الرّومى

شبيهُ البدرِ حسنا وضياء ومنالا وشبيه الغصن لينًا وقَواما واعتدالاً

٤ ومجمل — وهو ما ليس كذلك — نحو : النّحو في الكلام كالملح في الطعام وكقوله

انّما الدنيا كبيتٍ نسجهُ مِن عنكبوتْ

الدرهم والديباجة . وقد يكون مختلف الطرفين كقوله

وحدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقّطا بالعنبر

فان وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انبساط رقعة حمراء قد نقطت بالسواد منثوراً عليها . والمشبه مفرد وهو الشقيق — والمشبه به مركب من الارجوان والعنبر . وكقوله

٥ وقريبٌ مبتذلٌ ـ وهو ماينتقل فيه الذِّهن من المشبه الى المشبه به من غير احتياج إلى شدّة نظر وتأمُّل لظهور وجهه باديءَ بدْء

وذلك كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة ، أو كتشبيه الوجه بالبدر فى الاشراق والاستدارة .

وقد يُتصرّف فى القريب بما يخرجه عن ابتذاله الى الغرابة: كقول الشاعر

لم تلقِ هذا الوجه شمسُ نهارنا   الاّ بوجه ليس فيه حياء

فان تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتذل ، ولكن حديث الحياء أخرجه الى الغرابة

وَقَدْ يخرج من الابتذال إلى الغرابة بالجمع بين عدّة تشبيهات كقول الشاعر

لا تعجبوا من خاله فى خده   كل الشقيق بنقطة سوداء

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطة سوداء مستديرة فى وسط رقعة حمراء مبسوطة . والمشبه مركب من الخال والخد ـ والمشبه به مفرد وهو الشقيق

والعقلى من المركب كما فى قوله

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر منه طمعا فى الانتفاع به ـ ووجه الشبه مركب من هذه المتعددات فى الجميع والرمضاء الأرض التى أسخنتها حرارة الشمس الشديدة،والمراد بعمرو هناهوجساس ابن مُرّة البكرى ، يقال انه لما رمى كُليب بن ربيعة التغلبى وقف على رأسه فقال له : يا عمرو أغثنى بشربة ماء ـ فأتمّ قتله

وأما المتعدد ـ فالحسى منه كما فى قوله

مهفهف وجنتاه   كالخمر لونا وطعما

والعقلى كالنفع والضرر فى قوله

كأنما يبسُم عن لؤلؤ منُضّد أو بَرَد أو أقاح

أو باستعمال شرط ـ كقوله

عزماته مثل النّجوم ثواقباً لو لم يكن للثّاقبات أفولُ

٦ وبعيد غريبٌ ـ وهو ما احتاج فى الانتقال من المشبه الى المشبه به الى فكر ودِقّة نَظَر لخفاء وجهه فى بادئ الرأى ـ كقوله

والشمّس كالمِرآة في كفّ الأشَل

(فان الوجه فيه هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق، والحركة السّريعة المتّصلة مع تموُّج الاشراق. حتى ترى الشعاع كأنه يهمّ بأن ينبسط حتى بفيض من جوانب الدائرة، ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض)

وحكم وجه الشبه ـ أن يكون فى المشبه به أقوى منه فى المشبه وإلاّ فلا فائدة فى التشبيه

طلق شديد البأس راحته كالبحر فيه النّفع والضّرر

فان وجه الشبه فيهما متعدد وهو اللون والطعم فى الأول ـ والنفع والضرر فى الثانى ـ وقد يجيئ المتعدد مختلفا كما فى قوله

هذا أبو الهيجاء فى الهيجاء كالسيف فى الرونق والمضاء

فان وجه الشبه فيه هو الرونق وهو حسى ـ والمضاء وهو عقلى . وأبو الهيجاء لقب عبد الله بن حمدان العدوى والهيجاء من أسماء الحرب

واعلم أن الحسى لايكون طرفاه إلا حسيين ـ وأما العقلى فلا يلزمه كونهما عقليين ـ لان الحسى يدرك بالعقل، خلافا للعقلى فانه لا يدرك بالحس

المبحث الخامس

« فى أدوات التشبيه »

أدوات التشبيه — هى ألفاظ تدلّ على معنى المُشابهة، كالكاف، وكأنّ ومثل، وشبه، وغيرها، ممّا يؤدّى معنى التشبيه « كالمُضاهاة والمحاكاة والمُشابهة، والمُماثلة، ونحو، وكذا ما يُشتقّ من لفظى « ماثل وشابه » أو ما يُرادفهما فى المعنى

وهى قد تحذف نحو : اندفع الجيش اندفاع السَّيل، أى كاندفاعه

والأصل فى ـ الكاف، ومِثل، وشِبه ـ أن يليها المشبه به (١)

والأصل فى كأنّ، وشابه، وماثل ـ وما رادفها أن يليها المشبه كقوله

كأنّ الثُّريّا راحةٌ تشبرُ الدُّجى لتنظرَ طال الليل أم قد تعرَّضا

وكأنّ، تفيد التشبيه اذا كان خبرها جامداً نحو ـ علىّ كالأسد

وتفيد الشّك اذا كان خبرها مشتقاً نحو ـ كأنك فاهم ـ وكقوله

كأنّكَ مِن كلّ النفوس مركّبٌ فأنت إلى كل النفوس حَبيبُ

وقد يُغنى عن أداة التشبيه « فعلٌ » يدلُّ عليه، ولا يعتبرُ أداة

فان كان الفعل لليقين ـ أفاد قُربَ المشابَهة ـ نحو : (فلما رَأَوْه عارضاً مُستقبِل أوْدِيَتِهِمْ قالوا هذَا عارِضٌ مُمْطِرُنَا) ونحو رأيت الدنيا سراباً غرّاراً

---

(١) وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركبا كقوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح) فان المراد تشبيه حال الدنيا فى حسن نضارتها وبهجة روائها فى المبدإ

وان كان الفعل للشك أفاد بُعدَها ـ نحو : (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً) ونحو : حسبت الفيل جبلا ـ وكقوله

قَوْمٌ إذَا لبسوا الدُرُوعَ حسبتها سُحباً مزرَّدةً على أقمار

(وينقسم التشبيه) باعتبار أداته الى

(ا) التشبيه المؤكد — وهو ما حذفت أداته كقول الشاعر

أنت نجم فى رفعة وضياء تجتليكَ العيونُ شرقاً وغرباً

(ب) التشبيه المرسل ـ [1] وهو ما ذكرت فيه الاداة كقول الشاعر

إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت

ومنَ المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه كقول الشاعر

وَالريح تَعْبَثُ بالغصون وقد جرَى ذَهبُ الأصيلِ [2] على لُجينِ الماء

أى أصيلٌ كالذَّهب على ماء كاللُّجين .

(ج) التشبيه البليغ ـ وهو ماحذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشّبه [3] كما فى قوله

فاقضوا مآربكم عِجالاً إنما أعماركم سفرٌ منَ الأسفار

وذهاب حسنها وتلاشى رونقها شيئا فشيئا فى الغاية بحال النبات الذى يحسن من الماء فتزهوخضرته ثم ييبس شيئا فشيئا ثم يتحطم فتطيره الرياح . فيصير كأن لم يكن شيئا مذكوراً

(١) وسمى مرسلا لأرساله عن التأكيد

(٢) الأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب ـ واللُّجين الفضة

(٣) ومن التشبيه البليغ المصدر المضاف المبين للنوع نحو ، راغ روغان الثعلب ومنه أيضا اضافة المشبه به للمشبه نحو لبس فلان ثوب العافية ـ كما ذكرناه

المبحث السادس

﴿ فى فوائد التشبيه ﴾

فوائد التشبيه تعود « فى أكثر المواضع » الى المشبه ـ وهى إمّا

١ بيان حاله ـ وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف ـ كقول الشاعر

إذا قامت لحاجتها تثنّتْ   كأنّ عظامها من خيزران

(شبه عظامها بالخيزران بياناً لما فيها من اللّين)

٢ أو بيان إمكان حاله ـ وذلك حين يُسند اليه أمرٌ مُستغرب لا تزول غرابته الاّ بذكر شبيه له ـ كقوله

ويلاهُ إن نظرتْ وان هى أعرضتْ   وقعُ السّهام ونَزعهنّ أليمُ

(شبه نظرها بوقع السهام ، وإعراضها بنزعها : بياناً لإمكان إيلامها بهما جميعا)

٣ أو بيان مقدار حاله قوة وضعفا ـ وذلك اذا كان المشبّه معروف الصفّة قبل التّشبيه معرفة اجمالية ،وكان التشبيه يُبيّن مقدار هذه الصفة ـ كقوله

كأنّ مِشيتها من بيت جارتها   مرُّ السّحاب لا ريْثٌ ولا عَجَلُ

وكتشبيه الماء بالثلج فى شدة البرودة — وكقوله

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً   سُوداً كخافية الغُراب الأسحَم

(شبّه النّياق السّود بخافية الغراب بياناً لمقدار سوادها

٤ أوتقرير حاله فى نفس السامع بابرازها فيما هى فيه أظهر ، كما اذا كان

ما أُسند الى المشبه يحتاج الى التثبيت والايضاح بالمثال ـ كقوله

إن القلوبَ إذَا تنافر وُدُّها مثل الزجاجة كسرها لا يُجبرُ

(شبّه تنافر القلوب بكسر الزجاجة تثبيتاً لتعذُّر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأُنس والمودّة)

٥ أو بيان إمكان وجوده (وانه ممكن الحصول) كقوله

فان تَفُقِ الأَنام وأنت منهم فانّ المسك بعض دم الغزال [١]

٦ أو مدحه وتحسينه — كقول الشاعر

كأَنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ اذا طلعتْ لم يَبدُ منهنّ كوكبُ

٧ أو تَشويهه وتقبيحه — كقول الآخر

وإذا أشارَ مُحدِّثاً فكأنّه قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطم

٨ أواستطرافه «أى عدّه طَريفاًحديثاً» إمّا لإبرازه في صورة الممتنع عادة كما فى تشبيه فحم فيه جمر متّقد، ببحر من المسك موجه بالذهب.

وإمّا لندور حضور المشبه به فى النفس عند حضور المُشبه، كقوله

أنظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر [٢]

(١) أى انه لا استغراب فى فوقانك للانام مع أنك واحد منهم ـ لان لك نظيراً وهو المسك فانه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء ـ ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيها ضمنيا ـ والتشبيه الضمنى هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به فى صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان فى التركيب لافادة أن الحكم الذى أسند الى المشبه ممكن ـ نحو المؤمن مرآة المؤمن

(٢) الحمولة ما يحمل فيه ويوضع ـ والمقصد من التشبيه وجود شئ أسود داخل أبيض

« تشبيه على غير طرقه الاصلية »

(١) قد يورد التّشبيه ضِمناً من غير أن يُصرَّح به ويُجعل فى صورة برهان على الحكم الذى أسند إلى المشبّه ـ كقول المتنبى

مَن يَهُنْ يسهل الهوان عليه ... ما لجُرح بميّت إيلامُ

(أى إن الذى اعتاد الهوان يسهل عليه تحمله ولا يتألّم له . وليس هذا الادعاء باطلا . لان الميت اذا جُرح لا يتألم)

وفى ذلك تلميح بالتشبيه فى غير صراحة وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة

(٢) قد يُعكس التشبيه ، فيُجعل المشبه مشبها به وبالعكس[1] فتعود فائدته الى المشبه به لادّعاء أن المشبه أتمّ وأظهر من المشبه به فى وجه الشبه ويسمى ذلك بالتشبيه المقلوب[2] أوالمعكوس ـ نحو: كأن ضوء النّهار

---

(١) التشبيه المقلوب ويسمى المنعكس هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص و يلحق الأصل بالفرع للمبالغة ، وهذا النوع جار على خلاف العادة فى التشبيه ، ووارد على سبيل الندور .

وانما يحسن فى عكس المعنى المتعارف كقول البحترى

فى طلعة البدر شئٌ من محاسنها ... وللقضيب نصيب من تثنّيها

والمتعارف تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور . والقامات بالقضب فى الاستقامة والتثنى لكنه عكس ذلك مبالغة ـ هذا إذا أريد الحاق كامل بناقص فى وجه الشبه . فان تساويا حسن العدول عن التشبيه إلى المشابهة تباعدا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر

(٢) يقرب من هذا النوع ماذكره الحلبى فى كتاب حسن التوسل وسماه « تشبيه التفضيل » وهو أن يشبه شئ بشئ لفظا أو تقديرا . ثم يعدل عن التشبيه لادعاء

جبينه ـ ونحو : كأنّ نشر الرّوض حُسنُ سيرته ـ ونحو : كأنّ الماء فى الصفاء طباعه ـ وكقول محمد بن وُهَيب الحِميَرى

وبَدا الصَّباحُ كأنَّ غُرَّته   وَجهُ الخليفة حين يُمتَدحُ

(شبه غرَّة الصَّباح بوجـه الخليفة إيهاما أنه أتمّ منها فى وجه الشبه وهـذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان والابداع)[٣] وكقوله تعالى حكاية عن الكفار (إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) فى مقام أن الرّبا مثل البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الرِّبا عنـدهم أحلُّ من البيع ، لان الغرض الرِّبح وهو أثبَتُ وجوداً فى الرِّبا منه فى البيع ، فيكون أحق بالْحِلِّ عندهم .

المبحث السابع

﴿ فى تقسيم التشبيه باعتبار الغرض الى مقبول والى مردود ﴾

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض الى حسن مقبول ، والى قبيح مردود

١ فالحسن المقبول ـ هو ما وفى بالأغراض السابقة ، بأن يكون المشبه به أعرفَ من المشبه فى وجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه أو بيان المقدار . أو أن يكون أتم شئ فى وجه الشبه إذا قصد الحاق الناقص بالكامل . أو أن يكون فى بيان الامكان مسلّم الحكم ومعروفاً عند المخاطب إذا كان الغرض بيان امكان الوجود ، وهـذا هو الأكثر فى التشبيهات إذ هى جارية على الرّشاقة سارية على الدّقة والمبالغة

أن المشبه أفضل من المشبه به ـ كقوله

حسبت جمالها بدراً منيراً   وأين البدر من ذاك الجمال

٢ والقبيح المردود ـ هو مالم يفِ بالغرض المطلوب منه لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به : أو مع وجوده لكنه بعيد .

تنبيهات

(الأول) بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض فى المبالغة ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة

« ا » أعلاها وأبلغها ما حذف فيها الوجه والاداة نحو على أسد ـ وذلك انك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الاداة ـ والتشابه فى كل شئ بحذف الوجه ولذا سمى هذا تشبيها بليغا (١)

« ب » المتوسطة ما تحذف فيها الاداة وحدها ، كما تقول (على أسد شجاعة) أو بحذف وجه الشبه ـ فتقول على كالاسد . وبيان ذلك انك بذكرك الوجه حصرت التشابه فلم تدع للخيال مجالا فى الظن بأن التشابه فى كثير من الصفات — كما أنك بذكر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به ولم تترك بابا للمبالغة

« ج » أقلها ماذكر فيها الوجه والأداة وحينئذ فقدت المزيتين السابقتين

(الثانى) قد يكون الغرض من التشبيه حسنا جميلا ، وذلك هو النمط الذى تسمو اليه نفوس البلغاء وقد أتوا فيه بكل حسن بديع كقول ابن نباتة فى وصف فرس أغرّ محجّل

وكأنما لطم الصباح جبينه فاقتصّ منه نخاض فى أحشائه

---

(١) البليغ من أنواع التشبيه هو البعيد الغريب . فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور يحتاج فى ادراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أفعل فى النفس وأدعى إلى تأثرها واهتزازها . وتتفاوت قوة المبالغة الحاصلة من التشبيه باختلاف الصور التى يوضع فيها . فأضعف تلك الصور فى المبالغة ما ذكرت فيه أركان التشبيه جميعها . وأقواها فيها ما حذف فيه وجه الشبه وأداته مع ذكر المشبه نحو ـ على كالأسد . ويتوسط بين هذين الطرفين ما حذفت فيه الأداة وحدها . أو وجه الشبه وحده

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم البيان لغة واصطلاحاً . ؟ ما هو التشبيه ؟ . ـ ما أركان

وقد لا يوفق المتكلم إلى وجه الشبه ، أو يصل اليه مع بعد ـ وما أخلق مثل هذا بالاستكراه وأحقه بالذم لمافيه من القبح والشناعة ـ بحيث ينفرمنه الطبع السليم

(الثالث) عُلمَ مما سبق أن

١ ـ التشبيه المرسل ـ ما ذكرت فيه الأداة

٢ ـ التشبيه المؤكد ـ ما حذفت منه الاداة

٣ ـ التشبيه المجمل ـ ما حذف منه وجه الشبه

٤ ـ التشبيه المفصل ـ ما ذكر فيه وجه الشبه

٥ ـ التشبيه البليغ ـ ما حذفت منه الأداة . ووجه الشبه

٦ ـ التشبيه الضمني ـ تشبيه لا يُوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التّشبيه المعروفة ، بل يلمحان في التركيب

وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذى اسند الى المشبه ممكن (١)

---

(١) كقوله لا تُنكرى عَطل الكريم من الغنى . فالسيل حرب للمكان العالى

أى لا تنكرى خلو الرجل الكريم من الغنى . فان ذلك ليس عجبا لان قمم الجبال وهى أعلى الاماكن لا يستقر فيها ماء السيل « فهاهنا يلمح الذكى تشبيها » ولكنه لم يضع ذلك صريحا بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى فى صورة برهان فيكون هذا التشبيه على غير طرقه الأصلية بحيث يورد التشبيه ضمنا من غير أن يصرح به ويجعل فى صورة برهان على الحكم الذى أسند إلى المشبه ، كما سبق شرحه

وقد يراد إيهام أن المشبه والمشبه به متساويان فى وجه الشبه فيترك التشبيه ادعاء بالتّساوى دون الترجيح

التشبيه ؟ . طرفا التشبيه حِسِّيان أم عقليان ؟ . ما المراد بالحسّى ؟ . ما هو التشبيه الخيالى ؟ . ما المراد بالعقلى ؟ـ ما هو التشبيه الوهمى ؟ . ـ ماهو وجه الشبه ؟ . ـ ما هى أدوات التشبيه ؟ . ـ الاصل فى أدوات التشبيه أن يليها المشبه أو المشبه به ؟ . ـ متى تفيد كأن التشبيه ؟ . ماهو التشبيه البليغ ؟ . ماهو التشبيه الضمنى ؟ . ما هو التشبيه المرسل . كم قسما التشبيه باعتبار طرفيه ؟ كم قسما التشبيه باعتبار تعدد طرفيه ؟ ماهو التشبيه الملفوف ؟ ماهو التشبيه المفروق ؟ ماهو تشبيه التسوية ؟ . ما هو تشبيه الجمع ؟ . كم قسما التشبيه باعتبار وجه الشبه ؟ . ماهو تشبيه التمثيل ؟ . ماهو غير التمثيل ؟ ماهو التشبيه المفصل ؟. ماهو التشبيه المجمل ؟. كم قسما التشبيه باعتبار الغرض منه.

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشتريت ثوبا أحمر كالورد ـ فى هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل ـ المشبه ثوبا . والمشبه به الورد . وهما حسيان مفردان . والاداة الكاف . ووجه الشبه الحمرة فى كل ـ والغرض منه بيان حال المشبه

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا   أتى الربيع أتاك النّور والنُّور
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة   والنبت فيروزج والماء بلور

« الارض ياقوتة » تشبيه بليغ مجمل المشبه الارض . والمشبه به ياقوتة ـ وهما حسيان مفردان ووجه الشبه محذوف وهو الخضرة فى كل . والاداة محذوفة والغرض منه تحسينه « والجو لؤلؤة ، والنبت فيروزج » والماء بلور » كذلك وفى البيت كله تشبيه مفروق ـ لأنه أتى بمشبه ومشبه به وآخر وآخر

العمر والانسان والدنيا همو   كالظل فى الاقبال والادبار

فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل.المشبه العمر والانسان والدنيا، والمشبه به الظل

والمشبه بعضه حسى و بعضه عقلى . والمشبه به حسى . والكاف الاداة . ووجه الشبه الاقبال والادبار . والغرض تقرير حاله فى نفس السامع

كم نعمة مرت بنا وكأنها فرس يهرول أو نسيم بسارى

فيه تشبيه جمع مرسل مجمل . المشبه نعمة . والمشبه به فرس يهرول . أو نسيم سارى ، وهما حسيان . وكأن الاداة . ووجه الشبه السرعة فى كل . والغرض منه بيان مقدار حاله

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف . المشبه شعر وهو حسى . والمشبه به ليل وهو عقلى والاداة محذوفة ، ووجه الشبه السواد فى كل — والغرض منه بيان مقدار حاله .

وفى الثانى — المشبه وجه . والمشبه به بدر . وهما حسيان . ووجه الشبه الحسن فى كل والاداة محذوفة — والغرض تحسينه . وفى الثالث المشبه قدّ . والمشبه به غصن . وهما حسيان . ووجه الشبه الاعتدال فى كل،والاداة محذوفة ، والغرض بيان مقداره، هذا

وان شئت فقل هـذا تشبيه مقلوب بجعل المشبه به مشبها ، والمشبه مشبها به لغرض المبالغة بأن تجعل الليل مشبها والشعر مشبها به

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاّحية حين نورا

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل،المشبه هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة مستديرة منيرة — والمشبه به هيئة عنقود العنب المنور ، والجامع الهيئة الحاصلة من اجتماع أجرام منيرة مستديرة فى كل — والاداة الكاف ، والغرض منه بيان حاله

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتى

أَلورد فى أَعلاَ الغصون كأَنه مَلكٌ تَحُفُّ به سَرَاة جنوده

إِذا ارتجل الخطاب بَدا خليجٌ بفيه يمدّه بحرُ الكلام

كلام بل مدام بل نظام ... من الياقوت بل حَبُّ الغمام
ياصاحبيَّ تيقظاً من رقدة ... تُزرى على عقل اللبيب الاكيس
هذى المجرَّة والنُّجوم كأَنها ... نهر تدفّق فى حديقة نرجس
وكأنَّ الصُّبح لما ... لاح من تحت الثُّريَّا
ملك أقبل فى التَّا ... ج يفدى ويحيّا
إنما النفس كالزُّجاجة والعلـ ... ـم سراج وحكمة الله زيت
فاذا أشرقت فانك حيٌّ ... وإذا أظلمت فانك ميت
وغير تقيٍّ يأمر النَّاس بالتُّقى ... طبيبٌ يداوى النَّاس وهو مريض
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشّفت ... له عن عَدُوٍّ فى ثياب صديق
جمرة الخدّ أحرقت عنبر الخا ... لِ فمِن ذلك العذارُ دخانُ
كالبدر من حيث التفتّ رأيته ... يهدى الى عينيك نورا كافيا
وأشرقَ عن بِشرٍ هو النّور فى الضحا ... وصافى بأخلاق هيَ الطّلّ في الصّبح

بلاغة التشبيه

وبعض ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحْدَثينَ

تَنْشأُ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يُشبهه، أو صورةٍ بارعة تمثّله، وكلّما كان هذا الانتقال بعيداً قليل الخطور بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروعَ للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها

فإذا قلتَ فلانٌ يشبه فلاناً في الطول، أو أنَّ الأرض تُشبه الكُرة

فى الشكل لم يكن فى هذه التشبيهات أثر للبلاغة ، لظهور المشابهه وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجُهْد أدبىّ ، ولخلوها من الخيال

وهذا الضرب من التشبيه يقصدبه البيان والإيضاح وتقريب الشئ الى الأفهام ، وأكثرُ مايُستعمل فى العلوم والفنون

ولكنك تأخذك رَوْعة التشبيه حينما تسمع قول المعرى يَصفُ نجماً

يُسْرِعُ اللمحَ فى احْمِرَارٍ كما تُسْرِعُ فى اللَّمح مُقْلَةَ الْغَضْبَانِ (١)

فإنّ تشبيه لمحات النجم وتألُّقِه مع احمرار ضوئه بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة التى لاتنقاد إلاّ لأديب ، ومن ذلك قول الشاعر

وكأن النُّجُومَ بينَ دُجاها سُنَنٌ لاحَ بينهنّ ابتِدَاعُ

فإنّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه فى عقد المشابهة بين حالتين ـ ما كان يخطر بالبال تشابههما ، وهما حالة النجوم فى رُقعة الليل ؛ بحال السنن الدّينية الصحيحة متفرقة بين البدع الباطلة

ولهذا التشبيه رَوْعة أخرى جاءت من أنّ الشاعر تخيّل أن السنن مضيئة لمّاعة ، وأنّ البدع مظلمة قاتمة

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي

بُليتُ بِلَى الاطْلاَلِ إنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وُقُوف شَحِيحٍ ضَاع فى التُّرب خاتَمُه

يدعو على نفسه بالبِلى والفناء ، اذا هو لم يقف بالأطلال ، ليذكر عهد من كانوا بها ، ثم أراد أن يصوّر لك هيئة وقوفه فقال كما يقف شحيح فقد خاتمه فى التراب ، من كان يُوَفَّق إلى تصوير حال الذاهل المتحيّر المحزون ، المطرق برأسه ، المنتقل من مكان إلى مكان فى اضطراب ودهشة بحال شحيح فقد فى

التراب خاتماً ثميناً

هذه بلاغة التشبيه من حيث مبلغُ طرافته وبُعد مرماه ومقدار ما فيه من خيال ، أما بلاغته من حيث الصورةُ الكلامية التى يوضع فيها فتفاوتة ايضاً — فأقلّ التشبيهاب مرتبة فى البلاغة ماذكرت أركانه جميعها لأن بلاغة التشبيه مبنيّة على ادعاء أن المشبّه عينُ المشبه به ، ووجود الأداة ووجه الشبه معاً يحولان دون هذا الادعاء . فإذا حذِفت الأداة وحدَها ، أو وجْه الشبه وحدَه ارتفعت درجة التّشبيه فى البلاغة قليلاً لأن حذف أحد هذين يقوّى ادعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية أمّا أبلغ أنواع التشبيه « فالتشبيه البليغ » لأنه مبنىٌّ على ادعاء أن المشبه والمشبه به شئ واحد

هذا ـ وقد جرَى العرب والمُحدَثون على تشبيه الجواد بالبحر والمطر والشجاع بالأسد ، والوجه الحسَن بالشمس والقمر ، والشّهْم الماضى فى الأمور بالسيف ، والعالى المنزلة بالنجم ، والحليم الرزين بالجبل ، والأمانِىّ الكاذبة بالأحلام ، والوجه الصّبيح بالدينار ، والشّعر الفاحم بالليل والماء الصافى باللُجَيْنِ ، والليل بموج البحر ، والجيش بالبحر الزاخر ، والْخيْلِ بالرِّيح والبرْق ، والنُجُوم بالدُّرر والأزهار ، والأسنان بالبَرَد واللؤلؤ والسُّفُنِ بالجبال ، والجداول بالحيّات الملتوية ، والشّيْبِ بالنهار ، ولَمعِ السيوف وغرّة الفرس بالهلال ، ويشبّهون الجبانَ بالنّعامة والذُبابة ، واللّئيمَ بالثّعلب والطائشَ بالفَرَاش ، والذليل بالوَتِدِ ، والقاسِىَ بالحديد والصخر ، والبليدَ بالحِمار ، والبَخيلَ بالارض الْمُجْدِبَةِ

وقد اشتهر رجال من العرب بِخِلَالٍ مَحْمُودة، فصاروا فيها أعلاماً تجرى التّشبيه بهم ؛ فيشبّه الوفىّ بالسموءل[1] ، والكريمُ بحاتم ، والعادلُ بعُمَر[2] والحليمُ بالأحْنَف[3] ، والفَصيحُ بسَحْبَان ، والخطيبُ بقسٍّ[4] والشجاع بعَمْرو بن مَعْدِيكَرِب ، والحكيمُ بِلُقْمَان[5] ، والذكىُّ بإياس، واشتهر آخرونُ بصفات ذميمة ، تجرى التشبيه بهم أيضاً ؛ فيشبهُ الْعِيُّ بباقِل[6] والأحمق بِهَبَنَّقَةَ[7] والنادمُ بالكُسَعِيّ[8] والبخيل بمادر[9] ، والهجاء بالحُطَيْئَةِ[10]

---

(١) هو السموءل بن حيان اليهودى يضرب به المثل فى الوفاء ، وهو من شعراء الجاهلية ، توفى سنة ٦٢ ق ه (٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الاسلام الأولين ، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده ، وقد نصر الله به الاسلام وأعزه

(٣) هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين ، كان شهماً حليما عزيزاً فى قومه إذا غَضب غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب ، توفى سنة ٦٧ ه

(٤) هو قس بن ساعدة الأيادى خطيب العرب قاطبة ، ويضرب به المثل فى البلاغة والحكمة (٥) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة أى الاصابة فى القول والعمل

(٦) رجل اشتهر بالعِيّ : اشترى غزالا مرة بأحد عشر درهما فسئل عن ثمنه فمدّ أصابع كفيه يريد عشرة وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ففر الغزال ، فضرب به المثل فى العىّ (٧) هو لقب أبى الودعات يزيد بن ثروان القيسى ، يضرب به المثل فى الحمق (٨) هو غامد بن الحرث ، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حُمر بخمسة أسهم ، وكان يظن كل مرة أنه مخطئ ففضب وكسر قوسه ، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم فندم على كسر قوسه ، وعضّ على إبهامه فقطعها

(٩) لقب رجل من بنى هلال اسمه مخارق ، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم

(١٠) شاعر مُخضرَم كان هجّاء مُرًّا ، ولم يكد يسلم من لسانه أحد ، هجا أمه وأباه ونفسه وله ديوان شعر ؛ وتوفى سنة ٣٠ ه

والقاسى بالحجاج [١]

الباب الثانى في المجاز [٢]

المجاز مشتق من جاز الشئ يجوزه اذا تعدّاه ـ سمّوا به اللّفظ الذى يُعدَل به عمّا يوجبه أصلُ الوضع ـ لأنهم جازوا به موضعه الأصلى

والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التى تهدى اليها الطبيعة لايضاح المعنى ، إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسيّة تكاد تعرضه على عيان السامع ـ لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها الى الاتساع فى الكلام، والى الدلالة على كثرة معانى الالفاظ . ولما فيها من الدقة فى التعبير فيحصل للنفس به سرور وأريحيّة ، ولأمرٍ مّا كثر فى كلامهم حتى أتوا فيه بكل معنى رائق ، وزينوا به خطبهم وأشعارهم ـ وفى هذا الباب مباحث

المبحث الاول فى المجاز وأنواعه

المجاز هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم ارادة المعنى الاصلى

---

(١) هو الحجاج بن يوسف الثقفى ، كان عاملا على العراق وخراسان لعبد الملك ابن مروان ثم للوليد من بعده ، وهو أحد جبابرة العرب ، وله فى القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها ، توفى بمدينة واسط سنة ٩٧ هـ ـ عن البلاغة الواضحة

(٢) أقول إن المخلوقات كلها تفتقر الى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس . وهذا يقع ضرورة لابد منها . فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقة له ـ فاذا نقل الى غيره صار مجازا .

والعلاقة (١) بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازى قد تكون المشابهة وقد تكون غيرها . فاذا كانت المشابهة فهواستعارة ،والاّ فهو مجازمرسل.

والقرينة قد تكون لفظية . وقد تكون حالية — كما سيأتي

وينقسم إلى اربعة أقسام— مجاز مفرد مُرسل ،ومجازمفرد بالاستعارة. ومجاز مركب مُوسل ـ ومجاز مركّب بالاستعارة

المبحث الثانى

﴿ في المجاز المفرد المُرْسل ﴾

المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصداً فى غير معناها الأصلى لملاحظة علاقة (٢) غير المشابهة مع قرينة (٣) دالة على عدم ارادة المعنى

وانواع المجاز كثيرة أهمها المجاز العقلى وقد تقدم الكلام عليه فى صحيفة ٤١ والمجاز المرسل وهو المقصود بالذّات فى هذا الباب

(١) العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول اليه سميت بذلك لان بها يتعلق و يرتبط المعنى الثانى بالأول فينتقل الذهن من الأول للثانى ـ و باشتراط ملاحظة العلاقة يخرج الغلط كقولك خذ هذا الكتاب مشيراً إلى فرس مثلا ـ إذ لا علاقة هنا ملحوظة (٢) القرينة هى الامر الذى يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير ماوضع له ـ و بتقييد القرينة بمانعة الخ خرجت الكناية فان قرينتها لا تمنع من ارادة المعنى الأصلى ـ والقرينة إما لفظية أو حالية . فاللفظيةهى التى يلفظ بها فى التركيب ـ والحالية هى التى تفهم من حال المتكلم أو من الواقع

وأما القرينة التى تعين المراد من المجاز فليست شرطا

(٣) سمى مرسلا لاطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة ، بل له علاقات كثيرة ، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التى تذكر فى الجملة ـ وليس المقصد

الأصلى . وله علاقات كثيرة أهمها .

١ السَّببية — هى كون الشئ المنقول عنه سبباً ومُؤثراً فى غيره نحو رَعَت الماشية الغيث : أى النَّبات ،لأن الغيث أى المطر سببٌ فيه [1] وقرينته لفظيّة وهى رعت » لأن العلاقة تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه

٢ والمسببية — هى أن يكون المنقول عنه مُسبَّباً وأثراً لشئ آخر نحو (ويُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) أى مطراً يُسبِّبُ الرِّزق .

٣ والكُلية — هى كون الشيء مُتضمِّناً للمقصود ولغيره نحو (ويجعلون أصابعهم فى آذانهم) أى أناملهم، والقرينة حالية ، وهى استحالة ادخال الأصبع فى الأذن

ونحو : شربت ماء النيل ـ والمراد بعضه ، بقرينة شربت

٤ والجزئية — هى كون المذكور ضمن شئ آخر ـ نحو : نشر الحاكم عيونه فى المدينة ، أى الجواسيس ، فالعيون مجازٌ مرسل، علاقته الجزئية لان كل عين جزء من جاسوسها — والقرينة الاستحالة

وكقوله تعالى (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)

٥ واللّازميَّة — هى كون الشئ يجب وجوده عند وجود شئ آخر نحو : طلع الضَّوء ، أى الشمس. فالضوء مجاز مرسل . علاقته اللّازمية لأنه يوجد عند وجود الشمس ـ والمعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك

من العلاقة إلا بيان الارتباط والمناسبة ، فالفطن يرى ما يناسب كل مقام . وقيل سمّى مرسلا لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة فى الاستعارة

(١) كقول الشاعر : له أيادٍ علىّ سابغة أعدّ منها ولا أعَدِّدها

٦ والملزومية — هي كون الشئ يجب عند وجوده وجود شئ آخر نحو ـ ملأت الشمس المكان . أى الضوء ، فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية ، لانها متى وُجدت وُجد الضوء، والقرينة « ملأت »

٧ والآلية ـ هى كون الشئ واسطة لايصال أثر شئ الى آخر ـ نحو (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ) أى ذكراً حسناً ـ فلسان بمعنى ذكر حسن . مجاز مرسل ، علاقته الآلية لأن اللّسان آلة فى الذكر الحسن

٨ والاطلاق ـ هو كون الشئ مُجرداً من القيود ـ نحو قوله تعالى (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) أى عتقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ . فالرقبة مجاز مرسل ، علاقته الاطلاق . فان المراد منها المؤمنة . وإطلاق الرّقبة على جميع الجسم مجاز مرسل . علاقته الجزئية

٩ والتّقييد ـ هو كون الشئ مُقَيّداً بقيد أو أكثر . نحو : ما أغلظ جحفلة زَيد . أى شفته . فجحفلة زَيد مجاز مرسل ، علاقته التّقييد ، لأنها مقيدة بشفة الفرس

١٠ والعموم — هو كون الشيء شاملا لكثير ـ نحو قوله تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاس) . أى « النبي » صلى الله عليه وسلم . فالناس مجاز مرسل علاقته العموم ـ ومثله قوله تعالى (الّذين قال لَهُمُ النَّاس) فان المراد من الناس واحد . وهو « نعيم بن مسعود الاشجعى »

١١ والخصوص ـ هو كون اللفظ خاصاً بشئ واحد كاطلاق اسم الشخص

قامت تظلّلنى من الشمس نفس أحبّ إلىّ من نفسى
قامت تظلّلنى ومن عجب شمس تظلّلنى من الشمس

على القبيلة ـ نحو ربيعة ـ وقريش

١٢ واعتبار ما كان ـ هو النظر الى الماضى . نحو (وَآتُوا الْيَتَامى أَمْوَالَهُمْ) أى الّذين كانوا يتامى . ثم بلغوا . فاليتامى مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان ومثل هذا قول من شرب القهوة (خُذ الملثآن)

١٣ واعتبار ما يَكون — هو النظر الى المستقبل . نحو طحنت خبزاً أى حبّاً يَؤول أمره إلى أن يكون خبزاً ـ نخبزاً مجاز مرسل علاقته اعتبار مايؤول اليه ـ ومثله (إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا) أى عصيراً يؤول أمره الى خمر لأنه حال عصره لا يكون خمراً ، فالعلاقة هنا اعتبار مايؤول اليه

ونحو : « ولا يلدُوا إلاّ فاجراً كفّاراً » والمولود حين يولد لا يكون فاجراً ولا كفاراً ، ولـكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة ، فأطلق المولود الفاجر وأُرِيد به الرجل الفاجر ، والعلاقة اعتبار مايكون

١٤ والحاليّة ـ هى كون الشىء حالاً فى غيره . نحو (فَفِى رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون) المُراد من الرّحمة الجنــة التى تحل فيها الرّحمة . فرحمة مجاز مرسل ، علاقته الحالية ، ومثله فلان جالس فى سرور

١٥ والمحلّية — هى كون الشئ يحُلُّ فيه غيره ـ كقوله تعالى (فَلْيَدْعُ

فائدة ـ القصد من العلاقة انما هو تحقق الارتباط ـ والذكى يعرف مقال كل مقام ثم ان العلاقة : قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه الذى هو الحقيقى ـ وقيل تعتبر من جهة المعنى المنقول اليه لانه المراد ـ وقيل تعتبر من جهتهما رعاية لحقيهما

واعلم أن اللفظ الواحد قد يكون صالحا بالنسبة إلى معنى واحد لأن يكون مجازا مرسلا ، واستعارة باعتبارين

نَادِيَهُ) أي أهل ناديه ـ وكقوله تعالى (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ) والقول بالألسنة

١٦ والبَدلية — هى كون الشئ بدلاً عن شىء آخر — كقوله تعالى (فإذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ) والمراد الأداء

١٧ والمُبدلية — هى كون الشىء مُبدلاً منه شىء آخر ، نحو أكلت دَم زيد ، أى دِيَتَهُ . فالدّم مجاز مرسل . علاقتـه المبدليـة ، لأن الدّمَ مُبدل عنه الدِّيَةَ

١٨ والمُجاوَرة — هى كون الشّىء مُجاوراً لشىء آخر ، نحو كلّمت الجدار والعامود ، أى الجالس بجوارهما ، فالجدار والعامود مجازان مرسلان علاقتهما المجاورة .

١٩ والتعلّق الاشتقاق — هو إقامة صيغة مقام أخرى ـ وذلك

(١) كإطلاق المصدر على المفعول فى قوله تعالى (صُنْعَ اللهِ الذِى أَتْقَنَ كلّ شَىء) ـ أى مصنوعه

(ب) وكإطلاق الفاعـل على المصدر فى قوله تعالى (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةَ) أى تـكذيب

(ﺟ) وكإطلاق الفاعل على المفعول فى قوله تعالى (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ) ـ أى لا معصوم

(د) وكإطلاق المفعول على الفاعل فى قوله تعالى (حِجَاباً مَسْتُوراً) أى ساتراً

والقرينة على مجازية ماتقدّم هى ذكر مايمنع ارادة المعنى الأصلى

نَمُوذَجٌ

(١) أبَا المِسْكِ أرْجُو مِنْكَ نَصْراً عَلى العِدَا   وَآمُلُ عِزّاً يَخْضِبُ البِيضَ بِالدَّمِ [١]

وَيَوْماً يَغِيظُ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً   أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مُقَامَ التَّنَعُّمِ [٢]

(٢) قال الله تعالى: لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ .

(٣) ذهبنا إلى حديقة غَنّاء

(٤) بَنى اسماعيلُ كثيراً من المدارس بمصر

(٥) تَـكادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا   إذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقْيَةِ طَالِبِ [٣]

الاجابة

(١) عِزّاً يخضب البيض بالدم

إسناد خَضْب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقى ،لان العز لا يخضب السيوف ، ولـكنهُ سبب القوة ، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم ، ففى العبارة مجاز عقلىّ علاقته السببية

« ب » ويوماً يغيظُ الحاسدين

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غـير حقيقى ، غير أن اليوم هو الزمان الذى يحصل فيه الغيظ ، ففى الكلام مجاز عقلى علاقته الزمانية

(٢) لا عاصم اليوم من أمر الله

المعنى لا معصوم[٤] اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله ، فاسم الفاعل

---

(١) أبو المسك كنية كافور الاخشيدى ، والبيض السيوف ، يقول أرجو منك أن تنصرنى على أعدائى ، وأن توليني عزاً أتمكن به منهم ، وأخضب سيوفى بدمائهم

(٢) يقول وأرجو أن أبلغ بك يوما يغتاظ فيه حسادى لما يرون من إعظامك لقدرى وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدنى على الانتقام منهم ، فأتنعّم بشقائى فى حربهم

(٣) يعوذها يحصّنها ، والرُّقية العوذة ، جمعها رقى

(٤) يجوز أن تـكون « عاصم » مستعملة فى حقيقتها ، ويكون المعنى لا شئ

أسند إلى المفعول ، وهذا مجاز عقلى علاقته المفعولية .

(٣) ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء .

غنّاء مشتقة من الغنّ ، والحديقة لا تَغَنّ ، وإنما الذى يغَنّ عصافيرها أو ذُبابها ففى الكلام مجاز عقلى علاقته المكانية

(٤) بنى اسماعيل كثيراً من المدارس

إسماعيل أمير مصر - لم يبن بنفسه ولكنه أمر ، ففى الاسناد مجاز عقلى علاقته السببيّة

(٥) تكاد عطاياه يُجن جنونها إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلى علاقته المصدرية

بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلى

إذا تأملتَ أنواع المجاز المرسَلِ والعقليّ رأيتَ أنها فى الغالب تؤدّى المعنى المقصودَ بإيجاز ، فاذا قلتَ (هَزَمَ القائدُ الجيْشَ) أو (قرَّرَ المجلس كذا) كان ذلك أوجزَ من أن تقول (هزمَ جنود القائدِ الجيْشَ) أو (قرَّر أهل المجلس كذا) ولاشك أن الإيجاز ضَرْبٌ من ضروب البلاغة .

وهناك مظهرٌ آخرُ للبلاغة فى هذين المجازين ، هو المهارة فى تَخَيُّر العلاقة بين المعنى الأصلىّ والمعنى المجازىّ ، بحيث يكون المجاز مُصَوِّراً للمعنى المقصود خيرَ تصوير - كما فى إطلاق العين على الجاسُوس . والأذن على سريع التأثر بالوشاية . والخُفّ والحافر على الجِمال والخيل فى المجاز المرسل وكما فى إسناد الشئ إلى سببه أو مكانه أو زمانه فى المجاز العقلىّ . فإن البلاغة

يعصم الناسَ من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم . فانه تعالى هو الذى يعصمه

توجبُ أن يُختَار السببِ القوىُّ ، والمكان والزمان المختصّان

وإذا دَقّقت النظر رأيتَ أنَّ أغلب ضروب المجاز المرسل والعقلى لاتخلو من مبالغة بديعة ، ذات أثرٍ فى جعل المجاز رائعاً خلاّباً ، فإن إطلاق الكل على الجزء مبالغة ، ومثله إطلاق الجزء وإرادةُ الكل ، كما إذا قلت « فلان فَمٌ » تريد أنه شَرِهٌ يلتَهِمُ كلَّ شيءٍ ، أو « فلان أنْف » عندما تريد أن تَصِفَه بعِظَمِ الأنف ، فتبالغَ فتجعله كلّه أنْفا ؟

ومما يُؤثر عن بعض الأدباء فى وصف رجل أُنافِيّ [1] قوله : « لَسْتُ أَدْرى أَهُوَ فِى أنفِهِ أَمْ أَنْفهُ فِيهِ »

المبحث الثالث

﴿ فى المجاز المفرد بالاستعارة ﴾

الاستعارة فى اللغة من قولهم ، استعار المال إذا طلبه عارية

وفى اصطلاح البيانيين — هى استعمال اللّفظ فى غير ماوضع له لعلاقة المُشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلى . والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصراً ؛ لكنها أبلغ منه [2] كقولك — رأيت أسداً فى المدرسة . فأصل هذه الاستعارة

---

(١) الأُنافيّ عظيم الانف ، ـ عن البلاغة الواضحة

(٢) فأصل الاستعارة تشبيه حُذِف أحد طرفيه و وجه شبهه وأداته ـ ولكنها أبلغ منه لان التشبيه مهما تناهى فى المبالغة فلابد فيه من ذكر المشبه والمشبه به . وهذا اعتراف بتباينهما . وان العلاقة ليست الا التشابه والتّدانى فلا تصل الى حد الاتحاد

« رَأيت رجلا شجاعاً كالأسد فى المدرَسة » فحذفتَ المشبه « رجلا » والأداة الكاف ـ ووجه التشبيه « الشجاعَة » وألحقتَه بقرينَة « المدرسَة » لتدلّ على أنك تريد بالأسد شُجاعاً

وأركان الاستعارة ثلاثة	١ مستعار منه — وهو المشبه به	ويقال لهما الطّرفان
	٢ ومستعار له — وهو المشبه	
	٣ ومستعار ـ وهو اللفظ المنقول	

ولابُد فيها من عدم ذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه ، بل ولا بُدّ أيضاً من تناسى التّشبيه الذى من أجله وقعت الاستعارة فقط مع ادّعاء أن المشبه عين المشبه به ، أو ادّعاء أنّ المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلّى « بأن يكون اسم جنس أو عَلَم جنس » ولا تتأتّى الاستعارة فى « العلم الشخصى [(١)] » لعدم إمكان دخول شيء فى الحقيقة الشخصيّة ـ لأنّ نفس تصوّر الجزئى يمنع من تصوّر الشّركة فيه ، إلا إذا أفاد العلَم الشخصى وصفاً به يصحّ اعتباره كلّيا فتجوز استعارته كتضمُّن « حاتم » للجود

بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج . وان المشبه والمشبه به صارا معنى واحدا يصدق عليهما لفظ واحد ـ فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة .

واعلم أنّ حسن الاستعارة « غير التخييلية » لا يكون الا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافيا بافادة الغرض منه لأنها مبنية عليه فهى تابعة له حسنا وقبحا

(١) يعنى أن الاستعارة تقتضى ادخال المشبه فى جنس المشبه به . ولذلك لاتكون علما لان الجنس يقتضى العموم، والعلم ينافى ذلك بما فيه من التشخص الا إذا كان العلم يتضمن وصفيّة قد اشتهر بها « كسَحبان » المشهور بالفصاحة فيجوز فيه ذلك لأنه يستفيد الجنسية من الصفة نحو سمعتُ اليوم سَحبان . أى خطيبا فصيحا ـ وهلم جرا

و « قُس » للفصاحَة ، فيقال . رأيت حاتماً وقُساً بدعوى كليّة حاتم وقس ودخول المشبه فى جنس الجواد . والفصيح.

وللاستعارة أجمل وقع فى الكتابة لانها تُجدى الكلام قوة، وتكسوه حسنا ورونقاً . وفيها تثار الأهواء والاحساسات

المبحث الرابع

﴿ فى تقسيم الاستعارة باعتبار مايذكر من الطرفين ﴾

إذا ذكر فى الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية أو مصرّحة(١) نحو

فأمطرت لُؤْلؤاً من نَرْجِسٍ وسقَت ... ورداً وعضّتْ على العُنّاب بالبَرَد.

فقد استعار اللّؤْلؤ . والنّرْجسَ . والوَرد ، والعُنّاب . والبَرَد . للدموع والعيون . والخدود . والانامل . والأسنان.

وإذا ذكر فى الكلام لفظ المشبه فقط . وحذف فيه المشبه به. وأشير اليه بذكر لازمه المُسمّى «تخييلا» فاستعارة مكْنيّة (٢) أو بالكناية، كقوله

وَإذَا المنيّة أَنْشَبَتْ أَظفَارَهَا ... أَلفَيْتَ كلَّ تَميمَةٍ لا تنفَعُ

(١) معنى تصريحية أى مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه ومعنى مكنية أى مخفى فيها لفظ المشبه به استغناء بذكر شئ من لوازمه — فلم يذكر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه (٢) أى وهذا مذهب السلف . وصاحب الكشاف وأما مذهب السكاكى فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه — أى كلفظ المنية فى نحو « أظفار المنية نشبت بفلان » المستعمل فى المشبه به بادعاء أنه عينه.

وبيان ذلك أنه بعد تشبيه معنى المنية وهو الموت بمعنى السبع — تدّعى أن

فقد شبّه المنيّة بالسّبع بجامع الاغتيال في كلٍّ، واستعار السّبع للمنيّة وحذفه ورمزَ اليه بشيءٍ من لوازمه وهو الأظفار على طريق الاستعارة المكنية الأصليّة، وقرينتها لفظة « أظفار » ثم أخذ الوهمُ في تصوير المنية بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة الاظفار، ثم أطلق على الصورة التى هى مثل صورة الاظفار لفظ الاظفار

فتكون لفظة اظفار استعارة تخييلية، لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه صورة الاظفار الحقيقية وقرينتها اضافتها الى المنية

المشبه عين المشبه به . وحينئذ يصير للمشبه به فردان ـ أحدهما حقيقي والآخر ادعائي فالمنية مراد بها السبع بادعاء السبعية لها، وانكار أن تكون شيئاً آخر غير السبع بقرينة اضافة الاظفار التى هى من خواص المشبه به وهو السبع ـ وأنكر السكاكي التبعية بمعنى أنها مرجوحة عنده ـ واختار ردها إلى قرينة المكنية ـ ورد قرينتها إلى نفس المكنية ـ فى نطقت الحال مثلا . يقدر القوم ان نطقت استعارة تبعية والحال قرينة لها ـ وهو يقول إن الحال استعارة بالكناية ونطقت قرينتها

وفى كلامه نظر من وجهين

(الاول) ان لفظ المشبه لم يستعمل إلا فى معناه الحقيقي فلا يكون استعارة

(الثانى) أنه قد صرح بأن نطقت مستعارة للامر الوهمى أى المتوهم اثباته للحال تشبيها بالنطق الحقيقي فيكون استعارة والاستعارة فى الفعل لا تكون الا تبعية فيلزمه القول بالتبعية ـ وأجيب عنه بأجوبة تطلب من المطولات ـ وأما مذهب الخطيب فانه يقول ان الاستعارة بالكناية التشبيه المضمر أركانه سوى المشبه المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه . ويلزم على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعارة ـ لان الاستعارة هى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ـ أو استعمال اللفظ المذكور ـ والتشبيه غير ذلك بل هو فعل من أفعال النفس

ونظراً الى أن الاستعارة التخييلية قرينة المكنية فهى لازمة لها لا تفارقها ، لأنه لااستعارة بدون قرينة

وإذاً تكون أنواع الاستعارة ثلاثة — تصريحية ومكنية وتخييلية

(تنبيه) المشبه فى مواد الاستعارة بالكناية لا يجب أن يكون مذكوراً بلفظ المشبه به ـ فيجوز ذكره بغير لفظه كأن يشبه شئ كالنحافة واصفرار اللون بأمرين كاللباس والطعم المر البشع . و يستعمل لفظ أحد الامرين فيه ، و يثبت له شئ من لوازم الآخر كما فى قوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) فانه شبه ما غشى الانسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون باللباس لاشتماله على اللابس واشتمال أثر الضرر على من به ذلك ، فاستعير له اسمه ـ وشبه ما غشى الانسان عند الجوع « أى ما يدرك من أثر الضرر والالم باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية » بما يدرك من الطعم المر البشع ، حتى أوقع عليه الاذاقة ـ فتكون الآية مشتملة على الاستعارة المصرحة نظراً إلى الاول ـ والمكنية نظراً إلى الثانى ، وتكون الاذاقة تخييلا بالنسبة للمكنية ، وتجريداً بالنسبة إلى المصرحة لانها تلائم المشبه وهو النحافة والاصفرار لانها مستعارة للأصابة ـ وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة ـ ويقال شبه ماغشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر باللباس . بجامع الاشتمال فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية

وطريق اجراء الاستعارة الثانية أن يقال: شبه ما غشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر بالطعم المر البشع بجامع الكراهة فى كل ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ثم حذف وأثبت له شئ من لوازمه وهو الاذاقة على سبيل الاستعارة المكنية واثبات الاذاقة تخييل ـ وطريق اجراء الثالثة أن يقال شبهت الاذاقة المتخيلة بالاذاقة المتحققة واستعيرت المتحققة للمتخيلة على سبيل الاستعارة التخييلية على منهب السكاكى.

المبحث الخامس

﴿ فى الاستعارة باعتبار الطّرفين ﴾ (١)

إن كان المستعار له مُحققاً حِسّاً « بأن يكون اللفظ قد نُقل إلى أمر معلوم يُمكن أن يُشار إليـه إشارة حِسّيّة » كقولك رأيت بحراً يُعطى

أو كان المستعار له مُحققاً عقلاً « بأن يمكن أن ينصّ عليه ويشار إليه اشارة عقليّة » كقوله تعالى (إهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أى الدِّين الحقّ (فالاستعارة تحقيقية)

وان لم يكن المستعار له محققاً لا حِسّاً ولا عقلاً « فالاستعارة تخييليةّ » (٢).

---

(١) اعلم أن المذاهب فى التخييلية أربعة

(الاول) مذهب السلف والخطيب وهو أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة فى حقيقتها ، والتجوز إنما هو فى الاثبات لغير ما هو له المسمى استعارة تخييلية ، فهما متلازمان ، وهى من المجاز العقلى

(الثانى) مذهب السكاكى وهو أن قرينة المكنية تارة تكون تخييلية أى مستعارة لامر وهمى كأظفار المنية . وتارة تكون تحقيقية أى مستعارة لأمر محقق « كابلعى ماءك » وتارة تكون حقيقة « كأنبت الربيع البقل » فلا تلازم بين التخييلية والمكنية بل يوجد كل منهما بدون الآخر ـ وقد استدل السكاكى على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله

لا تسقنى ماء الملام فاننى صبّ قداستعذبت ماء بكائى

فانه قـد توهم أن للملامة شيئاً شبيها بالماء واستعار اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية . ورده العلامة الخطيب بأنه لادليل له فيه لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية فيكون قد شبه الملام بشئ مكروه له ماء . وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الماء على طريق التخييل .

وأن يكون من باب اضافة المشبه به الى المشبه والاصل لاتسقنى الملام الشبيه بالماء

وذلك كالأظفار فى قولك ـ أنشبت المنيّة أظفارها بفلان . فانه لما شبّهت المنية بالسّبع أخذت القوة المفكّرة تتخيل للمنيّة صورة شبيهة بالاظفار فشُبّهت الصورة المتخيلة بالصورة المحققة، واستُعير لفظ الاظفار من الصورة المحقّقة الى الصورة المتخيلة على طريق الاستعارة التّخييلية (وسميت تخييليّة لأن إثبات الأظفار للمشبه خُيل اتحاده مع المشبه به) وحينئذ التّخييليّة لا تفارق المكنيّة لانها قرينتُها ، ولا استعارة بدون قرينة كما سبق هذا اذا كان لازم المشبه به فى المكنية واحدا ، أما إذا كانت اللوازم متعدّدة فيكون أقواها لزوما قرينةً لها ، وما عداه ترشيح وتقوية لها ، كما سيأتى

وأيضا لا يخفى ما فى مذهب السكاكى من التعسف أى الخروج عن الطريق الجادة لما فيه من كثرة الاعتبارات ـ وذلك أن المستعير يحتاج الى اعتبار أمر وهمى، واعتبار علاقة بينه و بين الامر الحقيقى . واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ الامر الوهمى . فهذه اعتبارات ثلاثة لا يدل عليها دليل ، ولا تمس اليها حاجة

(الثالث مذهب صاحب الكشاف) وهو أنها تكون تارة تحقيقية أى مصرحة وتارة تكون تخييلية أى مجازاً فى الاثبات

(الرابع ـ مذهب صاحب السمرقندية) وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع وعدمه وعند صاحب السمرقندية على الامكان وعدمه

(تنبيه) الفرق بين ما يجعل قرينة للمكنية ويجعل نفسه تخييلا على مذهب السكاكى ـ أو استعارة تحقيقية على مذهب صاحب الكشاف فى بعض المواد ـ وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك ـ أو إثباته تخييلا على مذهب السلف وصاحب الكشاف فى بعض المواد ـ وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك ـ و بين ما يجعل زائداً عليها قوة الاختصاص أى الارتباط بالمشبه به ـ فأيهما أقوى ارتباطا به فهو

المبحث السادس

﴿ فى الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار ﴾

١ إذا كان اللفظ المستعار « اسما جامداً لذات » كالبدر اذا استعير للجميل ، أو اسما جامداً لمعنى » كالقتل إذا استعير للضرب الشديد سميت الاستعارة « أصلية » كقوله تعالى (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (١) وكقوله تعالى (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) (٢) وسُمِيتْ أصليّة لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر مُعتبرٍ أوّلاً

٢ وإذا كان اللّفظ المُستعار فعلاً (٣) أو اسم فعل ، أو اسما مشتقاً أو حرفا ، أو اسما مُبهماً ، فالاستعارة « تصريحية تبعية »

القرينة وماسواه ترشيح ـ وذلك كالنشب فى قولك . مخالب المنية نشبت بفلان ، فان المخالب أقوى اختصاصا وتعلقا بالسبع من النشب لانها ملازمة له دائماً بخلاف النشب

(١) يقال فى اجراء الاستعارة فى الآية الاولى ـ شبهت الضلالة بالظلمة بجامع عدم الاهتداء فى كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية

(٢) ويقال فى اجراء الاستعارة فى الآية الثانيـة ـ شبه الذل بطائر واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر للمشبه وهو الذل ـ على طريق الاستعارة المكنية الاصلية ثم حذف الطائر ، ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الجناح

(٣) مثال الاستعارة التصريحية فى الفعل . نطقت الحال بكذا ـ وتقريرها أن يقال شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع ايضاح المعنى فى كل ، واستعير النطق للدلالة الواضحة ، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ونحو : يحيي الارض بعد موتها . يقدر تشبيه تزيينها

٣ وإذا كان اللفظ المستعار اسما مشتقاً ، أو اسما مبهماً « دون باقى أنواع التبعيّة المتقدمة » فالاستعارة « تبعيَّة مكنيّة »

بالنبات ذى الخضرة والنضرة ـ بالاحياء بجامع الحسن أو النفع فى كل ـ و يستعار الاحياء للتزيين ، و يشتق من الاحياء بمعنى التزيين يحيي بمعنى يزين ، استعارة تبعية لجريانها فى الفعل تبعاً لجريانها فى المصدر ـ هذا اذا كانت الاستعارة فى الفعل باعتبار مدلول صيغته ؛ أى مادته وهو الحدث . وأما اذا كانت باعتبار مدلول هيئته وهو الزمن كما فى قوله تعالى (أتى أمر الله) فتقريرها أن يقال شبه الاتيان فى المستقبل بالاتيان فى الماضى بجامع تحقق الوقوع فى كل ، واستعير الاتيان فى الماضى للاتيان فى المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ونحو (ونادى أصحاب الجنة) أى ينادى ـ شبه النداء فى المستقبل بالنداء فى الماضى بجامع تحقق الوقوع فى كل ، ثم استعير لفظ النداء فى الماضى للنداء فى المستقبل ؛ ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادى ـ ونحو قوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا) ان قدّر المرقد للرقاد مستعاراً للموت . فالاستعارة أصلية ـ وان قدّر لمكان الرّقاد مستعاراً للقبر . فالاستعارة تبعية لانها فى اسم المكان ، فلا يستعار المرقد للقبر الا بعد استعارة الرقاد للموت ـ ومثال الاستعارة فى اسم الفاعل ، زيد قاتلٌ عمراً ، اذا كان عمرو مضروبا ضربا شديداً ـ ومثالها فى اسم المفعول ـ عمرو مقتول لزيد ـ اذا كان زيد ضاربا لعمرو ضرباً شديداً . واجراء الاستعارة فيهما أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الايذاء فى كل ، واستعير اسم المشبه به للمشبه . واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول بمعنى ضارب أو مضروب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ومثالها فى الصفة المشبهة ـ هذا حسن الوجه ، مشيراً الى قبيحه ـ و إجراء الاستعارة فيه أن يقال ـ شبه القبيح بالحسن . بجامع تأثر النفس فى كل . واستعير الحسن للقبح تقديراً ، واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ومثال الاستعارة فى أفعل التفضيل ـ هذا أقتل لعبيده من زيد ـ أى أشد ضربا

وسُمِّيت تبعيةً لأن جريانها في المشتقات والحروف تابعٌ لجريانها أولاً في الجوامد، وفي كليات معاني الحروف — يعني أنها سُمِّيت تبعيةً لتبعيتها لاستعارة أخرى لأنها في المشتقات تابعةٌ للمصادر — وفي معاني الحروف تابعةٌ

لهم منه — ومثال اسم الزمان والمكان — هذا مقتل زيد — مشيراً الى مكان ضربه أو زمانه — ومثال اسم الآلة — هذا مفتاح الملك: مشيراً إلى وزيره. واجراؤها أن يقال — شبهت الوزارة بالفتح للأبواب المغلقة بجامع التوسل إلى المقصود في كل، واستعير الفتح للوزارة، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير — ومثال اسم الفعل المشتق — نزال بمعنى انزل. تريد به أبعد. فتقول شبه معنى البعد بمعنى النزول بجامع مطلق المفارقة في كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد واشتق منه نزال بمعنى أبعد — ومثال اسم الفعل غير المشتق «صه» بمعنى اسكت عن الكلام. تريد به اترك فعل كذا — فتقول شبه ترك الفعل بمعنى السكوت، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل، واشتق منه اسكت بمعنى أترك الفعل — وعبّر بدل اسكت بصه — ومثال المصغر «رُجَيْلٌ» لمتعاطى مالا يليق — ومثال المنسوب «قُرشيٌ» للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم

ومثال الاستعارة في الحرف قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) واجراؤها أن يقال شبهت المحبة والتبني بالعداوة والحزن اللذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتب واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. واعلم أن اللام لم تستعمل في معناها الأصلي وهو العلة لأن علة التقاطهم له أن يكون لهم ابنا، وانما استعملت مجازاً لعاقبة الالتقاط، وهي كونه لهم عدوا، فاستُعيرت العلة للعاقبة بجامع أن كلا منهما مترتب على الالتقاط. ثم استعيرت اللام تبعا لاستعارتها، فالمستعار منه العلة. والمستعار له العاقبة. والترتب على الالتقاط هو الجامع. والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدوا — وقوله تعالى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) واجراؤها أن يقال شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف

لمتعلّق معانيها - إذ معانى الحروف جزئية لا تُتَصوّر الاستعارة فيها إلا بواسطة كُلّىّ مُستقلّ بالمفهوميّة ليتأتّى كونها مُشبّها ومشبَّهاً بها، أو محكوماً عليها أو

فاستعير لفظ « فى » الموضوع لكل جزئى من جزئيات الظرفية لمعنى « على » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية - ومثال المكنية التبعية فى الاسم المشتق يعجبنى اراقة الضارب دم الباغى ، واجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الايذاء فى كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضربا شديدا ، ثم حذف وأثبت له شئ من لوازمه وهو الاراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية - ومثالها فى الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك . أنت مطلوب منك أن تسير الينا الآن - شبه مطلق مخاطب بمطلق غائب فسرى التشبيه للجزئيات واستعير الثانى للأول ، ثم استعير بناء على ذلك

ضمير الغائب للمخاطب ، وحذف وذكر المخاطب ورمز الى المحذوف بذكر لازمه وهو طلب السير منه اليك ، واثباته له تخييل

واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة أعنى الضمائر وأسماء الاشارة والموصولات تبعية لأنها ليست باسم جنس لا تحقيقاً ولا تأويلا - ولأنها لا تستقل بالمفهومية لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشئ مالم تصحب تلك الالفاظ فى الدلالة عليها ضميمة تتم بها - كالاشارة الحسية والصلة والمرجع - فلا بد أن تعتبر التشبيه أولا فى كليات تلك المعانى الجزئية ، ثم سريانه فيها لتبنى عليه الاستعارة - مثلا فى استعارة لفظ «هذا» لأمر معقول . يشبه المعقول المطلق فى قبول التمييز فيسرى التشبيه الى الجزئيات فيستعار لفظ هذا من المحسوس الجزئى للمعقول الجزئى الذى سرى اليه التشبيه فهى تبعية - والاستعارة فى الضمير والموصول كالتعبير عن المذكر بضمير المؤنث أو بموصولها عنه لشبهه بها . أو عكسه . فتشبه المذكر المطلق بالمؤنث المطلق فيسرى التشبيه فتستعير الضمير أو الموصول للجزء الخاص

بها ، نحو : ركب فلان كتفيّ غريمه (١) أى لازمه ملازمة شديدة

وكقوله تعالى (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ) أى تمكنوا من الحصول على الهداية التامّة (٢) ونحو (أَذَقْتهُ لِباسَ الْمَوْتِ) (٣) أى ألبسته إياه

تنبيهات — الاول ، كل تبعية قرينتها مكنيّة

الثانى — اذا أُجريت الاستعارة فى واحدة منهما امتنع اجراؤها فى الأخرى

الثالث — تقسيم الاستعارة الى أصلية وتبعية عام فى كل من الاستعارة التصريحية والمكنية

المبحث السابع

﴿ فى تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين الى عنادية ووفاقية ﴾

فالعنادية — هى التى لا يمكن اجتماع طرفيها فى شئ واحد لتنافيهما

---

(١) يقال فى اجرائها شبه اللزوم الشديد بالركوب بجامع السلطة والقهر — واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم ، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية

(٢) يقال فى اجرائها شبه مطلق ارتباط بين مهدى وهدى — بمطلق ارتباط بين مستعلى ومستعلى عليه بجامع التمكن فى كل . فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات ثم استعيرت « على » من جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية

(٣) يقال فى اجرائها شبهت الإذاقة بالالباس ، واستعير الالباس للإذاقة واشتق منه ألبس بمعنى أذاق على طريق الاستعارة المكنية التبعية — ثم حذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو اللباس

والوفاقية ـ هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شئ واحد لعدم التنافى مثالها قوله تعـالى (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) أى ضالاً فهديناه ففى هذه الآية استعارتان

الأولى فى قوله « ميتا » شبه الضلال بالموت بجامع ترتب نفى الانتفاع فى كل واستعير الموت للضلال ، واشتق من الموت بمعنى الضـلال ميتا بمعنى ضالاً ـ وهى عنادية لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال فى شئ واحد

والثانية — استعارة الأحياء للهداية وهى وفاقية ، لامكان اجتماع الأحياء والهداية فى الله تعالى

ثم العنادية قد تـكون تمليحية . أى المقصود منها التمليح والظرافة وقد تكون تهكمية أى المقصود منها التهكم والاستهزاء ، بأن يُستعمل اللفظ فى ضدّ معناه ، نحو رأيت أسداً ، تريد جباناً ، قاصداً التمليح والظرافة ، أو التهكم والسخرية : وهما اللتان نزّل فيهما التضاد منزلة التناسب نحو (فبشرهم بعذاب أليم) استعيرت البشارة التى هى الخبر السار للأنذار الذى هو ضده بادخال الانذار فى جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء

المبحث الثامن

﴿ فى تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع ﴾

الاستعارة المصرحة باعتبار الجامع نوعان (١)

---

(١) « ينقسم الجامع » الى داخل وخارج ـ فالأول ـ ما كان داخلا فى مفهوم الطرفين نحو قوله تعالى « وقطّعناهم فى الارض أمماً » فاستعير التقطيع الموضوع

١ عاميّة ـ وهى القريبة المُبتذلة التى لا كَثُرتها الألسُن فلا تحتاج الى بحث ويكون الجامع فيها ظاهراً ، نحو رأيت أسداً يرمى

٢ خاصية ـ وهى الغريبــة التى يكون الجامع فيها غامضا لا يدركه الا أصحاب المدارك من الخواص ـ كقول كثير يمدح عبدالعزيز بن مروان

غَمْرُ الرِّداء إذا تبسّم ضاحكا   غلِقت لضَحكته رِقاب المال

لازالة الاتصال بين الاجسام الملتصق بعضها ببعض . لتفريق الجماعة و إبعاد بعضها عن بعض . والجامع ازالة الاجتماع . وهى داخلة فى مفهومها . وهى فى القطع أشد

والثانى . وهو ما كان خارجا عن مفهوم الطرفين نحو : رأيت أســداً ـ أى رجلا شجاعا ، فالجامع وهى الشجاعة أمر عارض للأسد لا داخل فى مفهومه .

وينقسم أيضاً باعتبار الطرفين والجامع الى ستة أقسام لان الطرفين إما حسيان أو عقليان (أو المستعار منه حسى والمستعار له عقلى أو بالعكس) والجامع فى الاول من الصور الأربع تارة يكون حسيا وتارة يكون عقليا وأخرى مختلفاً، وفى الثلاث الاخيرة لا يكون الا عقلياً ـ مثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع كذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسداً له خُوار) فان المستعار منه وهو ولد البقرة ،والمستعار له وهو المصوغ من حُلى القبط بعد سبكها بنار السّامرى والقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل عليه والجامع الشكل . فانه كان على شكل ولد البقر مما يدرك بحاسة البصر « و بحث بعضهم بأن ابدال جسداً من عجلا يمنع الاستعارة »

ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع عقلى ـ قوله تعالى (وآية لهــم الليل نسلخ منه النهار) فان المستعار منه أعنى السلخ وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها والمستعار له وهو كشف الضوء عن مكان الليل وهو موضع إلقاء ظله : حسيان

والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه كترتب ظهور اللحم على الكشط وترتب ظهور الظلمة على ازالة الضوء عن مكان الليل . والترتب عقلى

غَمرُ الرِّداء « كثير العطايا والمعروف » استعار الرداء للمعروف لأنه يصون ويستر عرض صاحبه كستر الرِّداء ما يلقى عليه وأضاف اليه الغمر ، وهو القرينـة على عـدم إرادة معنى الثوب ، لأن الغمر من صفات المال لا من صفات الثوب .

وهذه الاستعارة لايظفر باقتطاف ثمارها إلاّ ذووا الفِطَر السليمة والخِبرة التّامة

المبحث التاسع

﴿ فى تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من الملائمات وعدم اتّصالها ﴾

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر « مُلائِم المستعار منه »

أو باعتبار ذكر « مُلائم المستعار له » أَو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام مُطْلَقة ، ومرشحة ، ومجردة

واجراء الاستعارة ـ شبه كشف الضوء عن الليل بكشط الجلد عن نحو الشاة . بجامع ترتب ظهور شئ على شئ فى كل ، واستعير لفظ المشبه به وهو « السلخ » للمشبه وهو كشف الضوء « واشتق منه « نسلخ » بمعنى نـكشف على طريق الاستعارة التصريحيه التبعية . ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع بعضه حسى و بعضه عقلى . قولك رأيت بدراً يتكلم ـ تريد شخصاً مثل « البـدر » فى حُسْن الطلعة وعلو القدر . فحسن الطلعة حسى . وعلو القدر عقلى ـ ومثال ما إذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع فيـه إلا عقلياً كباقى الاقسام . قوله تعالى (مَنْ بَعثَنا مِنْ مَرقَدِنا) فان المستعار منه « الرقاد » أى النوم . والمستعار له الموت . والجامع بينهما عدم ظهور الفعل ، والجميع عقلى ـ واجراء الاستعارة شبه الموت بالنوم بجامع عدم ظهور الفعل فى كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية ـ وقال بعضهم عدم ظهور الفعل فى الموت أقوى . وشرط الجامع أن يكون فى المستعار منه

« ا » فالمطلقة هى التى لم تقترن بملائم أصلا ، نحو (يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ)
أو ذكر فيها ملائمهما معاً كقول زهير

لدى أسد شاكى السلاح مُقذّف له لِبدٌ أظفاره لم تُقَلَّم

استعار الاسد للرجل الشجاع ، وقد ذكر ما يناسب المستعار له فى قوله « شاكى السلاح مقذّف » وهو التجريد ، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه فى قوله « له لبد أظفاره لم تقلّم » وهو الترشيح ، واجتماع التجريد والترشيح يؤدى الى تعارضهما وسقوطهما فكأن الاستعارة لم تقترن بشئ وتكون فى رتبة المطلقة

«ب» والمُرَشَّحة ــ هى التى قُرنَت بملائم المستعار منه « أى المشبه به » نحو (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) استعير الشراء للاستبدال والاختيار . ثم فرّع عليها مايلائم المستعار

أقوى فليجعل الجامع هو « البعث » الذى هو فى النوم أظهر وقرينة الاستعارة أن هذا الكلام كلام الموتى مع قوله « هذا ما وَعدَ الرحمن وصدق المرسلون» وعلى هذا يقال شبه الموت بالرقاد بجامع عدم ظهور الفعل فى كل . واستعير الرقاد للموت . واشتق منه « مرقد » اسم مكان الرقاد بمعنى قبر اسم مكان الموت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ــ ومثال ماإذا كان المستعار منه حسيا . والمستعار له عقليا . قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فان المستعار منه كسر الزجاجة . وهو أمر حسى . والمستعار له التبليغ جهراً والجامع التأثير « أى أظهر الأمر إظهاراً لا ينمحى ــ كما أن صدع الزجاجة لا يلتئم واجراء الاستعارة شبه التبليغ جهراً بكسر الزجاجة بجامع التاثير الشديد فى كل واستعير المشبه به وهو « الصدع » للمشبه وهو التبليغ جهراً ــ واشتق منه أصدع بمعنى بلغ جهراً . على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ــ ومثال ما إذا كان المستعار منه عقليا . والمستعار له حسيا . قوله تعالى (إنّا لما طغى الماء حملنا كم فى الجارية) فان

منـه من الربح والتجارة ، ونحو : من باع دينه بدنياه لم تربح تجارته
« وَسُمِّيَتْ مُرَشَّحة لترشيحها وتقويتها بذكر المُلائِم »

« ج » والمجردة ـ هى التى قرنت بملائم المستعار له « أى المشبه »

نحو رأيت بحراً على فرس يعطى . فيعطى تجريد لأنه يناسب المستعار له الذى هو الرجل الـكريم . ونحو اشترِ بالمعروف عرضك من الأذى

« وسميت بذلك لتجريدها عن بعض المبالغة لبُعد المشبه حينئذ عن المشبه به بعض بُعد ، وذلك بُبعد دعوى الاتحاد الذى هومبنى الاستعارة»

ثم اعتبار التّرشيح والتّجريد إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها

المستعار له كثرة الماء وهو حسى . والمستعار منه التـكبر . والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان . واجراء الاستعارة شبهت كثرة الماء المفرطة بمعنى الطغيان . وهو مجاوزة الحد . بجامع الاستعلاء المفرط فى كل . واستعير لفظ المشبه به وهو الطغيان للمشبه وهو الـكثرة المفرطة . واشتق منه طغى بمعنى كثر كثرة مفرطة . على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

« تنبيه » الاستعارة المـكنية تنقسم أيضا الى . أصلية وتبعية . والى مرشحة ومجردة . ومطلقة . كما انقسمت التصريحية الى مثل ذلك

فالمـكنية الاصلية . هى ما كان المستعار فيها اسما غـير مشتق كالسبع المتقدم

والتبعية ـ هى ما كان المستعارفيها اسما مشتقا فلا تكون فى الفعل ولا فى الحرف ومثالها فى الاسم المشتق . يعجبنى إراقة الضارب دم الظالم . فقدشبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الايذاء فى كل واستعير القتل للضرب الشديد . ثم حذف و رمزاليه بشئ من لوازمه ، وهو الاراقة ، على طريق الاستعارةالمكنية التبعية ـ فالاستعارة التخييلية عند الجمهور هى نفس اثبات اللازم المستعمل فى حقيقته ـ وهى من المجاز العقلى وإنما سميت استعارة لانه استعير ذلك الاثبات من المشبه به للمشبه وسميت تخييلية

سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية ـ فلا تُعدّ قرينة المصرحة تجريداً ولا قرينة المكنية ترشيحاً ـ بل الزائد على ما ذكر

وأعلم ان الترشيح أبلغ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسى التشبيه ، وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه « لا شئ شبيه به » وكأنّ الاستعارة غير موجودة ، والاطلاق أبلغ من التجريد ، فالتجريد أضعف الجميع ، لأن به تضعف دعوى الاتحاد ، واذا اجتمع ترشيح وتجريد فتكون الاستعارة فى رتبة المطلقة اذ بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله وكما يجرى هذا التقسيم فى التصريحية يجرى أيضا فى المكنية ،

لان اثباته للمشبه خيل اتحاده مع المشبه به ، فقولنا أظفار المنية نشبت بفلان ـ لفظ « أظفار » فى هذا التركيب مستعمل فى حقيقته «وانما التجوز فى اثباته للمنية » أى أن ذلك الأثبات إثبات الشئ الى غير ما هو له ـ فعند الجمهور التخييلية لا تفارق المكنية لأنها قرينتها

والاستعارة المكنية المرشحة ـ هى ما قرنت بما يلائم المشبه فقط نحو ـ نطق لسان الحال بكذا ـ شبهت « الحال » بمعنى الانسان ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو « لسان » واثبات اللسان للحال تخييل وهو القرينة ، والنطق ترشيح . لأنه يلائم المشبه به فقط

والمكنية المجردة ـ هى ما قرنت بما يلائم المشبه فقط ، ـ نحو : نطقت الحال الواضحة بكذا ـ فالوضوح تجريد لانه يلائم المشبه الذى هو انسان فقط

والمكنية المطلقة ـ هى التى لم تقترن بشئ يلائم المشبه ولا المشبه به ـ أوقرنت بما يلائمهما معاً ـ نحو نطقت الحال بكذا ـ ونطق لسان الحال الواضحة بكذا ففى الاول ـ شبهت الحال بانسان واستعير لها اسمه وحذف ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو النطق واثبات النطق للحال تخييل ، وهى مجردة لانها لم تقترن بشئ يلائمهما

المبحث العاشر

﴿ فى المجاز المرسل المركب ﴾

المجاز المُرْسل المركب هو الكلام المُستعمل فى غير المعنى الذى وُضع له ، لعلاقة غير المشابهة مع قَرينة مانعة من إرادة معناه الأصلى — ويقع أولا فى المُركّبات الخبرية المستعملة فى الانشاء وعكسه لاغراض كثيرة

منها التحسّر وإظهار التأسف كما فى قول الشاعر

ذَهَبَ الصِّبا وتولّت الأَيامُ فعلى الصِّبا وعلى الزّمان سلام

فإنّه وإن كان خبراً فى أصل وضعه إلا أنه فى هذا المقام مستعمل فى إنشاء التّحسّر والتحزُّن على ما فات من الشَباب ، والقرينة على ذلك الشطر الثانى — وكقول جعفر بن عُلبة الحارثى

هَوَايَ مع الرَّكب اليمانينَ مُصْعِدُ جَنيبٌ وُجثمانى بمكّةَ مُوثَقُ

فهو يشير الى الأَسف والحزن الذى أَلَمَّ به من فراق الأَحبة .

ويتحسَّر على ما آل اليه أمره ، والقرينة على ذلك حال المتكلم

ومنها اظهار الضّعف فى قوله

وفى الثانى — شبهت الحال بانسان واستعير له اسمه ، وحذف ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو «لسان» واثباته للحال تخييل ، وهوالقرينة ، والنطق ترشيح ، لانه يلائم المشبه به والوضوح تجريد لانه يلائم المشبه — ولما تعارضا سقطا

وتنقسم المكنية أيضاً الى عنادية — نحو — أنشبت المنية أظفارها بفلان — لانه لا يمكن اجتماع طرفيها فى شئ واحد يكون منية وسبعا ، ووفاقية — نحو نطقت الحال بكذا — لانه يمكن اجتماع طرفيها فى شئ واحد كالحال مع الانسان

رَبِّ إنّي لا أستطيع اصطباراً فاعفُ عنّي يا منْ يقبَل العثارَا

ومنها اظهار السُّرور ، نحو كُتِبَ اسمى بين الناجحين .

ومنها الدعاء ـ نحو نجّحَ اللهُ مقاصدنا — أيُّها الوطن لك البقاء

وثانيا فى المركبات الانشائيّة كالأمر والنهى والاستفهام التى خرجت عن معانيها الاصلية، واستُعملت فى معانٍ أُخَر: كما فى قوله عليه الصلاة والسلام «من كَذَبَ علىَّ متعمّداً فليَتَبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النارِ »

إذ المرادُ « يتبوّأُ مقعده » والعلاقة فى هذا السَّببيّة والمسببيَّة ، لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لاخباره بما تتضمَّنه ، فظاهره أمر ، ومَعناه خبر

المبحث الحادى عشر

﴿ فى المجاز المركب[1] بالاستعارة التَّمثيليّة ﴾

المجاز المركب بالاستعارة التَّمثيلية هو تركيب استعمل فى غير ما وُضع له ، لعلَاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الاصلى ، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة مُنتزعة من متعدّد ـ وذلك بأن تشبِّه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تُدخِل المشبه فى الصُّورة المشبه بها مُبالغة فى التشبيه — ويُسمّى بالاستعارة التَّمثيليّة [2]

---

(١) المجاز المركب هو تركيب استعمل فى ما يشبّه بمعناه الاصلى تشبيه التمثيل

(٢) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام فى كل استعارة للاشارة الى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلا ـ إذ هى مبنيّة على تشبيه التمثيل . ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ـ لهذا كان أدق أنواع التشبيه . وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات ـ ولذلك كانا غرض البلغاء

نحو الصَّيفَ ضيَّعتِ اللَّبنَ — يُضرب لمن فرَّط فى تحصيل أمر فى زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه فى زمن لا يمكنه الحصول عليه (١) فيه ونحو (إنى أَراكَ تُقَدِّمُ رِجلاً وتُؤَخِّرُ أُخرَى) يُضرب لمن يتردّد فى أمر فتارة يقدِم، وتارة يحجِم، ونحو (أَحَشفا وسُوء كِيلةٍ) يُضرب لمن يظلم من وجهين— وأصله أن رجلا اشترى تمراً من آخر فاذا هو ردئ، وناقص الكيل. فقال المشترى ذلك — ومثل ما تقدَّم جميع الأمثال السائرة نثراً ونظماً

فمن الاول — قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفى، وهو متستّر تحت أمرٍ ظاهر

---

(١) أصل المثل أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غنى فطلبت طلاقها منه فى زمن الصيف لضعفه — فطلقها وتزوجت بشاب فقير. ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل — واجراء الاستعارة فى هذا المثل الاول أن يقال شبهت هيئة من فرط فى أمر زمن امكان تحصيله، بهيئة المرأة التى طلقت من الشيخ اللّابن ورجعت اليه تطلب منه اللبن شتاء بجامع التفريط فى كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

وإجراء الاستعارة فى المثل الثانى أن يقال شبهت هيئة من يتردد فى أمر بين أن يفعله وألا يفعله. بهيئة من يتردد فى الدخول فتارة يقدم رجله وتارة يؤخرها بجامع الحيرة فى كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الثالث شبهت هيئة من يظلم من وجهين بهيئة رجل باع آخر تمراً رديئاً وناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين فى كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الرابع شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل

« لأمر مّا جدَعَ قَصيرٌ أنفَه » وقولهم « تَجوع الحُرَّة ولا تأكل بثديها ، وقولهم ، لمن يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه « اليد لا تصفق وحدَها » وقولهم لمجاهد عاد الى وطنه بعد سفر

« عاد السَّيف الى قِرابه وحلّ اللّيث مَنِيع غابه » وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل (قَطَعَتْ جهيزةُ قَوْلَ كلِّ خطيب)

ومن الثاني قول الشاعر

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطل السِّحر والساحرُ

اذا قالت حذام فصدِّقوها ... فان القول ما قالت حذامِ

على أمر خفي يريده — بهيئة الرجل المسمى قصيراً حين جدع أنفه ليأخذ بثأر جذيمة من الزباء بجامع الاحتيال فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل الخامس أن يقال شبهت هيئة كريم الأصل عزيز النفس الذى لا يفضل الدنايا على الرزايا عند ما تزل به القدم . بهيئة المرأة التى تفضل جوعها على إجارتها للارضاع عند فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع فى كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل السادس شبهت هيئة من يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه ، بهيئة من يريد أن يصفق بيد واحدة . بجامع العجز فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل السابع شبهت هيئة الرجل الذى يحصل بوجوده فصل المشكلات . بهيئة نبي الله موسى عليه السلام مع سحرة فرعون بجامع حسم النزاع فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الثامن شبهت هيئة الرجل الذى لا يقول إلا الحق

متى يبلغ البنيان يوما تمامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ (١)

وإذا فشت وشاعَتْ الاستعارة التمثيلية (٢) وكثر استعمالها تكون مثلا لا يُغيَّر مطلقا بحيثُ يخاطب به المفرد والمذكر ، وفروعهما ، بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مورده الاول وان لم يُطابق المضروب له

ولذا كانت هذه الاستعارة محطّ أنظار البلغاء . لا يعدلون الى غيرها إلا عند عدم إمكانها فهى أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً ، اذ مبناها تشبيه التمثيل الذى قد عرفتَ أنّ وجه الشّبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة

ومن ثَمّ كانت هى والتشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون اليه ، ويتفاوتون فى إصابته . حتى كثُرا فى القرآن الكريم كثرة كانت إحدى الحُجج على إعجازه

ولا يخبر إلا بالصدق بهيئة المرأة المساة « حذام » بجامع الصدق فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

(١) واجراء الاستعارة فى المثل التاسع : شبهت حال المصلح يبدأ الاصلاح ثم يأتى غيره فيبطل عمله ، بحال البنيان ينهض به حتى اذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول الى الغاية لوجود مايفسد على الساعى سعيه ، ثم حذف المشبه واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه

(٢) وتنقسم التمثيلية إلى قسمين تحقيقية وتخييلية ـ فالتحقيقية هى المنتزعة من عدة أمور متحققة موجودة خارجا ـ كما فى الأمثلة السابقة ـ والتخييلية هى المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها فى الخارج ولا فى الذهن . وتسمى الأولى « تمثيلية تحقيقية » والثانية « تمثيلية تخييلية » كقوله تعالى (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) الآية

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة ، وهى أبلغ من التشبيه لانها تضع أمام المخاطب بدلا من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عما ينطوى تحتها من التشبيه ، وعلى مقدار ما فى تلك الصورة من الرّوعة وسموّ الخيال تكون البلاغة فى الاستعارة

وأبلغ أنواع الاستعارة « المرشحة » لذكر ما يناسب المستعار منه فيها بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين المستعار منه

ثم تليها « المطلقة » لترك ما يناسب الطرفين فيها بناء على دعوى التساوى بينهما

ثم تليها «المجردة» لذكر ما يناسب المستعار له فيها بناء على تشبيهه بالمستعار منه

ولا بد فى الاستعارة ، وفى التمثيل على سبيل الاستعارة من مراعاة جهات حسن التشبيه ، كشمول وجه الشبه للطرفين ، وكون التشبيه وافيا بافادة الغرض ، وعدم شم رائحة التشبيه لفظا . ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جليا لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية وإلغازاً .

على احتمال فيها . فانه لم يحصل عرض و إباء واشفاق منها حقيقة ، بل هـذا تصوير وتمثيل . بأن يفرض تشبيه حال التـكاليف فى ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها ، بحال أنها عرضت على هـذه الأشياء مع كبر أجرامها وقوة متانتهـا فامتنعن وخفن من حملها بجامع عـدم تحقق الحمل فى كل ، ثم استعير التركيب الدال على المشـبه به للمشـبه . استعارة تمثيلية ، ونحو قوله تعالى (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فان معنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما أنه أراد تـكوينهما فـكانتا كما أراد . فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها ـ وتمثيل ذلك بحالة الآمر المطاع لها واجابتهما له بالطاعة فرضا وتخييلا من غير أن يتحقق شىء من الخطاب والجواب ، هذا أحد وجهين فى الآيتين كما فى الـكشاف . فارجع اليه

اسئلة على الاستعارة يطلب أجوبتها

ماهى الاستعارة؟. ما أركانها ؟. كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه ؟ . ـ ما أصل الاستعارة ؟ . ـ ماهى الاستعارة التصريحية كم قسما الاستعارة التصريحية ؟ . ـ كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له . والمستعار منه ؟ ـ ماهى الاستعارة المرشحة ؟ ـ ماهى الاستعارة المجردة ؟ . ـ ماهى الاستعارة المطلقة ؟ . ـ كم قسما الاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفيها فى شئ ؟ . ـ ماهى الاستعارة الوفاقية ؟ . ما هى الاستعارة العنادية ؟ . ـ كم قسما الاستعارة باعتبار الجامع ؟ . ـ ما هى العامية ؟ . ما هى الخاصية ؟ . ـ ماهى التمليحية ؟ ـ ماهى التهكمية ؟ ـ مامثال الطرفين الحسيين والجامع حسى ؟ . ـ ما مثال الطرفين الحسيين والجامع عقلى ؟ . ـ ما مثال الطرفين الحسيين والجامع بعضه حسى وبعضه عقلى ؟ . ـ مامثال الطرفين العقليين والجامع عقلى ؟ . ـ مامثال المستعار منه الحسى والمستعار له العقلى مامثال المستعار منه العقلى والمستعار له الحسى ؟ ماهى الاستعارة بالكناية عند الجمهور ؟ . ماهى الاستعارة بالكناية عند السكاكى ؟ ماهى الاستعارة بالكناية عند الخطيب ؟ . ـ كم قسما الاستعارة بالكناية ؟ . ـ ما هى المكنية الاصلية ؟ ـ ماهى المكنية التبعية ؟ . ـ ماهى الاستعارة التخييلية عند الجمهور ؟ . لم سميت استعارة ؟ لم سميت تخييلية ؟ . ماهى الاستعارة المكنية المرشحة ؟ ـ ماهى الاستعارة المكنية المجرده ؟ . ماهى الاستعارة المكنية المطلقة ؟ . ـ كم قسما المكنية باعتبار امكان اجتماع طرفيها فى شئ ؟ . ماهى

العنادية ؟ . ماهى الوفاقية ؟ . ـ ماهو المجاز المركب ؟ . ـ ماهى الاستعارة التمثيلية ؟ ـ ماهو المجاز المركب بالاستعارة ؟ . ـ ماهى محسنات الاستعارة

﴿ تمرين آخر على كيفية إجراء الاستعارات ﴾

١ فسمونا والفجر يضحك فى الشـ ـرق الينا مبشراً بالصباح

٢ عضّنا الدهرّ بنابه ليتَ ما حلّ بنابه

٣ لسنا وان أحسابنا كرمت يوماً على الاحساب نتّكلُ

٤ دقّات قلب المرء قائلة له إنّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِ

---

(١) شبه الفجر بانسان يتبسّم ، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة ـ والقدر المشترك بينهما البريق واللمعان ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذف المشبه وأشار اليه بشئ من لوازمه وهو الضحك — على طريق الاستعارة بالكناية ، واثبات الضحك استعارة تخييلية

(٢) شبه حوادث الدهر بالعض بجامع التأثير والأيلام من كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من العض وهوالمصدر عض بمعنى آلم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وذكر الناب ترشيح

(٣) فى كلمة « على » استعارة تصريحيـة تبعية فقد شبه مطلق ارتباط بين حسيب وحسب بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بجامع التمكن والاستقرار فى كل ـ ثم استعيرت « على » من جزئى من جزئيات الأول ـ لجزئى من جزئيات الثانى ، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية .

(٤) شبه الدلالة بالقول بجامع ايضاح المراد فى كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ـ والقرينة نسبة القول الى الدقات

٥ بكت لؤلؤاً رطباً ففاضت مدامعي عقيقاً فصار الكل في نحرها عقداً

٦ إن التباعد لا يضر إذا تقاربت القلوب

٧ ذم أعرابي رجلا فقال (يقطع نهاره بالمنى ويتوسّد ذراع الهمّ إذا أمسى)

٨ قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا

---

(٥) شبه المتساقط من فيها باللؤلؤ بجامع البياض والاتساق في كل — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ـ ثم شبه الدمع النازل من عينيه بالعقيق بجامع الحمرة واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ـ والقرينة كلمتا بكت ، وفاضت وذكر العقد ترشيح .

(٦) شبه التواد بالتقارب بجامع الألفة في كل منهما ـ ثم استعير التقارب للتواد واشتق منه تقارب بمعنى تواد ـ والقرينة كلمة القلوب وهي استعارة مطلقة

(٧) شبه المنى بسكين قاطع بجامع الاجهاز وانهاء المقطوع في كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذفه و رمزاليه بشيء من لوازمه وهو يقطع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة ، ويقطع استعارة تخييلية . وكذا شبه الهمّ بانسان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الذراع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة كلمة الذراع . ويتوسد ترشيح

(٨) شبه الشر بأسد متحفز للوثوب فيكشر عن أنيابه بجامع الاستعداد للهجوم في كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، وحذفه و رمز اليه بشيء من لوازمه وهو الناجذان على طريق الاستعارة المكنية المرشحة ـ والقرينة كلمة ناجذيه . وكلمة أبدى ترشيح . ثم شبه مشيهم بالطيران بجامع السرعة في كل منهما ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به المشبه ، واشتق من الطيران طار بمعنى أسرع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة ـ والقرينة اسناد الطيران اليهم

٩ جاء الشتاء واجثألَّ القُبَّرُ وطلعت شمسٌ عليها مِغفرُ
١٠ سأبكيكَ للدُّنيا وللدِّين إن أبت يدُ المعرُوف بعدكَ شُلّت
١١ وَإنَّكَ لَعلَى خلقٍ عَظِيمٍ
١٢ سَقَاهُ الرَّدَى سيفٌ إذا سلَّ أومضَتْ إليْهِ ثَنَايَا المَوْتِ مِنْ كلِّ مَرْقدِ
١٣ سنفرُغُ لـكُمْ أَيُّهَا الثقلَانِ

(٩) شبه السحاب الذى يستر الشمس . بالمغفر الذى يستر الرأس ـ بجامع الستر فى كل واستعار اللفظ الدل على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة ـ والقرينة كلمة شمس

(١٠) شبه المعروف . بإنسان له يد تعطى ـ والجامع الاعطاء فى كل منهما وحذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة ، والقرينة كلمة يد ـ وهى الاستعارة التخييلية ، وشلت ترشيح

(١١) شبه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والاخلاق الشريفة والثبوت عليها بتمكن من علا دابة يُصرّفها كيف شاء . بجامع التمكن والاستقرار فى كل . فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التى هى معانى الحروف ، فاستعير لفظ «على» الموضوع للاستعلاء الحسى للارتباط والاستعلاء المعنوى ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية

(١٢) شبه لحاق الموت به . بالسقى بجامع الوصول فى كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من السقى سقى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة على ذلك نسبة السقى إلى الردى ـ وأيضاً قد شبه الموت بإنسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضئ — والجامع البريق واللمعان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الثنايا على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة — والثنايا استعارة تخييلية ـ وأومض ترشيح

(١٣) شبه القصد إلى الشىء والتوجه له ، بالفراغ والخلوص من الشواغل ـ بجامع

١٤ إنّا لَنَرَاكَ فى ضَلَالٍ مُبِينٍ

١٥ فتىً كُلَّمَا فاضتْ عُيُونُ قبيلةٍ دماً ضَحِكَتْ عنه الأحاديثُ والذِّكْرُ

الاهتمام فى كل . واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو : نفرغ — على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالية

(١٤) فى كلمة « فى » استعارة تصريحية تبعية فقد شبهت « فى » التى تدل على الارتباط « بفى » التى تدل على الظرفية بجامع التمكن فى كل فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات فاستعيرت فى من الثانى للأول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية — والقرينة على ذلك كلمة الضلال

(١٥) شبه العيون بالنهر بجامع الصب الكثير فى كل منهما — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو فاض على سبيل الاستعارة الاصلية المكنية وفاض قرينتها وهى الاستعارة التخييلية — وكذا شبه السرور والاريحية بالضحك بجامع ما تجده النفس عند كل من المسرة — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر — على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

تطبيق عام على المجاز وأنواع الاستعارة

رأيت أسداً فى الحمام — شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة فى كل واستعير الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة المصرحة الأصلية

رأيت قُسّاً اليوم — شبه الرجل الفصيح « بقس بن ساعدة » بجامع الفصاحة فى كل ، واستعير « قس » للرجل الفصيح على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية

رأيت حاتما اليوم — شبه الرجل الكريم « بحاتم الطائى » بجامع الكرم فى كل واستعير « حاتم » للرجل الكريم على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية

نطقت حالك بنجابتك ـ شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع الايضاح فى كل واستعير « النطق » للدلالة الواضحة واشتق من « النطق » بمعنى الدلالة الواضحة « نطقت » بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . وسميت تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به وتبعية لأن جريانها فى الفعل تابع لجريانها فى المصدر

يحيي الارض بعد موتها ـ شبه تزيين الارض بالنبات الاخضر النضر بالاحياء بجامع ما يترتب على كل من الحسن والنفع ، واشتق من « الاحياء » بمعنى التزين « يحيي » بمعنى يزين على سبيل الاستعارة المصرحة التبعية

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف

فيه استعارة تمثيلية . فانه شبه هيئته القائمة به من الذوق الوجدانى ، بهيئة من جرى على لسانه ذلك من عشاق الاشباح بجامع الهيئة الحاصلة من التأثر والوجدان فى كل واستعار الكلام الدال على المشبه به للمشبه ـ على سبيل الاستعارة التمثيلية

تصرّمت منا أويقات الصبا ولم نجد من المشيب مهربا

فيه مجاز مرسل مركب ، علاقته السببية . فان هذا الكلام سبب فى التحسر أو الملزومية . لان الاخبار بهذا مستلزم للتحسر

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالى بالشكاية أنطق

فيه استعارة مكنية أصلية مرشحة وفاقية فى كلمة حال . شبهت الحال بانسان متكلم بجامع الدلالة فى كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه . وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو (اللسان) على سبيل الاستعارة المكنية الاصلية . و إثبات (اللسان) للحال تخييل ، والنطق ترشيح . وفيه استعارة تصريحية تبعية فى النطق . شبهت الدلالة بالنطق . واستعير لها اسمه . واشتق منه (أنطق) بمعنى أدل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . واللسان ترشيح — وهى وفاقية لامكان اجتماع طرفيها اللذين هما النطق والدلالة فى شيء

فان تعافوا العدل والايمانا فان فى إيماننا نيرانا

فيه استعارة مكنية أصلية فى (العدل) و (الايمانا) فانه شبه (العدل) و (الايمان)

بشيء كريه يعاف، بجامع كراهة النفس لكل. واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو (تعافوا) على طريق الاستعارة المكنية الاصلية وإثبات (تعافوا) للعدل و (الايمان) تخييل – وفى (نيرانا) استعارة تصريحية أصلية شبهت السيوف القاطعة بالنيران بجامع الضرر فى كل ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الاصلية

وتسلط قوله «تعافوا» على كل من العدل والأيمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف

أو من كان ميتا فأحييناه – أى ضالا فهديناه ، فيها استعارتان تصريحيتان تبعيتان . الاولى عنادية . والثانية وفاقية .

ففى الأولى – شبه الموت بالضلال بجامع عدم النفع فى كل . واستعير لفظ المشبه به للمشبه واشتق منه (ميتا) بمعنى ضالا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية العنادية . لانه لا يمكن اجتماع الموت والضلال فى شيء

وفى الثانية – شبه الهدى بالاحياء بجامع النفع فى كل واستعير الاحياء للهدى . واشتق منه (أحيا) بمعنى هدى . على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية الوفاقية لأنه يمكن اجتماع الهدى والحياة فى شيء

ينقضون عهد الله — شبه ابطال العهد بفك طاقات الحبل بجامع عدم النفع فى كل . واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو النقض للمشبه وهو الابطال . واشتق منه ينقضون بمعنى يبطلون على طريق الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة لانها لم تقترن بشيء

لدى أسد شاكى السلاح مقذف   له لبد أظفاره لم تقلّم

شبه الرجل الشجاع بالاسد . واستعار الاسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية المطلقة . لاقترانها بما يلائم المشبه . وبما يلائم المشبه به فان شاكى السلاح يناسب المشبه — وما بعده يناسب المشبه به والقرينة حالية (أى انها تفهم من حالة المتكلم)

فوق خدّ الورد دمع   من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى   بعد ما أن سال يجفف

شبه الورد بانسان جميل بجامع الحسن فى كل . وحذف المشبه به (انسان) ورمز اليه بشئ من لوازمه (خد) على طريق الاستعارة المكنية الاصلية المرشحة والقرينة هى اضافة خد للورد ـ وشبه السحاب بانسان بجامع النفع فى كل ، استعارة مكنية أصلية مرشحة ـ والقرينة اثبات العيون للسحب . وشبهت الشمس بامرأة حسناء بجامع الجمال فى كل . استعارة مكنية أصلية مجردة . والقرينة هى اثبات رداء للشمس ويقال للقرينة فى الجميع (استعارة تخييلية)

أثمرت أغصان راحته   لجناة الحسن عنّابا

شبهت الراحة بشجرة ، بجامع الانتفاع من كل . استعارة مكنية أصلية مرشحة والقرينة هى اثبات جناة للحسن . وهى (استعارة تخييلية)

إذا نزل السماء بأرض قوم   رعيناه وان كانوا غضابا

(السماء) بمعنى المطر . مجاز مرسل . علاقته السببية . أو المحلية ـ والقرينة هى (نزل)

بلاغة الاستعارة بجميع انواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين ، الأولى طريقة تأليف ألفاظه والثانية ابتكار مشبه به بعيدٍ عن الاذهان . لا يجول إلا فى نفس أديب وهب الله له استعداداً سليما فى تعرّف وجوه الشَّبَهِ الدقيقة بين الاشياء ، وأودَعه قُدْرَةً على ربط المعانى وتوليد بعضها من بعض إلى مَدًى بعيدٍ لا يكاد ينتهى

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين ، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنَّ تركيبَها يدل على تناسى التشبيه ، ويَحْمِلُكَ عمْداً على تَخَيُّلِ صورة جديدة تُنْسيك رَوْعَتُهَا ما تَضَمَّنَهُ الكلام من تشبيهٍ خفيٍّ مستور .

أنظر إلى قول البُحتُرى فى الفتح بن خاقان .

يَسْمُو بِكَفٍّ عَلَى الْعَافِينَ حَانِيَةٍ   تَهمِى وَطَرْفٍ إِلَى الْعَلْيَاءِ طَمَّاحِ

ألست ترى كفه وقد تمثلت فى صورة سحابة هَتَّانة تَصُبُّ وَبْلَهَا على العافين والسائلين ، وأنَّ هذه الصورة قد تَمَلَّكَتْ عليك مشاعرك فأذهلتك عما اختبأ فى الكلام من تشبيه ؟

وإذا سمعتَ قوله فى رثاء المتوكل وقد قُتلَ غيلة

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ اللَّيَالِى حُشَاشَةً   يَجُودُ بِهَا وَالْمَوْتُ حُمْرٌ أَظَافِرُهُ(١)

فهل تستطيع أن تُبْعِد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت ، وهى صورة حيوان مفترس ضُرِّجَتْ أظفاره بدماء قتلاه ؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغَ من التشبيه البليغ ، لأنه وإن بُنى على ادعاء أن المشبهَ والمشبهَ به سواء لا يزال فيه التشبيه مَنْوِيًّا ملحوظا

بخلاف الاستعارة فالتشبيه فيها منسى مجحود ، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من المطلقة ، وأن المطلقة أبلغ من المجردة

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار ، وروعة الخيال ، وما تحدثه من أثر فى نفوس سامعيها ، فمجال فسيح للابداع ، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام

أنظر إلى قوله عز شأنه فى وصف النار

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

ترتسم أمامك النار فى صورة مخلوق ضخم ، بطّاش مكفهر الوجه ، عابس يغلى صدره حقداً وغيظاً ـ عن البلاغة الواضحة

---

(١) الصريع المطروح على الأرض ، وتقاضاه أصله تتقاضاه حذفت إحدى التاءين ، وهو من قولهم تقاضى الدائن دينه إذا قبضه ، والحشاشة بقية الروح فى المريض والجريح ـ يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته

الباب الثالث في الكنايه

الكناية [١] لغة ما يتكلّم به الإنسان ويُريد به غيرَه وهى مصدر كنيتُ، أو كنوتُ بكذا عن كذا ـ اذا تركت التّصريح به

(١) توضيح المقام أنه إذا أطلق اللفظ وكان المراد منه غير معناه ـ فلا يخلو إما أن يكون معناه الاصلى مقصوداً أيضاً ليكون وسيلة الى المراد وإما ألاّ يكون مقصوداً — فالأول — الكناية — والثانى — المجاز

فالكناية عند علماء البيان ـ لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه مع جواز ارادة ذلك المعنى معه « كلفظ طويل النجاد » المراد به طول القامة فانه يجوز أن يراد منه طول النجاد أى علاقة السيف أيضاً ، فهى تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقى مع ارادة لازمه ، بخلاف المجاز فانه لا يجوز فيه ارادة المعنى الحقيقى لوجود القرينة المانعة من ارادته ، ومثل ذلك قولهم « كثير الرماد » يعنون به أنه كثير القرى والكرم ، وقول الحضرمى

قد كان تعجب بعضهن براعتى حتى رأين تنحنحى وسعالى

كنى عن كبر السن بتوابعه وهى التنحنح والسعال ـ وقولهم : المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ـ وقوله

ان المروءة والسماحة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وقوله وما يك فىّ من عيب فانى جبان الكلب مهزول الفصيل

فان «جبان الكلب» كناية ـ وكذا « مهزول الفصيل» والمراد منهما ثبوت الكرم وكل واحدة على حدتها تؤدى هذا المعنى . وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله بيض المطابخ لاتشكو إماؤهموا طبخ القدور ولا غسل المناديل

ويروى أن خلافا وقع بين بعض الخلفاء ونديم له فى مسألة ـ فاتفقا على تحكيم بعض أهل العلم . فاحضر فوجد الخليفة مخطئاً . فقال : القائلون بقول أمير المؤمنين

واصطلاحاً ـ لفظ أُطلق وأُريد به لازمُ معناه مع قرينةٍ لا تَمنعُ من إرادة المعنى الأصلى نحو «زيد طويل النِّجاد» تُريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم ، فعدلتَ عن التصريح بهذه الصفة الى الاشارة إليها والكناية عنها لانه يلزم من طول حِمالة السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة ، فإذاً المراد طول قامته وان لم يكن له نِجاد ، ومع ذلك يصح أن يُراد المعنى الحقيقى ـ ومن هنا يُعلَم أنّ الفرقَ بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلى فى الكناية ، دون المجاز فأنه ينافى ذلك

نعم قد تمتنع إرادة المعنى الأصلى فى الكناية لخصوص الموضوع كقوله تعالى (والسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) وكقوله تعالى (الرَّحْمٰنُ على الْعَرْشِ اسْتَوٰى) كناية عن تمام القدرة وقوة التمكن والاستيلاء

وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب بها إلى ثلاثة أقسام ـ فأن المطلوب بها قد يكون صفة من الصفات ، وقد يكون موصوفا ، وقد يكون نسبة

الأول الكناية التى يُطلب بها صفة من الصّفات نوعان

١ كناية قريبة — وهى ما يكون الانتقال فيها الى المطلوب بغير واسطة

أ كثر (يريد الجهال) واذا كان الرجل أحمق قيل ـ نعته لا ينصرف ، ونظر البديع الهمذانى إلى رجل طويل بارد ـ فقال : قد أقبل ليل الشتاء . ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد ـ فقال ما تجد فديتك ـ قال أجدك (يعنى البرد) واذا كان الرجل ملولا قيل : هو من بقية قوم موسى ، واذا كان مُلحداً قيل قد عبرَ (يريدون جسر الايمان) وإن كان يسئ الأدب فى المؤاكلة قيل : تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران . ويقال عمّن يكثر الاسفار : فلان لا يضع العصا

بين المعنى المُنتقل عنه ، والمعنى المُنتقل اليه — نحو

رفيعُ العِماد طويل النِّجا ... دِ ساد عشيرته أَمردَا

٢ وكناية بعيدة — وهى ما يكون الانتقال فيها الى المطلوب بواسطة أو بوسائط نحو « فلان كثير الرَّماد » كناية عن المضياف ، والوسائط هى الانتقال من كثرة الرماد الى كثرة الأحراق ، ومنها الى كثرة الطبخ والخبز . ومنها الى كثرة الضيوف . ومنها الى المطلوب وهو المضياف الكريم

الثانى الكناية التى يراد بها نِسبة أمر لآخر إثباتاً أو نفياً ، فيكون المكنِيُّ عنه نسبةً — نحو

إن السماحَةَ والمُرُوءة والنّدى ... فى قُبَّةٍ ضربت على ابن الحَشْرَجِ

عن عاتقه — وجاء فى القرآن (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) فانه كنى عن الغيبة بأكل الانسان لحم الانسان . وهذا شديد المناسبة لان الغيبة إنما هى ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم — وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه ومن أمثال العرب قولهم لبستُ لفلان جلد النمر ، وجلد الأرقم — كناية عن العداوة وكذلك قولهم : قلبت له ظَهر المِجَنّ . كناية عن تغيير المودة . ويقول القوم — فلان برئ الساحة ، إذا برَّؤوه من تهمة — ورحب الذراع ، إذا كان كثير المعروف — وطويل الباع فى الامر ، اذا كان مقتدراً فيه — وقويّ الظهر ، اذا كثر ناصروه . ومن ذلك أن المنصور كان فى بستان له أيام محاربته ابراهيم بن عبد الله بن الحسن فنظر الى شجرة خلاف فقال للربيع : ماهذه الشجرة ؟ فقال طاعة يا أمير المؤمنين . فتفاءل المنصور به ، وعجب من ذكائه . ومثل ذلك : أن رجلا مر فى صحن دار الرشيد ومعه حزمة خيزران ، فقال الرشيد للفضل بن الربيع ماذاك ؟ فقال عروق الرماح يا أمير المؤمنين ، وكره أن يقول « الخيزران » لموافقته اسم والدة الرشيد . ومن كلامهم « فلان طويل الذيل » يريدون أنه غنى حسن الحال . وعليه قول الحريرى

فانّ جعل هـذه الأشياء الثلاثة فى مكانه المختص به يستلزم اثباتها له

واعلم ان الـكناية المطلوب بها نسبة

إمّا أن يكون ذو النسبة مذكورا فيها ـ كقول الشاعر

أليُمن يتبـع ظِلّه والمجد يمشِى فى ركابه

وإمّا أن يكون غير مذكور كقولك « خير الناس من ينفع الناس » كناية عن نفى الخيرية عمّن لا ينفعهم

الثالث — الـكناية التى لا يُراد بها صـفة ولا نِسبة ، بل يكون المكنى عنه موصوفاً

إمّامعنىواحدا « كموطن الاسرار » كناية عن القلب، كما فىقول الشاعر

فلمّا شربناها ودبّ دبيبها الى موطن الاسرار قلت لها قفى

وإمّا مجموع معان كقولك « جاءنى حىٌّ مُستوى القامة عريض الأظفار» (كناية عن الانسان) لاختصاص بمجموع هذه الأوصاف الثلاثة به ، ونحو

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ماله قوت

وكذلك قولهم : فلان طاهر الثوب ـ أى منزه عن السيئات . وفلان دنس الثوب أى متلوث بها . قال امرؤ القيس

ثياب بنى عوف طهارة نقية وأوجههم عند المشاهد غُرّات

ويقولون : فلان غمر الرداء ـ اذا كان كثير المعروف عظيم المطايا . قال كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

ومن الـكنايات اللطيفة ما ذكرها الأدباء فى الشيب والكبر فيقولون : عرضت لفلان فترة ، وعرض له ما يمحو ذنوبه . وأقمر ليله، ونوّر غصن شبابه . وفضض الزمان أبنوسه ـ وجاءه النذير . وقرع ناجذ الحلم . وارتاض بلجام الدهر . وأدرك زمان

الضاربين بكلّ أبيض مِخْذَم والطّاعنين مجامع الأَضغان (١)

ويشترط في هذه الكناية أن تكون الصفّة أو الصفات مختصّةً بالموصوف ، ولا تتعدّاه ليحصُل الانتقال منها اليه

وتنقسم أيضا باعتبار الوسائط (اللّوازم) والسِّياق الى أربعة أقسام تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء

(١) فالتّعريض لغة — خلاف التصريح

واصطلاحا — هو أن يُطلق الكلام ويُشار به الى معنى آخر يفهم من السِّياق

نحو قولك للمؤذى (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسلِمُونَ مِنْ لِسَانه وَيَدِه) تعريضاً بنفى صفة الاسلام عن المؤذى ، وكقوله

إذا الجُودُ لم يُرزَق خلاصا من الأذى — فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

الحنكة . ورفض غرة الصبا . ولبّى دواعى الحِجى ومن كناياتهم عن الموت : استأثر الله به . وأسعده بجواره . ونقله الى دار رضوانه ومحل غفرانه ، واختار له النقلة من دار البوار الى دار الأبرار . ومن الكنايات أيضاً أن يقام وصف الشيء مقام اسمه كما ورد فى القرآن (وحملناه على ذات ألواح ودُسر) يعنى السفينة فوضع صفتها موضع تسميتها كما ورد (إذ عُرض عليه بالعشىّ الصافنات الجياد) يعنى الخيل . وقال بعض المتقدمين

سألت قتيبة عن أبيها صحبة في الروح هل ركب الاغر الاشقرا

يعنى هل قتل ، لأن الاغر الاشقر وصف الدم فأقامه مقام اسمه

(١) الضاربين منصوب بأمدح المحذوف ، والابيض السيف ، والمخذم بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين القاطع ، والاضغان جمع ضغن وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد — كنى الشاعر بمجامع الاضغان عن القلوب ، وهى لا صفة . ولا نسبة بل هى موصوف

(٢) والتّلويح لغة — أن تُشيرَ إلى غيركَ من بُعدٍ

واصطلاحاً — هو الذى كثرتْ وسائطه بلا تعريض، نحو

وما يَكُ فىَّ مَن عيب فإنّى جَبانُ الكلب مهزولُ الفْصيلِ

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل فان الفكر ينتقل الى جملة وسائط

(٣) والرَّمز لغة ـ أن تُشير الى قريب منك خفيةً بنحو شفَة أو حاجِب

واصطلاحاً هو الذى قلّت وسائطه مع خفاء فى اللزوم بلا تعريض نحو فلان عريض القفا، أو عريض الوِسادة — كناية عن بلادته و بلاهته ونحو: هو مكتنز اللّحم، كناية عن شجاعته، ومُتناسب الأعضاء، كناية عن ذكائه، ونحو: غليظ الكبد، كناية عن القسوة ـ وهلم جرّا

والإيماء أو الإشارة هو الذى قلّت وسائطه مع وضوح اللّزوم بلا تعريض، كقول الشاعر

أَوَمَا رأيت المجد ألقى رحله فى آلِ طلحةَ ثم لم يتحوَّل

كناية عن كونهم أمجاداً أجواداً بغاية الوضوح

ومن لطيف ذلك قول بعضهم

سَأَلْتُ النّدَى والجُودَ مالى أَراكما تَبَدَّلْتُما ذلاًّ بعزٍّ مُؤبَّدِ
وما بالُ رُكن المجْدِ أَمسَى مُهدَّماً فقالا أُصبنا بابن يحيي محمدِ
فقلتُ فهلاَّ مُتُّما عنــد موْتهِ فقدْ كنتُما عبْدَيْهِ فى كلِّ مَشْهَدِ
فقالا أقمنا كى نُعزَّى بفقـده مَسافة يومٍ ثم نتلوه فى غَد

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها ، وهى أبلغ من الحقيقة والتصريح لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم الى اللازم فهو كالدعوى ببينة ، فكأنك تقول فى « زيد كثير الرماد » زيد كريم لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ - كيف لا وأنها تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الأفصاح بذكرها ، إما احتراما للمخاطب ، أو للابهام على السامعين ، أو للنيل من خصمه دون أن يدع له سبيلا عليه ، أو لتنزيه الأذن عما تنبو عن سماعه ، ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية

تمرين (١)

بين أنواع الكنايات الآتية . وعين لازم معنى كل منها

(١) قال البحترى يصف قتله ذئباً :

فَأَتْبَعْتُها أُخْرَى فأضلَلْتُ نَصْلَهَا ... بِحَيْثُ أَنْ يَكُون اللُّبُّ والرُّعْبُ والحِقْدُ(١)

(٢) وقال آخر فى رثاء من مات بعلة فى صدره .

وَدَبَّتْ لَهُ فِي مَوْطِنِ الحِلْمِ عِلَّةٌ ... لَهَا كالصِّلالِ الرُّقْشِ شَرُّ دَبِيبِ(٢)

(٣) ووصف أعرابى امرأة فقال : تُرْخِى ذيلها على عُرْقُوبَىْ نعامة .

---

(١) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة ، وأضللت أخفيت ، والنصل حديدة السيف واللب العقل ، والرعب الفزع والخوف - واعلم أن الكناية إما حسنة وهى ماجمعت بين الفائدة ولطف الاشارة كما فى الامثلة السابقة - وإما قبيحة وهى ما خلت عن الفائدة المرادة وهى معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبى

إنى على شغفى بما فى خُمرها ... لأعفُّ عمَّا فى سَراويلاتها

كناية عن النزاهة والعفة . الا أنها قبيحة لسوء تأليفها وقبح تركيبها

(٢) الصلال جمع صِلّ بالكسر ضرب من الحيات صغير أسود لانجاة من لدغته ، والرقش

إنّ فى ثوبك الذى المجدُ فيه   لِضياءً يُزْرِى بكلّ ضياءِ

تمرين (٢)

بيّن نوع الـكنايات الآتية ، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ وما لا يصح :

(١) وصف أعرابى رجلاً بسوء العِشرة فقال كان إذا رآنى قَرَّبَ من حاجبٍ حاجبا

(٢) وقال أبو نواس فى المديح :

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلا حَلَّ دُونَهُ   وَلَـكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِير

(٣) وَتَـكْـنِى العربُ عمّن يجاهر غيرَه بالعداوة بقولهم :

لَبِسَ له جِلْدَ النَّمِرِ ، وجِلْدَ الأَرْقَمْ (١) ، وقَلَبَ له ظَهْرَ المِجَنّ (٢)

(٤) فلان عريض الوِساد(٣) أغمُّ القَفَا (٤)

(٥) وقال الشاعر :

تَجُولُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ وَلا أَرَى   لِرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجُولُ وَلا قُلْبَا (٥)

(٦) وتقول العرب فى المديح : الـكرم فى أثناء حُلّته ؛ ويقولون : فلان نفخ شِدْقَيْه - أى تـكبر ، ووَرِم أنفه - إذا غضب .

(٧) قالت أعرابية لبعض الوُلاة : أشكو إليك قِلّةَ الجِرْذَانِ (٦)

---

(١) الأرقم الحية فيها سواد و بياض (٢) المجنّ الترس ، وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة و رعاية ثم حال عن العهد

جمع رقشاء وهى التى فيها نقط سوداء فى بياض ، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء

(٣) عريض الوساد أى طويل العنق إلى درجة الافراط ، وهذا مما يُستدل به على البلاهة وقلة العقل (٤) الغمم غزارة الشعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا - وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة (٥) رَملة اسم امرأة ، والقُلْب بالضم السوار

(٦) الجرذان جمع جُرذ وهو ضرب من الفأر

(٨) وقال الشاعر:

بِيضُ الْمَطَابِخِ لاَ تَشْكُو إِمَاؤهُمُ   طَبْخَ الْقُدُورِ وَلاَ غَسْلَ الْمَنَادِيلِ

(٩) وقال آخر:

مَطْبَخُ دَاوُدَ فِي نَظَافَتِهِ   أَشْبَهُ شَيْءٍ بِعَرْشِ بِلْقِيسِ (١)

ثِيَابُ طَبَّاخِهِ إِذَا اتَّسَخَتْ   أَنْقَى بَيَاضاً مِنَ الْقَرَاطِيسِ

(١٠) وقال آخر:

فَتًى مُخْتَصَرُ الْمَأْكُو   لِ وَالْمَشْرُوبِ وَالعِطْرِ

نَقِيُّ الْكَأْسِ وَالقَصْعَةِ   وَالْمِنْدِيلِ وَالقِدْرِ

(١١) وقال آخر: اليُمْنُ يتبع ظِلَّهُ   والمجدُ يمشي في رِكَابِهِ

(١٢) وقال آخر: أصبح في قيدك السماحة والمجدُ وفضلُ الصلاح والحسب

فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا   وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا (٢)

المجدُ بَينَ ثَوبَيك. والكرم ملء بُردَيك

بلاغة الكناية

الكناية مَظْهَر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يَصِل إليها إلا من لَطُف طبعهُ وصَفَت قريحته، والسرُّ في بلاغتها أنها في صور كثيرة تُعْطيك الحقيقة مصحوبةً بدليلها، والقضيةَ وفي طيِّها بُرْهَانها، كقول البحتري في المديح

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا   لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ فِي الصُّدُورِ مُحَبَّبِ

فإنه كَنى عن إكبار الناس للممدوح وهَيْبَتِهم إيَّاه بِغَضِّ الأبصار الذي هو

---

(١) بلقيس بكسر الباء ملكة سبأ، وسبأ عاصمة قديمة لبلاد اليمن (٢) الأعقاب جمع عَقِب وهو مؤخر القدم، والكلوم الجراح، يقول: نحن لا نولّي فنجرحَ في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا، ولكننا نستقبل السيوف بوجوهنا فإن جُرحنا قطرت الدماء على أقدامنا

فى الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال ؛ وتظهر هذه الخاصة جلية فى الكنايات عن الصفة والنسبة

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تضع لك المعانى فى صورة المحسّات، ولا شك أنّ هذه خاصة الفنون ، فإنّ المصوِّر إذا رسَمَ لك صورة للأمل أو لليأس بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً

فمثل « كثير الرماد » فى الكناية عن الكرم « ورسول الشر » فى الكناية عن المِزاح — وقول البحترى

أوَ مَا رَأَيْتَ المجدَ ألقَى رَحْلَهُ ... فِى آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

فى الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة ، كلُّ أولئك يُبرز لك المعانى فى صورة تشاهدها وترتاح نفسك إليها .

ومن خواص الكناية أنها تمكِّنك من أن تَشْفِيَ غُلّتك من خصمك من غير أن تجعل له اليك سبيلاً، ودون أن تخدِش وجه الأدب ، وهذا النوع يسمى بالتعريض ، ومثاله قول المتنبى فى قصيدة يمدح بها كافورا و يعرِّض بسيف الدولة .

رَحَلْتُ فَكَمْ باكٍ بأجفانِ شادِنٍ ... عَلَيَّ وَكَمْ باكٍ بأجفانِ ضَيْغَمِ (١)

وَمَا رَبَّةُ القُرْطِ المَلِيحِ مَكَانُهُ ... بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الحُسامِ المُصَمِّمِ (٢)

فَلَوْ كانَ مابى مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ ... عَذَرْتُ وَلَكِنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ

رَمَى واتَّقَى رَمْيِي ومِنْ دُونِ ما اتَّقَى ... هَوًى كاسرٌ كَفِّي وقَوْسِي وأسْهُمِي

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ ... وصَدَّقَ ما يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

---

(١) الشادن ولد الغزال ، والضيغم الأسد ، أراد بالباكى بأجفان الشادن المرأة الحسناء ، وبالباكى بأجفان الضيغم الرجل الشجاع . يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقى وجزعوا لارتحالى (٢) القُرط ما يعلق فى شحمة الأذن ، والحسام السيف القاطع ، والمصمم الذى يصيب المفاصل ويقطعها ، يقول لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقى من الرجل الشجاع

فإنه كَنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المُعَمَّم ، ثم وصفه بالغدر الذى يَدَّعى أنه من شيمةِ النساء ، ثم لامَهُ على منادهته بالعُدوان ، ثم رماه بالجبن لأنه يَرْمى و يتقى الرمى بالاستتار خلف غيره ، على أنّ المتنبى لا يجازيه على الشر بمثله ، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً يكسِر كفَّه وقوسَهَ وأسْهُمَهَ اذا حاول النضال ، ثم وصفه بأنه سيئ الظن بأصدقائه ، لأنه سيئ الفعل كثير الأوهام والظنون ، حتى ليظنَّ أن الناس جميعاً مثله فى سوء الفعل وضعفِ الوفاء . فانظر كيف نال المتنبى من سيف الدولة هذا النَّيْل كله من غير أن يذكر من اسمه حرفاً .

هذا ، ومن أوضح ميزات الكناية التعبيرُ عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعَه وأمثلة ذلك كثيرة جداً فى القرآن الكريم وكلام العرب ، فقد كانوا لا يُعبِّرون عمّا لا يحسن ذكره الاّ بالكناية ، وكانوا لشدّة نَخْوتهم يَكْنونَ عن المرأة بالبَيْضة والشاة ـ ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب :

أَلاَ يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ... عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلاَمُ (١)

فانه كنى بالنخلة عن المرأة التى يحبها ـ عن البلاغة الواضحة

أثر علم البيان في تأدية المعانى

ظهر لك من دراسة علم البيان أنّ مَعْنًى واحداً يستطاع أداؤه بأساليب عدَّةٍ وطرائقَ مختلفة ، وأنّه قد يُوضع فى صورة رائعة من صور التشبيه ـ أو الاستعارة أو المجاز المرسل ، أو العقلى ، أو الكناية

فقد يصف الشاعر انساناً بالكرم فيقول :

يُرِيد المُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ ... وَلاَ يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ

ولَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى ... وَلَـكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وهذا كلام بليغ جداً مع أنه لم يُقْصَد فيه إلى تشبيه أو مجاز ، وقد وصف

(١) ذات عرق موضع بالبادية وهو مكان احرام أهل العراق

الشاعر فيه ممدوحه بالكرم ، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل ، مع أنه ليس بأغنى منهم ، ولا بأكثر مالا

وقد يعمد الشاعر عند الوصف بالكريم الى أسلوب آخر فيقول :

كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِراً جُوداً وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا

فيشبِّه الممدوحَ بالبحر ، ويَدفعُ بخيالك الى أن يضاهى بين الممدوح والبحر الذى يقذف الدرر للقريب ، ويرسل السحائب للبعيد .

أو يقول :

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ المَعْرُوفُ وَالجُودُ سَاحِلُهْ

فيدّعى أنه البحر نفسه ، و ينكر التشبيه نكرانا يدل على المبالغة وادعاء المماثلة الكاملة

أو يقول .

عَلاَ فَمَا يَسْتَقِرُّ المَالُ فِي يَدِهِ وَكَيْفَ تُمْسِكُ مَاءَ قُنَّةُ الجَبَلِ ؟

فيرسل إليك التشبيه من طريق خفىّ ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى فى البلاغة وليجعل لك من التشبيه الضمنىّ دليلاً على دعواه ، فانه ادّعى أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه ، وأقام على ذلك برهاناً فقال « وكيف تمسك ماء قنة الجبل »

أو يقول :

جَرَى النَّهْرُ حَتَّى خِلْتُهُ مِنْكَ أَنْعُماً تُسَاقُ بِلاَ ضَنٍّ وَتُعْطَى بِلاَ مَنٍّ (١)

فيقلب التشبيه زيادة فى المبالغة وافتناناً فى أساليب الإجادة . ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح ــ بعد أن كان المألوف أن تشبه النعم بالنهر الفياض .

أو يقول :

كَأَنَّهُ حِينَ يُعْطِي الْمَالَ مُبْتَسِماً صَوْبُ الغَمَامَةِ تَهمِي وَهْيَ تَأْتَلِقُ (٢)

فيعمد إلى التشبيه المركب ، ويعطيك صورة رائعة تمثل لك حالة الممدوح

---

(١) الضن البخل ، والمن الامتنان بتعداد الصنائع

(٢) تهمى تسيل ، وتأتلق تلمع

وهو يجود ـ وابتسامة السرور تعلو شفتيه .

أو يقول :

جَادَتْ يدُ الفَتْحِ والأَنْوَاءُ بَاخِلَةٌ   وذَابَ نَائِلُهُ وَالْغَيْثُ قَدْ جَمَدَا

فيضاهى بين جود الممدوح والمطر ، ويدّعى أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت الأنواء ، أو جمد القطر .

أو يقول :

قَدْ قلْتُ لِلغَيْمِ الرُّكَامِ وَلَجَّ فِى   إبراقِهِ وأَلَحَّ فِى إرعادِهِ (١)

لاَ تَعْرِضَنَّ لِجعْفَرٍ مُتَشبِّهًا   بِنَدَى يديْهِ فَلَستَ مِنْ أَنْدَادِهِ

فيصرح لك فى جلاء وفى غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم ولا يكتفى بهذا بل تراه ينهى السحاب فى صورة تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه لأنه ليس من أمثاله ونظرائه .

أو يقول :

وأقْبَلَ يمْشِى فِى الْبِساط فَمَا دَرَى   الى الْبَحْرِ يَسْعَى أم الى الْبَدْرِ يرْتَقِى

يصف حال رسول الروم داخلا على سيف الدولة فينزع فى وصف الممدوح بالكرم إلى الاستعارة التصريحية ، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسى التشبيه والمبالغة فيها أعظم ، وأثرها فى النفوس أبلغ .

أو يقول :

دَعوتُ نَدَاهُ دَعوةً فأَجابَنِى   وعَلمنِى احسَانُهُ كَيْفَ آمُلهْ

فيشبه ندى ممدوحه واحسانه بانسان ، ثم يحذف المشبه به ويرمز اليه بشىء من لوازمه ـ وهذا ضربٌ آخر من ضروب المبالغة التى تُساق الاستعارة لأجلها :

أو يقول : ومَنْ قَصَدَ الْبحرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا

فيرسل العبارة كأنها مثل ، ويصوّر لك أن من قصد ممدوحه استغنى عمّن هو

---

(١) الغيم الركام المتراكم ؛ ولج وألح كلاهما بمعنى استمر

دونه ، كما أن قاصد البحر لا يأبه للجداول ، فيعطيك استعارة تمثيلية ، لها روعة وفيها جمال، وهى فوق ذلك تحمل برهانا على صدق دعواه ، وتؤيد الحال الذى يدّعيها

أو يقول :

مَازِلْتَ تتبعُ مَا تُولِى يَداً بِيَدٍ حَتّى ظَنَنْتُ حَيَاتِى مِنْ أيادِيكا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل ، ويطلق كلمة « يد » ويريد بها النعمة ، لأن اليد آلة النعم وسببها .

أو يقول :

أَعادَ يَوْمُكَ أيامِى لِنَضرتِهَا واقْتَصَّ جودُكَ مِنْ فَقْرِى وإعسارى

فيسند الفعل الى اليوم – والى الجود على طريقة المجاز العقلى .

أو يقول :

فَمَا جازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ ولَكِنْ يَسير الجود حيث يسير

فيأتى بكناية عن نسبة الكرم اليه ، بادّعاء أن الجود يسير معه دائماً ، لانه بدل أن يحكم بأنه كريم ادّعى أن الكرم يسير معه أينما سار ، ولهذه الكناية من البلاغة والتأثير فى النفس وحسن تصوير المعنى فوق مايجده السامع فى غيرها من بعض ضروب الكلام

فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف انسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً — كلٌّ له جماله وحسنه وبراعته ، ولو نشاء لأتينا بأساليب كثيرة أخرى فى هذا المعنى ، فان للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعانى لا يكاد ينتهى الى حد ، ولو أردنا لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المناحى فى صفات أخرى كالشجاعة والاباء والحزم وغيرها ، ولكننا لم نقصد الى الاطالة ، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعرَ العربىَّ والآثار الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهراً وستدهش للمدى البعيد الذى وصل اليه العقل الانسانى فى التصوير البلاغىّ والابداع فى صوغ الأساليب – عن البلاغة الواضحة

تم بحمد الله علم البيان * ويليه علم البديع بعونه تعالى

علم البديع

البديع لغـة المُختَرع المُوجَد عـلى غير مثال سابق ، وهو مأخوذ من قولهم بدع الشئَ ، وأبدعه اخترعَه لاعلى مثال [١]

واصطلاحاً هو عـلم يُعْرف به الوجوه [٢] والمزايا التي تزيد الـكلام حسناً وطلاوة وتـكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد

وواضعه عبد الله بن المُعتَز المُتوفَّى سنة ٢٧٤ هجرية ـ ثم اقتفى أثره

(١) البديع فعيل بمعنى مُفعَل أو بمعنى مفعول ـ و يأتى البديع بمعنى اسم الفاعل فى قوله تعالى « بديع السموات والارض » أى مبدعها

(٢) وجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه . وتحسين الـكلام بعلمى المعانى والبيان « ذاتى » و بعلم البديع « عرضى »

ووجوه التحسين إما معنوية و إما لفظية .

فالبديع المعنوى هو الذى وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ فيبقى مع تغيير الالفاظ كقوله : أتطلب صاحباً لا عيب فيه وأنت لـكل من تهوى رَكوب

ففى هذا القول ضربان من البديع (هما الاستفهام والمقابلة) لا يتغيران بتبدل الألفاظ كما لو قلت مثلا : كيف تطلب صديقاً منزها عن كل نقص ، مع أنك أنت نفسك ساع و راء شهواتك ؟

والبديع اللفظى ـ هو ما رجعت وجوه تحسينه الى اللفظ دون المعنى فلا يبقى الشـكل اذا تغير اللفظ ـ كقوله

قُدامة بن جعفر الـكاتب ، ثم ألّف فيه كثيرون كأَبى هلال العسكرى. وابن رشيق القيروانى ، وصفى الدين الحِلِى ، وابن حِجة الحَموِى ــ وغيرهم. وفى هذا العلم ، بابان وخاتمة

الباب الاول فى المحسنات المعنوية

(١) ﴿التوريه[1]﴾

التّورية لغة ــ مصدر ورّيت الخبر تورية إذا سترته ، وأظهرت غيره واصطلاحاً ــ هى أن يذكر المتـكلم لفظا مفردا له معنيان ، أحدهما قريب

إذا ملك لم يكن ذاهِبه　　فدعه فدولته ذاهبه

فانك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها فيسقط الشكل البديعى بسقوطها

وملخص القول أن المحسنات المعنوية هى ما كان التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولا و بالذات ، وان حسنت اللفظ تبعاً ــ والمحسنات اللفظية هى ما كان التحسين بها راجعاً إلى اللفظ بالاصالة ، وان حسّنت المعنى تبعاً

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات خصوصاً اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسن إلا اذا طلبها المعنى فجاءت عفواً بدون تـكلّف والاّ فمبتذلة .

(١) التورية أن يطلق لفظ له معنيان . أحدهما قريب . والآخر بعيد فيراد البعيد منهما ، ويورّى عنه بالقريب

وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام ــ مجردة . ومرشحة . ومبينة . ومهيأة

١ فالمجردة ــ هى التى لم تقترن بما يلائم المعنيين كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته : فقال « هـذه أختى » ــ أراد أخوة الدّين . وكقوله (وهو الذى يتوفاّ كم بالليل و يعلم ما جرحتم بالنهار)

ظاهر غير مُراد ، والآخر بعيد خفيٌّ هو المراد بقرينة ، ولكنه ورّى عنه بالمعنى القريب ، فيتوهّم السامع لأَول وهلة أنه مُراد وليس كذلك كقوله تعالى (وَهوَ الذِي يَتَوَفَّا كُمْ بِالليلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحتمْ بِالنَّهَارِ) أراد بقوله جرحتم معناه البعيد وهو ارتكاب الذنوب ، ولأجل هذا سُمِّيت التَّوْرية « إيهاماً وتخييلا » وكقول سراج الدين الورّاق

---

٢ والمرشحة ـ هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب وسُمِّيت بذلك لتقويتها به لان القريب غير مراد فكأنه ضعيف فاذا ذكر لازمه تقوّى به نحو (والسماء بنيناها بأيد) فانه يحتمل الجارحة وهو القريب ، وقد ذكر من لوازمه البنيان على جهة الترشيح ويحتمل القدرة وهو البعيد المقصود ، وهي قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها

٣ والمبينة ـ هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد ـ سميت بذلك لتبيين المورّى عنه بذكر لازمه ، اذ كان قبل ذلك خفياً فلما ذكر لازمه تبيّن : نحو

يا من رآني بالهموم مطوقا　　وظللت من فقدى غصونا في شجون
أتلومني في عظم نوحي والبكا　　شأن المطوق أن ينوح على غصون

وهي أيضا قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد

٤ والمهيأة ـ هي التي لا تقع التورية فيها الا بلفظ قبلها أو بعدها ، فهي قسمان أيضا فالأول ـ وهو ما تتهيأ بلفظ قبل ، نحو قوله

وأظهرت فينا من سماتك سنّة　　فأظهرت ذاك الفرض من ذلك النّدب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان والبعيد . الفرض معناه العطاء والندب الرجل السريع في قضاء الحوائج ، ولولا ذكر السُّنة لما تهيأت التورية ولا فُهم الحكمان .

والثاني ـ وهو ما تتهيأ بلفظ بعد: كقول الامام على رضى الله تعالى عنه في الاشعث ابن قيس أنه كان يحرك الشمال باليمين ، فالشمال معناها القريب ضد اليمين ، والبعيد جمع

أَصونُ أديمَ وجهى عن أُناسٍ لقاءُ الموتِ عندهُم الأَديبُ
ورَبُّ الشعر عندهُمُ بغيض ولو وافى به لهُمُ «حبيبُ»
وكقوله — أبيات شعرك كالقصـــور ولا قصور بها يعوقْ
ومن العجائب لفظها حُرٌّ ومعناها «رقيقْ»

(٢) الاستخدام

هو ذكر لفظ مُشترَك بين معنيين يُراد به أحدهما. ثم يُعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر، أو يُعاد عليه ضميران يُراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما

فالأول — كقوله تعالى (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) أُرِيدَ بالشّهر الهلال، وبضميره الزّمان المعلوم، وكقول معاوية بن مالك

اذا نزل السماء بأرض قوم رَعيناه وان كانوا غِضابا

أراد بالسماء المطر، وبضميره فى «رعيناه» النبات[1] وكلاهما معنى مجازى للسماء

شملة، ولولا ذكر اليمين بعده لما فهم منه السامع معنى اليد الذى به التورية: ومن المجردة قوله

حملناهموا طراً على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فان الدهم له معنيان — قريب وهو الخيل الدهم، وليس مراداً. و بعيد وهو القيود الحديد السود وهو المراد. ومن المرشحة قوله تعالى (قاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فان المراد من اليد الذلة وقد اقترنت بالاعطاء الذى يناسب المعنى القريب وهو العضو

(١) ملخص الاستخدام هو أن يؤتى بلفظ له معنيان فيراد به أحدهما، ثم بضميره المعنى الآخر كقول الشاعر

وللغزالة شئ من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسب

والثانى — كقول البُحتُرى

فسقى الغضا والسَّاكِنيه وان همو شبُّوه بين جوانحى وضلوعى

الغضا شجر بالبادية ، وضمير ساكنيه راجع الى الغضا باعتبار المكان. وضمير شبوه يعود اليه بمعنى النار الحاصلة من شجر الغضا ، وكلاهما مجاز للغضا

(٣) الاستطراد

هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذى هو فيه الى آخر لمناسبة بينهما ثم يرجع الى إتمام الأَول كقول السموءَل

وإنّا أُناس لا نرى القتل سبَّة إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالُهُم فتطولُ

وما مات منّا سيدٌ حَتفَ أنفه ولا طُلَّ منّا حيثُ كان قتيل

فسياق القصيدة للفخر ، واستطرد منه منتقلا الى هجو قبيلتى « عامر وسلول » ثم عاد الى مقامه الأول وهو الفخر بقومه — ومنه قول الآخر

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فان تسلّت أسلناها على الأسل

أراد الشاعر بالغزالة الحيوان المعروف . و بضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس

وكقوله رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيّم لجّ فى الاشواق خاطرهُ

وكقوله إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفتى فلا أشبهته راحتى بالتكرّم

ولا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرّم

وقال الآخر فى الدعاء أقرّ الله عين الأمير وكفاه شرها . وأجرى له عذبها . وأكثر لديه تبرها — وكقول الشاعر

رحلتم بالغداة فبتُّ شوقاً أسائل عنكم فى كل ناد

لا ينزلُ المجد الا فى منازلنا		كالنوم ليس له مأوى سوى المُقَل

(٤) ﴿الافتنان﴾

هو الجمع بين فنَّين مختلفين، كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء والتّعزية والتهنئة — كقول عبد الله بن همّام السلولى، « جامعا بين التعزية والتهنئة » حين دخل على يزيد وقد مات أبوه معاوية، وخلفه هو فى الملك « آجرك الله على الرَّزيَّة، وبارك لك فى العطيَّة، وأعانك على الرعيَّة فقد رُزئتَ عظيماً » وأُعطيتَ جسيما، فاشكر الله على ما أُعطيتَ؛ واصبر على ما رُزيت، فقد فقدت الخليفة. وأُعطيت الخلافة، ففارقت خليلا ووُهبت جليلاً »

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقة		واشكرْ حباء الذى بالملك أصفاكَ

لارُزءَ أصبح فى الأقوام نعلمه		كما رُزئت ولاَ عقبى كعقباكْ

وكقول عنترة يخاطب عبلة

ولقد ذكرتكِ والرّماح نواهلٌ		منّى وبيضُ الهند تقطُر من دمى

فوددتُ تقبيل السيُّوف لأنها		لمعت كبارقِ ثغركِ المُتبسِّم

(٥) ﴿الطباق[١]﴾

الطّباق هو الجمع بين الشىءُ وضدّه فى الكلام. وهما قد يكونان

أراعى النجم فى سيرى اليكم		ويرعاه من البيْدا جوادى

(١) ويسمى بالمطابقة. وبالتضاد. وبالتطبيق. وبالتكافؤ. وبالتطابق — وهو الجمع فى الكلام بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل الضدين

اسمين ـ نحو: (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ) « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود »
أو فعلين ـ نحو: (هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) « ثم لا يموتُ فيها ولا يحيا »
أو حرفين ـ نحو : (ولَهُنَّ مثلُ الذي عليهِنَّ بالمعْرُوفِ)
أو مختلفين ـ نحو : (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَالَهُ مِنْ هَادٍ)(١)
ونحو : « من كان ميتا فأحييناه »

(٦) ﴿ المقابلة ﴾

هي أن يُؤْتَى بمعنيين متوافقين أو أكثر ، ثم يُؤْتَى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وصَدَّقَ بالحسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرَى ، وأَمَّا مَنْ بَخِلَ واستَغْنَى وكَذَّبَ بالحسنَى فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى ، وكقوله تعالى (يُحِلُّ لَهُمُ الطيِّبَاتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

وقال صلى الله عليه وسلم للانصار (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلُّون عند الطمع) وقال خالد بن صفوان يصف رجلا : ليس له صديق

أو النقيضين أو الايجاب والسلب . أو التضايف

(١) والطباق ضربان: أحدهما طباق الايجاب وهو مالم يختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا، نحو (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء وكقوله حلو الشمائل وهو مرّ باسل يحمى الذمار صبيحة الارهاق

وثانيهما طباق السلب وهوما اختلف فيه الضدان ايجاباً وسلباً بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد ـ أحدهما مثبت والآخر منفى ـ نحو (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) ونحو (لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا)

أو أحدهما أمر والآخر نهى نحو (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) ونحو : لا تخشوا الناس واخشونى

فى السرّ ولا عدوٌ فى العلانية . وقال :

وباسطُ خيرٍ فيكمُ بيمينه — وقابض شر عنكُم بشماله ـ وكقوله

ما أحسن الدّين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والأفلاس بالرجل

(٧) ﴿ مراعاة النظير [١] ﴾

هى الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد ، وذلك

إمّا بين اثنين — نحو (وَهُوَ السَّميعُ البصيرُ)

وإمّا بين أكثر — نحو (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتهُمْ)

ويلحق بمراعاة النظيرما بُنِيَ على المناسبة فى «المعنى» بين طرفى الكلام يعنى أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى نحو (ولا تدرِكهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الابْصَار وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)

فان «اللطيف» يناسب عدم إدراك الأبصار له ، و «الخبير» يناسب ادراكه سبحانه وتعالى للأبصار

أو ما بُنِيَ على المناسبة فى « اللفظ » باعتبارمعنى له غير المعنى المقصود

ويلحق بالطباق ما بنى على المضادة تأويلا فى المعنى نحو (يغفرلمن يشاء ويعذب من يشاء) فان التعذيب لا يقابل المغفرة صريحا لكن على تأويل كونه صادراً عن المؤاخذة التى هى ضد المغفرة . أو تخييلا فى اللفظ باعتبار أصل معناه ـ نحو (من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) أى يقوده فلا يقابل الضلالة بهذا الاعتبار ولكن لفظه يقابلها فى أصل معناه . وهذا يقال له « ايهام » التضاد

(١) وتسمى بالتناسب والتوافق والائتلاف .

فى العبارة نحو (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَان) فان المراد « بالنجم » هنا النبات،فلا يناسب «الشمس» و«القمر» ولـكن لفظه يناسبهما باعتبار دلالته على الكواكب. وهذا يقال له«إيهام التناسب» كقوله

كأنّ الثّريا علِّقت فى جبينها ... وفى نحرها الشّعرى وفى خدّها القمرُ

(٨) (الارصاد)

هو أن يذكر قبل الفاصلة « من الفقرة أو القافية من البيت» ما يدلُّ عليها إذا عُرِف الرّوى ، نحو : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوب) ونحو : وما كان الله ليظلمهم ولـكن كانوا أنفسهم يظلمون (١) وكقول الشاعر .

أحلّت دمى من غير جُرم وحرّمت ... بلا سبب عند اللّقاء كلامى

فليس الذى حلّلته بمحلّلٍ ... وليس الذى حرّمتهِ بمحرّم

ونحو : إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه الى ما تستطيع

وقد يستغنى عن معرفة الروىّ ، نحو : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ)

(٩) (الادماج)

هو أن يُضمّن كلامٌ سيق لمعنى معنى آخرَ لم يُصرحْ به ، كقوله المتنبى

---

(١) فالسامع إذا وقف على قوله تعالى « قبل طلوع الشمس » بعد الاحاطة بما تقدم علم أنه « وقبل الغروب » كذلك البصير بمعانى الشعر وتأليفه إذا سمع المصراع الاول

أُقلِّبُ فيه أجفاني كأنِّي أعُدُّ بها على الدهر الذُّنوبا

ساق الشاعر الكلامَ أَصالة لبيان طول الليل ، وأدمج الشكوى من الدهر في وصف الليل بالطول

(١٠) ﴿ المذهب الكلامى ﴾

هو أن يُورِد المتكلم على صحة دعواه حُجَّة قاطعة مُسلَّمة عند المخاطب بأن تكون المقدّمات بعد تسليمها مستلزمةً للمطلوب

كقوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا) واللّازم وهو الفساد باطل ، فكذا الملزوم وهو تعدُّد الآلهة باطل

ونحو: (يا أيها الناس إن كُنْتُمْ في ريب من البعث فأنّا خلقنا كم من تراب)

ونحو قوله تعالى (وَهُوَ الذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) أى وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الامكان ، فالاعادة ممكنه

(١١) ﴿ حسن التعليل ﴾

حسن التعليل ، أن يُنكِرَ الأديبُ صراحةً أو ضمناً علةَ الشئ المعروفةَ ، ويأتى بعلة أدبيّة طريفة تناسب الغرض الذى يرمى اليه

يعنى أن الشّاعرَ أو النّاثرَ يدّعى لوصفٍ علةً غير حقيقية مناسبةً له باعتبارٍ لطيف ، مشتمل على دِقّةِ النّظر ـ كقول المعرّى فى الرثاء

وما كُلْفَةُ البدر المنير قديمةً ولكنّها فى وَجْهِهِ أَثَر اللّطمِ

علم أن العجز ليس الا ما قاله الشاعر

يقصد ان الحزن على المرثى شمل كثيراً من مظاهر الكون ، فهو لذلك يدّعى أن كلُفة البدر (وهى ما يظهر على وجهه من كدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعى ، وانما هى حادثة من أثر اللطم على فراق المرثى، ومثله قوله

أما ذُكاء فلم تصفَرَّ إذ جنحت إلا لفرقة ذاكَ المنظَرِ الحسَنِ

يقصد أنّ الشمس لم تصفر عند الجنوح الى المغيب للسبب المعروف ولكنها اصفرت مخافة ان تفارق وجه الممدوح — ومثله قول الشاعر

ما قصَّر الغيثُ عن مصرٍ وتربتها طبعاً ولكن تعدَّاكم من الخجل

ينكر هذا الشاعر الأسبابَ الطبيعيةَ لقلة المطر بمصر ، ويلتمس لذلك سبباً آخر : وهو أن المطر يخجل ان ينزل بأرض يعمُّها فضلُ الممدوح جوده ، لانه لا يستطيع مباراته فى الجود والعطاء

ولا بد فى العلة أن تكون ادّعائيةً ، ثم الوصف أعمّ من أن يكون ثابتاً فيُقصد بيانُ علته ، أو غير ثابت فيراد اثباته

فالأول (١) وصفٌ ثابتٌ غير ظاهر العلة كقوله

بين السيوف وعينيها مشاركة من أجلها قيل للأجفان أجفان

وقوله — لم يحكِ نائلكَ السحابُ وانما حُمّت به فصبيبها الرحضاء (١)

وقوله — زعم البنفسج أنه كعذاره حُسْناً فسلُّوا من قفَاه لسانه

فخروج ورقة البنفسج الى الخلف لا علّة له ، لكنه ادّعى أن علتـه

---

(١) أى أن السحائب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها لأن اعطاءك المتتابع أكثر من مائها وأغزر . ولكنها حمت حسداً لك . فالماء الذى ينصب منها هو عرق تلك الحمى — فالرحضاء عرق الحمى — ومنه قول ابن رشيق

الافتراء على المحبوب

(ب) أو وصف ثابت ظاهر العلة غير التى تذكر كقول المتنبى

ما به قتلُ أعاديه ولكن   يتّقى إخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الأعادى عادة للملوك لاجل أن يسلموا من أذاهم وضَرّهم ولكنّ المتنبى اخترع لذلك سبباً غريباً فتخيل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به حتى لدى الحيوان الأعجم من الكرم الغريزى ومحبته إجابة طالب الاحسان ، ومن ثم فتك بهم لانه علم أنه إذا غدا للحرب رجَت الذئاب أن يتّسع عليها رزقها . وتنال من لحوم أعدائه القتلى ، وما أراد أن يخيب لها مطلباً

والثانى وصف غير ثابت ، وهو إما ممكن — كقول مسلم بن الوليد

ياواشياً حسنت فينا إساءته   نجّى حذارك إنسانى من الغرق

فاستحسان إساءة الواشى ممكن ، ولكنه لما خالف الناس فيه عقبه بذكر سببه ، وهو أن حذاره من الواشى منعه من البكاء ، فسلم انسان عينه

سألت الارض لِمْ كانت مصلّى   ولِمْ جُعِلتْ لنا طهراً وطيبا

فقالت غير ناطقة لأنى   حويت لكل انسان حبيبا

ومن حسن التعليل قوله

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها   وإنما رقصت من عدله طربا

وكقول الآخر

أرى بدر السّماء يلوح حينا   ويبدو ثم يلتحف السّحابا

وذاك لأنه لما تبدّى   وأبصر وجهك استحيا وغابا

مِنَ الغرق فى الدموع

وإمّا غير ممكن — كقول الخطيب القزوينى

لولم تكن نِيّة الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عِقد مُنتطق

جعل الشاعر علة شدّ الجوزاء النطاق فى وسطها خدمة الممدوح وهى صفة غير ممكنة. فقصد اثباتها على خلافِ الواقع (١)

(١٢) (التجريد)

هو لغة ازالة الشئ عن غيره، واصطلاحاً أن ينتزعَ المتكلم من أمر ذى صفة أمراً آخر مثله فى تلك الصفة، مبالغة فى كمالها فى المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها، وهو أقسام.

«ا» منها ما يكون بواسطة مِنْ التجريدية كقولك: لى من فلان صديق حميم (أى بلغ فلان من الصداقة حداً صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها) ونحو: ترى منهمو الأسد الغضاب اذا سطوا وتنظر منهم في اللقاء بدوراً

«ب» ومنها ما يكون بواسطة الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم: لئن سألت فلاناً لتسألنّ به البحر، بالغ فى اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحراً فيها

---

(١) ومثله قول ابن المعتز

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصبُ

حُمرتها من دماءِ مَنْ قتلت والدّم فى السّيف شاهدٌ عجب

وكقوله:

فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

«ج» ومنها مالا يكون بواسطة نحو :(وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر)

« د » ومنها ما يكون بطريق الكناية كقول الأعشى

ياخير من ركب المطىّ ولا يشرب كأساً بكفّ من بخلا (١)

(١٣) ﴿ المشاكلة ﴾

هى أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صُحبته ، كقوله تعالى (تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ ما فِى نَفْسِكَ) المراد ولا أعلم ما عندك وعبّر بالنفس للمشاكلة . ونحو (نَسُوا اللّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) أى أهملهم . ذكر الاهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه فى صحبته

ومن ذلك ما حكى عن أبى الرقمع أن أصحاباً له أرسلوا يدعونه الى الصبوح فى يوم بارد ويقولون له ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً ، وكان فقيراً

---

(١) أى يشرب الكأس بكف الجواد — انتزع منه جواداً يشرب هو بكفه على طريق الكناية . لان الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم وهو لا يشرب الا بكف نفسه . فاذاً هو ذلك الكريم

ومن التجريد خطاب المرء نفسه كقول المتنبى

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

أى الغنى ـ فقد انتزع من نفسه شخصا آخر وخاطبه؛ وهذا كثير فى كلام الشعراء وانما سمّى هذا النوع تجريداً لأن العرب تعتقد أن فى الانسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ، فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجرداً عن الانسان كأنه غيره ـ وفائدة هذا النوع (مع التوسع) أن يثبت الانسان لنفسه مالا يليق التصريح بثبوته له

ليس له كسوة تقيه من البرد ، فكتب اليهم يقول

أصحابنا قصدوا الصَّبوح بسحرة   وأتى رسولهُمُ إلىَّ خصيصاً
قالوا اقترِحْ شيئا نَجِدْ لك طبخَه   قلتُ أطبُخوا لى جُبةً وقميصا (١)

وكقوله:من مُبلغٌ أفناءَ يَعرُبَ كلّها   انى بنيت الجار قبل المنزل

وكقوله : ألاَ لا يجهلَنْ أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(١٤) ﴿ المزاوجة ﴾

هى أن يُزاوج المتكلِّم بين معنيين فى الشّرط والجزاء ، بأن يُرَتِّب على كلّ منهما معنى رُتِّب على الآخر ، كقوله

اذا ما نهى النّاهى فلجَّ بى الهوى   أصاخت الى الواشى فلجّ بها الهجر

زواج بين النهى والإصاخة فى الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما وكقوله —

إذا احتربتْ يوما ففاضت دماؤها   تذكَّرتْ القربى ففاضت دموعها

زاوج بين الاحتراب « التّحارب » وتذكر القربى فى الشرط والجزاء بترتيب الفيض عليهما

(١٥) ﴿ الطى والنشر ﴾

الطىّ والنّشر ـ أن يُذكر متعدّد ، ثم يُذكر ما لكلّ من أفراده شائعاً من غير تعيين ، اعتماداً على تصرُّف السامع فى تميز ما لكلّ واحد

---

(١) . أى خيطوا لى جبة وقميصاً فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه فى صحبة طبخ الطعام .

منها . وردّه الى ماهو له — وهو نوعان

« ا » إمَّا أن يكون النّشر فيه على ترتيب الطّي ، نحو (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) فقد جمع بين الليل والنهار ثم ذكر السكون لليل ، وابتغاء الرزق للنهار ، على التّرتيب

وكقوله: عيونٌ وأصداغ وفرعٌ وقامة وخَالٌ وَوَجنَاتٌ وفرقٌ وَمَرشفُ
سيوف وريحان وليل وبانَة ومسكٌ وياقوت وصُبْحٌ وقَرْقَفُ

وكقوله . فعلُ المدام ولونها ومذاقها في مُقلتيه ووجنتيه وريقه

«ب» وإمّا أن يكون على خلاف ترتيبه — نحو (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ)

ذكر ابتغاء الفضل للثاني ، وعلم الحساب للأول على خلاف الترتيب

وكقوله — ولحظُهُ ومُحياهُ وقامته بدر الدُجا وقَضيبُ البانِ والرَّاحِ

فبدر الدجا راجع الى « المحيا » الذى هو الوجه ، و « قضيب البان » راجع الى «القامة» ، والراح راجع الى «اللّحظ» ويُسمَّى اللّفّ والنّشر أيضا

(١٦) « الجمع »

هو أن يجمع المتكلم بين متعدّد تحت حكم واحد وذلك قد يكون

« ا » في اثنين نحو : المال والبنون زينة الحياة الدنيا

ونحو : (وَاعلَمُوا أنما أَموَالكُمْ وَأَولاَدُكُمْ فِتنَةٌ)

«ب» أو في أكثر ، نحو (إنّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلام

رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) وكقوله

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَه مفسدةٌ للمرء أيُّ مَفْسَدَه

وكقوله : آراؤه وعطاياهُ ونعمتهُ وعفوهُ رحمة لِلنّاس كُلّهم

وكقوله آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دَجَوْن نجومُ

(١٧) ﴿ التفريق ﴾

هو أن يَعمِدَ المتكلّم إلى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تبايناً وتفريقاً بذكر ما يفيد معنى زائداً فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غير ذلك من الأغراض ، نحو (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) — وكقول الشاعر

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء

فنوالُ الأمير بَدرةُ عين ونوال الغمام قطرة ماء

وكقوله — مَن قاس جَدواك يوماً بالسُّحب أَخطأ مدحكْ

السُّحب تعطِي وتبكي وأنت تعطى وتضحكْ

وكقوله — من قاس جدواك بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شكلين

أنتَ اذا جُدتَ ضاحكٌ أبدا وهو اذا جاد دامع العين

وكقوله — ورْدُ الخدود أرقّ من وَرد الرّياض وأنعمُ

هذاك تَنشقهُ الأنو فُ وذا يُقبّله الفمُ

(١٨) ﴿ التقسيم ﴾

هو أن يُذكر متعدِّد، ثم يُضاف الى كلٍّ من أفراده ما لَه على جهة التّعيين

نحو) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين

أولهما أن تستوفى أقسام الشيء ، نحو (لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فى الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تحتَ الثَّرَى)

وثانيهما أن تذكر أحوال الشيء مضافا الى كل منها ما يليق به كقوله تعالى (فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ)

وكقوله سأطلبُ حقّى بالقنَا ومشايخ ... كأنهمو من طول ما التثموا مُرْدُ

ثقالٌ إذ لاقوْا خِفافٌ إذا دُعوا ... كثير إذا شَدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

وكقوله ـ ولا يقيم على ضيم يُراد به ... إلاّ الأذلاّنِ عَيرُ الحيِّ والوَتِدُ

هذا على الخسف مربوط برُمّتِهِ ... وذا يُشَجّ فلا يرثى له أحدُ

(١٩) ﴿ الجمع مع التفريق ﴾

هو أن يجمع المُتكلم بين شيئين فى حكم واحد ، ثم يفرّق بينهما فى ذلك الحكم ، نحو قوله تعالى (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ . وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

وكقوله ـ فوجهك كالنّار فى ضوئها ... وقلبيَ كالنّار فى حرّها

(٢٠) ﴿ الجمع مع التقسيم ﴾

هو أن يجمع المتكلّم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد ، ثم يقسّم

ماجمع ـ أو يقسّم أولا ثم يجمع ، فالأول نحو : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) وكقول المتنبي

حتى أقام على أرباض خرشنة (١) تشقى به الرُّوم والصّلبان والبِيَعُ
للرّقّ ما نسلوا والقتل ما ولدوا والنّهب ما جمعوا والنّار ما زرعوا

والثاني كقول سيدنا حسان

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عـدوَّهمُ أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعُوا
سجيّة تلك فيهـم غـير مُحْدَثة إنَّ الخلائق فاعـلم شرها البِدَعُ

(٢١) ﴿ المبالغة ﴾

أن يدّعى المتـكلم لوصف بلوغَه فى الشّدّة أو الضّعف حدًّا مُستبعدًا أو مستحيلا ـ وتنحصر فى ثلاثة أنواع

١ تبليغ — إن كان ذلك الادعاء ممكنًا عقـلا وعادة ، نحو « ظُلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها » وكقوله فى وصف فرس

إذا ما سـابقتها الرّيح فرّت وألقتْ فى يد الرّيح التّرابا

٢ وإغْراق — ان كان الادعاء ممكنا عقلا لا عادة — كقوله

ونـكرم جارنا ما دام فينا ونُتبعهُ الـكرامةَ حيثُ مالا

٣ وغلوّ (٢) — ان كان الادعاء مستحيلا عقلا وعادة — كقوله

---

(١) الأرباض جمع ربَضَ وهو ما حول المدينة . وخرشنة بلد بالروم

(٢) أما الغلو . فمنه مقبول ومنه مردود . فالمقبول ثلاثة أنواع أحدها ـ ما اقترن به ما يقربه للصحة « ككاد » نحو قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار)

تكادُ قِسيُّه من غير رامٍ　　تُمكِّن فى قلوبهم النِّبالا

(٢٢) ﴿ المغايرة ﴾

هى مدح الشّئ بعد ذمه أو عكسه — كقول الحريرى فى مدح الدِّينار

« أكرِمْ به أصفرَ راقت صفرته »

بعد ذمه فى قوله — « تبًّا له من خادع مُمارق »

(٢٣) ﴿ تأكيد المدح بما يشبه الذم ﴾

هو ضربان :

(ا)　أن يُستثنى من صفة ذم منفية ، صفة مدح على تقدير دخولها فيها — كقوله

«ولو» نحو قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله)　ثانيها — ما تضمن حسن تخييل كقول المتنبى

عقدت سنابكها عليها عِثْيَراً　　لو تبتغى عَنَقاً عليه لأمكنا [1]

وقول المعرى :

يذيب الرعب منه كل عضب　　فلولا الغمد يمسكه لسالا

ثالثها — ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة — كقول النظام

توهّمه طرفى فآلم طرفه　　فصار مكان الوهم فى خده أثرْ

ومرّ بفكرى خاطراً فجرحته　　ولم أر خلقا قط يجرحه الفِكرْ

وقول الآخر　لك أنف يا ابن حرب　　أنفت منه الأنوفْ

أنت فى القدس تصلّى　　وهو فى البيت يطوف

---

(١)　السنابك جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر . والعثير الغبار . والعنق ضرب من السير سريع فسيح الخطو — يقول ان حوافر هـذه الخيل عقدت فوقها غبارا

ولا عيبَ فيهم غيرَ انّ سيوفهم بهنّ فُلول من قِراع الكتائبِ [١]

(ب) أن يثبت لشيء صفة مدح، ويُؤْتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أُخرى مستثناة من مثلها — كقوله

ولا عيبَ فيه غير أنى قصدته فأنستنِيَ الأيام أهلا وموطنا

وكقوله — فتًى كَمُلت أوصافه غيرَ أنه جَواد فما يُبقى من المال باقيا

(٢٤) « تأكيد الذم بما يشبه المدح » [٢]

هو ضربان أيضاً

(ا) أن يستثنى من صفة مدح منفية، صفة ذم على تقدير دخولها فيها نحو — فلان لا خير فيه الا أنه يتصدق بما يسرق — ونحو — لا فضل للقوم الا

كثيفا حتى لو أرادت السير عليه لكان يحملها كالأرض لشدة كثافته

(١) أى ان كان تكسّر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيباً فلا عيب فيهم غيره. ومن المعلوم أنه ليس بعيب — وكقول الآخر

ولا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وقوله . ولا عيب فيه غير أنّ خدوده بهنّ احمرار من عيون المتيَّم

وقوله . ليس به عيب سوى أنه لا تقع العين على شبهه

وقوله . ولا عيب فى معروفهم غير أنه يُبيِّن عجز الشاكرين عن الشكر

وقوله . ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم تُعاب بنسيان الأحبّة والوطن

(٢) وهناك نوع آخر يسمى « الهجاء فى معرض المدح » وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح، وباطنه ذم كقوله

أبو جعفر رجل عالم بما يُصلح المعِدة الفاسده

تخوّف تُخمة أضيافه فعوّدهم أكلة واحده

انهم لا يعرفون للجار حقه ـ ونحو : الجاهل عدوّ نفسه الا أنه صديق السفهاء ونحو : فلان ليس أهلا للمعروف إلاّ أنه يُسيئ الى من يحسن اليه

(ب) أن يُثبتَ لشئ صفة ذم . ثم يُؤتى بعدها بأداة استثناء[1] تليها صفة ذم أُخرى نحو : فلان حسود إلاّ أنه نمّام ، وكقوله

هو الكلب إلا أنّ فيه ملالةً   وسُوءَ مُراعاة وماذاك فى الكلب

(٢٥) ﴿الايهام او التوجيه﴾

هو أن يُؤتى بكلام يحتمل معنيين مُتضادين على السّواء كهجاء ومديح ليبلغ القائل غرضه بما لا يُمسَك عليه ، كقول بشار فى خياط أعور اسمه عمرو

خاط لى عمرو قباء   ليت عينيه سواء

ويحكى أن محمداً بن حزم هنأ الحسن بن سهل باتصال بنته (بوران التى تُنسب اليها الأطبخة البُورانية) بالخليفة المأمون العباسى مع من هنّأه فأثابهم ، وحَرَمه : فكتب اليه إن أنت تماديت على حرمانى ، قلتُ فيك « بيتاً لا يُعرف » أهو مدح أم ذم ، فاستحضره وسأله فأقرّ ، فقال الحسَن لا أعطيك أو تفعل . فقال

بارك الله للحسَن   ولبُوران فى الخَتَن

---

(١) ومثل أداة الاستثناء فى ذلك اداة الاستدراك فى قول الشاعر

وجوه كأظهار الرياض نَضارةً   ولكنها يوم الهياج صُخور

وكقوله . هو البدر الا أنه البحر زاخراً   سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

ادرج أهل البيان التدبيج فى الطباق . وأفرده أهل البديع وهو الأولى لجواز

يا امام الهدى ظفر ت َولـكنْ بينت َمنْ

فلم يدر بينت مَنْ ؟؟ أفى العظمة وعلوّ الشأن ورفعة المنزلة أم فى الدناءة والخسة ؟؟ فاستحسَنَ الحسَن منه ذلك

(٢٦) ﴿نفى الشىء بايجابه﴾

هو أن ينُفى متعلّق أمرٍ عَنْ أمرٍ فيُوهم اثباته له . والمراد نفيه عنه أيضاً نحو — (لا تلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) [١] فانّ نفى إلهاءَ التجارة عنهم يُوهم اثباتها لهم — والمراد نفيها أيضاً .

(٢٧) ﴿القول بالموجب﴾

القول بالموجب نوعان

الاول :أن يقع فى كلام الغير اثبات صفة لشىء وترتيب حكم عليها فينقل السامع تلك الصفة الى غير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أوانتفائه عنه كقوله تعالى (يَقولونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزْ مِنْهَا الأَذَلَّ وللهِ العِزَّةُ ولرَسُولِهِ ولِلْمؤْمِنِينَ) [٢] فالمنافقون أرادوا

أن لا يقع التقابل بين الألوان فيفوت الطباق

(١) مقتطع من الآية التى مرت فى مبحث ترك المسند حيث يقول (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (فان قوله لا تلهيهم تجارة) يوهم ان لهم تجارة غير انهم لا يلتهون بها . ولـكن المراد انهم ليس لهم تجارة حتى يلتهوا بها لان رجال الجنة لا يتعاطون التجارة

(٢) تلخيص العبارة ان الـكافرين حكموا لأنفسهم بالعزة . والمؤمنين بالذلة

بالأعزّ أنفسَهم ، وبالأذل المؤمنين. ورتّبوا على ذلك الاخراج من المدينة. فنُقلت صفة العزة للمؤمنين ، وأُبقيت صفة الاذلية للمنافقين ، من غير تعرّض لثبوت حكم الاخراج للمتصفين بصفة العزة ، ولا لنفيه عنهم

والثانى: حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلّق له كقوله

وقالوا قد صفت منّا قلوب　　لقد صدقوا ولكن عن ودادى

ارادوا بصفو قلوبهم الخلوص ، فحمله على الخلوّ بذكر متعلقه وهو قوله « عن ودادى »

(٢٨) ﴿ائتلاف اللفظ مع المعنى﴾

هو أن تكون الألفاظ مُوافقة للمعانى ، فتُختار الألفاظ الجزلة والعبارات الشديدة للفخر والحماسة ، وتُختار الكلمات الرقيقة ، والعبارات اللّينة للغزل والمدح — كقوله

اذا ما غضبنا غضبة مُضَرّية　　هتكنا حجاب الشمس أو قَطَرت دمَا

اذا ما أَعرنَا سيداً من قبيلة　　ذُرا منبرٍ صلَّى علينا وسلّما

وكقوله — ولَستُ بنظَّار الى جانب الغِنى　　إذا كانت العلياءُ في جانب الفقر

وكقوله — لم يطل ليلى ولكن لم أنم　　ونفى عنّى الكَرى طيفٌ أَلمْ

(٢٩) ﴿التفريع﴾

هو أن يُثبت حكمٌ لمتعلّق أمر بعد إثباته لمتعلّق له آخر — كقول الشاعر

وقالوا ان رجعنا الى المدينة نخرجهم منها . فحكم بالعزة لله ولرسوله والمؤمنين — ولم يقل انهم يخرجون أولئك منها ، ولا أنهم لا يخرجونهم

فاضت يداه بالنّضار كما فاضت ظباه فى الوغَى بدمِ

وكقوله أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكمُ تشفِي من الكَلَبِ

(٣٠) ﴿الاستتباع﴾

هو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر مدحا أو ذمًّا يعنى أن الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بامر آخر كقوله

ألا أيها المال الذى قد أباده تسلَّ فهذا فعله بالكتائِبِ

وكقوله سَمِحُ البديهة ليس يمسك لفظه فكأنّ ألفاظه من ماله

وكقوله ـ الحرب نزهته والبأس همّته والسّيف عزمته والله ناصره

وقيل : إنه يكون أيضاً فى الذم كقول بعضهم فى قاض لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر

أترى القاضىَ أعمى أم تراه يتعامَى

سَرق العيدَ كأنّ الـ عيدَ أموالُ اليتامَى

(٣١) ﴿السلب والايجاب[١]﴾

هو أن يقصد المتكلم اختصاص شيء بصفة ، فينفيها عن جميع الناس ثم يثبتها له مدحا أو ذما ، فالمدح كقول الخنساء

وما بلغت كفّ امرىءٍ متناولا من المجد إلا والّذى نلتَ أطولُ

(١) ويسمّى الرجوع وهو العود على الكلام السّابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التى لم يعفها القِدمُ بَلَى وغيرّها الأرواح والدِّيَمُ

وكقوله ـ وماضاع شعرى عندكم حين قلته بلى وأبيكم ضاع فهو يضوع

ولا بلغ المهدون للناس مِدحةً   وان أطنبوا الاَّ الذى فيك أفضلُ

والذّم — كقول بعضهم

خلقوا وما خُلقوا لمكرُمة   فكأنّهم خلقوا وما خلقوا
رُزقوا ومَا رُزقوا سماح يَدٍ   فكأنّهم رُزقو ومَا رُزقوا

(٣٢) ﴿ الابداع ﴾

هو أن يكون الكلام مُشتملا على عدّة أنواع من البديع نحو قول الشاعر

فضحتَ الحيا والبحرَ جُودا فقد بكى الـ   حيا من حياء منك والتطَم البحر (١)

---

(١) فان فيه حسن التعليل فى قوله بكى من حيائك . وفيه التقسيم فى قوله فضحت الحيا والبحر ـ حيث ارجع ما لكل اليه على التعيين بقوله بكى الحيا، والتطم البحر . وفيه المبالغة فى جعله بكاء الحيا والتطام البحر حياء من الممدوح . وفيه الجمع فى قوله فضحت الحيا والبحر . وفيه رد العجز على الصدر فى ذكر البحر والبحر . وفيه الجناس التام بين الحيا والحياء ـ وللقرآن الكريم اليد البيضاء فى هذا النوع فقد وجد اثنان وعشرون نوعا فى قوله تعالى (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بُعداً للقوم الظالمين) مع كون الآية سبع عشرة لفظة ـ ولا بد لى من ذكرها تبركا بها وإلجاما لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره بالنسبة لكلام رب العالمين (١) ففيها المناسبة التامة بين ابلعى وأقلعى (٢) الاستعارة فيهما (٣) الطباق بين الارض والسماء (٤) المجاز فى قوله ياسماء فان الحقيقة يا مطر (٥) الاشارة فى « وغيض الماء » فانه عبر به عن معان كثيرة فان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض ما يخرج منها من عيون الماء (٦) الارداف فى قوله « واستوت على الجودى » فانه عبر عن استقرارها فى المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى (٧) التمثيل فى قوله « وقضى

(٣٣) ﴿ الاسلوب الحكيم ﴾

هو تلقِّي المُخاطَب بغير مايترقّبه ـ إمّا بترك سؤاله والاجابة عن سؤال لم يسأله ـ وإمّا بحمل كلامه على غير ما كان يَقصِدُ، إشارة الى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى، فمثال الاول مافعله القبَعثَرى بالحجّاج، إذا قال له الحجّاج متوعِّداً (لأحملنَّكَ على الأدهَم)

الامر» فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع (٨) التعليل ـ فان غيض الماء علة الاستواء (٩) التقسيم فانه استوفى أقسام الماء حال نقصه (١٠) الاحتراس فى قوله «وقيل بعداً للقوم الظالمين» اذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك احتراساً من ضعيف يتوهم أن الفرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق (١١) الانسجام فان الآية منسجمة كالماء الجارى فى سلاسته (١٢) حسن التنسيق فانه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب (١٣) ائتلاف اللفظ مع المعنى لان كل لفظة لا يصلح لمناها غيرها (١٤) الايجاز فانه سبحانه وتعالى ـ أمر فيها ونهى . وأخبر ونادى . ونعت وسمّى . وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى ـ وقص من الانباء ما لو شرح لجفت الاقلام (١٥) التسهيم إذ أول الآية يدل على آخرها (١٦) التهذيب لان مفرداتها موصوفة بصفات الحسن لأن كل لفظة سهلة مخارج الحروف . عليها رونق الفصاحة ، سليمة من التنافر بعيدة عن عقادة التراكيب (١٧) حسن البيان لان السامع لايشكل عليه فى فهم معانيها شئ (١٨) الاعتراض وهو قوله وغيض الماء واستوت على الجودى (١٩) الكناية فانه لم يصرح بمن أغاض الماء . ولا بمن قضى الأمر ـ وسوى السفينة ـ ولا بمن قال وقيل بعداً . كما لم يصرح بقائل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى فى صدر الآية سلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الكناية (٢٠) التعريض فانه تعالى عرض

يُريد القيد الحديد الاسود : فقال القَبعثَرِى « مثل الامير يحمل على الأدهم والاشهب » يعنى الفرس الاسود، والفرس الابيض، فقال له الحجّاج أردت الحديد، فقال القَبَعْثَرى : لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليداً، ومراده تخطئة الحجاج بأنّ الأليق به الوعد لا الوعيد[1] ومثال الثانى قوله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْن والأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) سألوا عن حقيقة ما ينفقون فأجيبوا ببيان طرق الانفاق : تنبيهاً على أنّ هذا هو الأجدر بالسؤال عنه — وقال تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاس

بسالكى مسالكهم فى تكذيب الرسل ظلما ـ وان الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم (٢١) التمكين لان الفاصلة قارة متمكنة فى موضعها

(٢٢) الابداع الذى نحن بصدد الاستشهاد له ، وفيها غيرذلك ـ وقد أفردت هذه الآية الشريفة بتآليف لما اشتملت عليه من البلاغة حتى عدّ بعضهم فيها مائة وخمسين نوعا ، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الاتيان بمثلها

(١) سبب ذلك أن الحجاج بلغه أن القبعثرى لما ذكر الحجاج بينه و بين أصحابه فى بستان قال : اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقنى من دمه . فوشى به الى الحجاج فلما مثل بين يديه وسأله عن ذلك قال : انما أردت العنب . فقال له الحجاج ما ذكر ـ ومثل ذلك قول الشاعر

ولقد أتيت لصاحبى وسألته فى قرض دينار لأمرٍ كانا
فأجابنى والله دارى ماحوت عيناً فقلت له ولا انسانا

وسئل تاجر ؟ ؟ كم رأس مالك . فقال : إنى أمين وثقة الناس بى عظيمة
وقال الشاعر :

طلبت منه درهماً يوماً فأظهر العجب

وَالحَجّ) (١) وقال ابن حجّاج

قال ثقّلتُ إذْ أتيتُ مراراً قُلْتُ ثقّلتَ كاهلِي بالأيادِي
قال طوّلْتُ قُلتُ أوليتَ طَوْلاً قال أبرمتُ قلتُ حبل ودادِي

فصاحب ابن حجّاج يقول له قد ثقلت عليك بكثرة زياراتى ، فيصرفه عن رأيه فى أدب وظَرف، وينقل كلامه من معنى الى معنى آخر — وكقول الشاعر

ولمّا نعى النّاعى سألناه خَشْيَةً وللعين خوف البين تَسْكابُ أمطارِ
أجابَ قَضَى : قُلنا قضى حاجة العُلا فقال مَضى : قلنا بكلّ فخارِ

ويحكى أنه لما توجّه خالد بن الوليد لفتح الحيرة أتى اليه مِنْ قِبَل أهلها رجل ذو تجربَة : فقال له خالد فيم أنتَ ؟ ؟ قال فى ثيابى : فقال علام أنت ؟ ؟ فأجاب على الارض — فقال كم سنك ؟ ؟ قال اثنتان وثلاثون — فقال أسألك عَنْ شىء وتجيبنى بغيره : فقال انما أجبتك عمّا سألت

تشابه الاطراف

تشابه الاطراف قسمان — معنوى ولفظى .

فالمعنوى هو أن يختم المتكلم كلامه بمـا يناسب ابتداءه فى المعنى . كقول الشاعر :

أَلَذّ من السِّحر الحلال حديثُهُ وأعذبُ من ماء الغَمامَة رِيقُهُ

وقال ذا من فضة يُصنع لا من الذهبْ

وسئل أحد العمال ؟ ؟ ماذا أدخرت من المال . فقال : لا شئ يُعادل الصحة

(١) بيان ذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الأهـلة ؟ ؟ لِمَ تبدو صغيرة ، ثم تزداد حتى يتكامل نورها . ثم تتضاءل حتى لا ترى (وهذه مسألة دقيقة من علم الفلك) تحتاج الى فلسفة عالية وثقافة عامة فصرفهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت فى المعاملات والعبادات إشارة الى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا

فالريق يناسب اللذة فى أول البيت

واللفظى نوعان ـ ا ـ أن ينظر الناظم أو الناثر الى لفظة وقعت فى آخر المصراع الاول أو الجملة فيبدأ بها المصراع الثانى أو الجملة التالية كقوله تعالى : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاة فيها مِصْباحٌ المِصْباحُ فِى زُجاجةٍ الزُّجاجَةُ كأنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ » وكقول أبى تمام :

هوًى كان خِلْساً انَّ من أبْرَدِ الهوى ... هوًى جُلْتُ فى أفيائه وهو خاملُ

ب أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت فى أول البيت الذى يليه .

كقوله رمَتْنى وسِترُ الله بينى و بينها ... عشيَّةَ آرام الكناس رَميمُ

رميمُ التى قالتْ لجيران بيتها ... ضَمِنتُ لكم ألاّ يزال يهيمُ

وكقوله اذا نزل الحجاج أرضاً مريضة ... تتبّع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها ... غلامٌ اذا هزّ القناة سقاها

سقاها فروّاها بشرب سجالها ... دماءَ رجالٍ حيث مال حِشاها

٣٥ العكس

هو أن تقدّم فى الكلام جزءا ثم تعكس بأن تقدّم ما أخرْت وتؤخّر ما قدمت و يأتى على أنواع — ا — أن يقع بين أحد طرفى جملة وما أضيف اليه ذلك الطرف نحو كلام الملوك ملوك الكلام ـ وكقول المتنبى

إذا أمطرَتْ منهم ومنك سحابةٌ ... فوابلُهم طَلٌّ وطَلُّكَ وابلُ

— ب — أن يقع بين متعلقى فعلين فى جملتين . كقوله تعالى : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى

ج — أن يقع بين لفظين فى طرفى الجملتين . كقوله تعالى : « لاَ هُن حِلٌّ لَهمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لهنَّ

د — أن يقع بين طرفى الجملتين . كقول الشاعر .

طوَيتُ بإحراز الفنون ونَيْلها ... رداء شباب والجنون فنُونُ

فحين تعاطيت الفنون وحظها ... تبيّنَ لى أن الفنون جنونُ

ـ ه ـ أن يكون بترديد مصراع البيت معكوساً . كقول الشاعر :

ان للوَجد فى فؤادى ترا كمُ   ليت عينى قبل الممات ترا كمْ
فى هوا كمْ ياسادتى مت وَجْداً   مت وجداً ياسادتى فى هوا كمْ

٣٦ تجاهل العارف

هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه لنكتة كالتوبيخ فى قوله

أيا شجر الخابور مالك مورقا   كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو المبالغة فى المدح كقوله

ألمعُ برقٍ سرى أم ضوء مصباح   أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

أو المبالغة فى الذم كقوله

وما أدرى وسوف إخال أدرى   أقومٌ آل حصن أم نساء

أو التعجب نحو : (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) وغير ذلك من الأغراض

تمرين (١)

بيّن الأنواع البديعية فيما يلى

١ قال بعضهم فى وصف إبل

صلبُ العَصا بالضّرْب قد أدماها   تودُّ أنَّ الله قدْ أَفْناها

٢ فى وصف إبل هزيلة

كالقِسىّ المعطفات بلِ الأسـ   ـهُم مَبرِيّةً بَل الأوتار

(١) الضرب لفظ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب ـ والسير فى الارض وهو المعنى البعيد المراد بالتورية

(٢) فيه مراعاة النظير إذ وصف البحترى الابل بالنحول فشبهها بأشياء متناسبة وهى القسى والأسهم المبرية والاوتار

٣ وللغزالةِ شيءٌ من تلفُّتهِ ونورها من ضيا خدَّيهِ مكتسب

٤ أفنى جيوشَ العدا غزواً فلست ترى سوى قتيلٍ ومأسور ومنهزم

٥ ولا عيبَ فيهم غير أنّ ذوى الندى خِساسٌ إذا قيسوا بهم ولئام

٦ على رأس عبد تاجُ عِزٍّ يزينهُ وفى رجل حُرٍّ قيدُ ذُلٍّ يشينهُ

٧ إذا لم تفِض عيني العقيقَ فلا رأت منازله بالقُرْب تبهى وتبهرُ

تمرين (٢)

١ فلا الجودُ يُفني المال والجدُّ مقبلٌ ولا البخل يُبقى المالَ والجدُّ مُدبرُ

٢ رحم اللهُ من تصدّق من فضلٍ، أو آسى من كفاف، أو آثر من قوت

٣ رأى العقيقَ فأجرى ذاك ناظرُهُ متيمٌ لجَّ فى الأشواق خاطرُه

(٣) فيه استخدام إذ أراد بالغزالة الحيوان المعروف — و بضمير نورها الغزالة بمعنى الشمس .

(٤) فيه تقسيم إذ هو قد استوفى جميع أقسام جيش العدو بحصرها فى الاقسام الثلاثة

(٥) فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم فانه استثنى من صفة ذم منفية صفة مدح

(٦) فيه مقابلة بين ستة وستة فقد قابل بين على وفى . رأس ورجل . حر وعبد تاج وقيد . عز وذل . يزين ويشين

(٧) فيه استخدام اذ العقيق هنا الدم الشبيه بالعقيق فى الحمرة ـ والضمير يعود اليه باعتباره الوادى المعروف بظاهر المدينة ببلاد الحجاز

(١) فيه مقابلة بين الجود والبخل . يفنى ويبقى . مقبل ومدبر

(٢) فيه تقسيم باستيفاء أقسام الشئ لان طبقات الناس هذه الثلاثة ليس غير

(٣) فيه استخدام فالعقيق أولا المكان المعلوم فى بلاد الحجاز — والضمير يعود اليه بمعنى الحجر المعروف ، وقد شبه دموعه به

٤ آراؤكم ووُجوهُكم وسيُوفُكم ... في الحادثاتِ إذا دَجَوْنَ نجومُ
٥ ما زُلزلتْ مصرُ مِنْ كيدٍ ألمَّ بها ... لكنها رَقصتْ مِنْ عدلِكم طرَبا
٦ أُراعي النجم في سيرى إليكم ... ويرعاهُ مِنَ البيدا جوادى
جاءني ابنيَ يوماً وكنت أراه ... لِيَ رَيْحانةً وَمصْدَرَ أُنس
قال ما الروح ؟ قلت إنك روحى ... قال ما النفس ؟ قلتُ إنك نفسى

تطبيق عام على البديع المعنوى

يا سيدا حاز لطفا له البرايا عبيدُ
أنت الحسين ولكن جفاك فينا يزيدُ

في هذا الكلام تورية مهيأة بلفظ قبلها . فان ذكر « الحسين » لازم لكون « يزيد » اسما بعد احتمال الفعل المضارع المورّى عنه

حُماة في بهجتها جَنة ... وهى من الغمّ لنا جُنّة
لاتيأسوامن رحمة الله فقد ... رأيتم العاصيَ في الجنة

في هذا الكلام تورية مرشحة . فان ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصى المورى به الذى هو من العصيان . والمورى عنه النهر المعروف الذى عبر حماه

فان ضيّعتُ فيه جميع مالى ... فكم من لحية حلقت بموسى

فيه التورية المرشحة بذكر اللحية والحلق وهما يناسبان المورى به وهو «موسى»

---

(٤) فيه الجمع فقد جمع بين ثلاثة أشياء في حكم واحد

(٥) فيه حسن التعليل فقد جعل علة زلزال مصر طربا من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها

(٦) فيه استخدام اذ النجم الاول الكوكب . وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذى لا ساق له

الحديد ، والمورى عنه الاسم المذكور

يا عذولى فى مغنّ مطرب   حرك الأوتار لما سفرا
لم تهز العطف منه طربا   عند ما تسمع منه وترا

فيه تورية فى لفظ « وترا » معناه البعيد المراد هو الرؤية . والقريب أحد الأوتار ــ ولفظ « تسمع » هيأ قوله « وتراً » للتورية بالرؤية

سألته عن قومه فانثنى   يعجب من افراط دمعى السخّى
وأبصر المسك وبدر الدُّجى   فقال ذا خالى وهذا أخى

فيه تورية فى لفظ « خالى » معناه البعيد المراد النقطة السوداء فى الخد . والقريب أخ الأم . ولفظة « أخى » هى التى هيأت خالى للتورية ــ وهى بعيده

وساقية تدور على الندامى   وتنهرهم لسرعة شرب خمر
سنشكر يوم لهو قد تقضّى   بساقية تقابلنا بنهر

« الساقية » امرأة تسقى الراح وهذا هو المعنى القريب — أو ساقية الماء وهو المعنى البعيد . وكل منهما مذكور للتورية فى صاحبه ، ومهيئٌ لها فيه .

الباب الثانى — ﴿ فى المحسنات اللفظية ﴾

(١) ﴿ الجناس (١) ﴾

ويقال له التجنيس ، والتجانس ، والمجانسة ، ولا يستحسن الا اذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مُرعاة النَّظير ، وتمكّن القرائن

(١) تلخيص القول فى الجناس أنه نوعان . تام . وغير تام — فالتام هو ما اتفق فيه اللفظان فى أمور أربعة ، هى نوع الحروف . وشكلها . وعددها . وترتيبها وغير التام . هو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد من الامور الاربعة المتقدمة كقول الشاعر

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن   إلى ردّ أمرِ الله فيه سبيل

فينبغى أن ترسل المعانى على سجيتها لتكتسى من الألفاظ مايزينها حتى لا يكون التّكلف فى الجناس مع مراعاة الالتئام، موقعاً صاحبه فى قول من قال

طبع المُجنّس فيه نوع قيادة ‏ ‏ ‏ أو ما ترى تأليفه للأحرف

وبملاحظة ما قدّمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والاصغاء اليه لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ويأخذها نوع من الاستغراب

والجناس أن يتفق اللّفظان فى النّطق ويختلفا فى المعنى

وهو ينقسم الى نوعين لفظى — ومعنوى

﴿ أنواع الجناس اللفظى ﴾

١ منها الجناس التام وهو ما اتفق فيه اللّفظان فى أربعة أشياء، نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى

فان كانا من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين سمّى مماثلا ومستوفيا — نحو: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالثانية واحدة الساعات الزمانية ونحو: رَحَبَةٌ رَحْبَةٌ — الأولى فناء الدار، والثانية بمعنى واسعة

وكقول ابن الفارض: هلاّ نهاك نُهاك عن لوم امرئ ‏ ‏ ‏ لم يُلْفَ غير منَعّم بشقاء

وكقوله: لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا ‏ ‏ ‏ ونحنُ فى حفَر الأجداث أحيانا

وقول الخنساء: — ان البكاء هو الشفا ‏ ‏ ‏ ء من الجوى بين الجوانح

وقول المعرى: — لم نلق غيرك انسانا يُلاذ به ‏ ‏ ‏ فلا برحت لعين الدهر إنسانا

وقول الحريرى:

لا أعطى زمانى مَنْ يخفُر ذمامى ‏ ‏ ‏ ولا أغرس الأيادى فى أرض الأعادى

وان كانا من نوعين كفعل واسم ، سُمّى مستوفيا

نحو ارع الجار ولو جار — وكقول الشاعر

ما مات من كرم الزمان فانه   يحيا لدى يحيي بن عبد الله

فيحيا الأول فعل مضارع ، ويحيي الثاني علم الكريم الممدوح . ونحو :

اذا رماك الدّهر فى معشر   قد أجمع الناسُ على بُغْضهم

فدارهم ما دُمت فى دارهم   وأرضهم ما دُمتَ فى أرضهم

وأما الجناس الناقص فهو ما اختلف فيه اللفظان فى عدد الحروف واختلافهما يكون إمّا بزيادة حرف فى الاول نحو دوام الحال من المحال أو فى الوسط نحو : جَدّى جَهْدى ، أو فى الآخر نحو : الهوى مطية الهوان ، والأول يسمى « مردوفا » والثانى يسمى « مكتنفاً » والثالث يسمى « مطرّفاً »

٢ ومنها الجناس المطلق — وهو توافق ركنيه فى الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاق ، كقوله صلى الله عليه وسلم ـ أَسْلم سَالمها الله وَغفارٌ غفر الله لها ، وعُصَيةٍ عصت الله ورسوله

فان جمعهما اشتقاق ـ نحو (لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) فقيل يُسمَّى جناس الاشتقاق (١)

---

(١) كقوله ـ   فيا دمع أنجدنى على ساكنى نجد

وكقوله ـ   واذا ما رياح جودك هبّت   صار قول العذول فيه هباء

وقول النابغة :   فيالك من حزم وعزمٍ طواهما   جديد الردى بين الصفا والصفائح

وقول البحترى :   نسيم الروض فى ريح شمال   وصوب المزن فى راحٍ شمول

٣ ومنها الجناس المُذيّل — « والجناس المُطرّف »

فالأول يكون الاختلاف بأكثر من حرفين فى آخره

والثانى يكون بزيادة من حرفين فى أوله .

فالمذيل — كقول أبى تمّام

يمدّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ   تصول بأسياف قواضٍ قواضبِ

والمطرف ـ كقول الشيخ عبد القاهر

وكم سبقت منه إلىّ عوارف   ثنائى على تلك العوارف وارف

وكم غُرَر من برّه ولطائف   لشكرى على تلك اللّطائف طائف

٤ ومنها الجناس المضارع ـ « والجناس اللاحق »

فالأول يكون باختلاف ركنيه فى حرفين لم يتباعدا مخْرجاً

إمّا فى الأول، نحو ليل دامس وطريق طامس

وإما فى الوسط ـ نحو (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)

وإمّا فى الآخر نحو ـ الخيل معقود فى نواصيها الخير

والثانى يكون فى متباعدين، إمّا فى الأول، نحو (هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ)

وإمّا فى الوسط، نحو (إنهُ عَلى ذَلكَ لَشَهِيدٌ، وإنهُ لِحُبِّ الخيرِ لَشَدِيدٌ)

وإمّا فى الآخر نحو (وإذَا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ)

٥ ومنها « الجناس اللفظى » — وهو ما تماثل ركناه لفظا، واختلف

وكقول الحريرى : لهم فى السير جرى السيل   وإلى الخير جرى الخيل

وكقول البستى : بسيف الدولة اتسقت أمور   رأيناها مُبدّدة النظام

وكقول السبكى : كن كيف شئتَ عَن الهوى لاأنتهى   حتى تعود لى الحياة وأنت هى

أحد ركنيه عن الآخر خطاً ـ إمّا بالكتابة (بالنون والتنوين)

وإما بالاختلاف (فى الضاد والظاء ـ أو الهاء والتاء)

فالأول ـ نحو

أعذبُ خلق الله نطقاً وفا ... ان لم يكن أحقّ بالحُسن فمَنْ

مثل الغزال نظرة ولفتة ... من ذا رآه مقبلا ولا افتتنْ

والثانى ـ نحو (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) وكقول أبى فِراس

ما كنتَ تصبر فى القديـ ... ـم فلمْ صبرتَ الآنَ عنّا

ولقد ظننتُ بك الظنو ... ن لأنه من ضنّ ظنّا

والثالث ـ كقوله

اذا جلستَ الى قوم لتؤنسهم ... بما تحدّث من ماض ومن آت

فلا تعيدنْ حديثاً إنّ طبعهمو ... موكَّل بمعاداة المعاداتِ

٦ ومنها ـ الجناس المُحرَّف ـ و « الجناس المُصحّف »

فالأوّل ـ مااختلف ركناه فى هيآت الحروف أى حركاتها وسكناتها نحو جُبّة البُرْدِ جُنّة البَرْدِ

والثانى ماتماثل رُكناه وضعاً واختلفا نقطا ، بحيث لوزال إعجام أحدهما لم يتميّز عن الآخر ـ كقول بعضهم : غرّك عزّك ، فصار قُصارَى ذلك ذُلّك . فاخشَ فاحِش فعلك ـ فعلك بهذا تهتدى . ونحو إذا زلّ العالِم زلّ بزلّته العالَم ـ وكقول أبى فِراس

وكقوله ... سمَا وحَمى بَنى سام وحام ... فليس كمثله سام وحام

وقول أبى نواس : عباسَ عباسٌ إذا احتدم الوغى ... والفضل فضلٌ والربيعُ ربيع

من بحر شعرك أغترفُ وبفضل علمك أعترف

٧ ومنها الجناس المركّب ـ « والجناس المُلفّق »

فالأول ـ ما اختلف رُكناه إفراداً وتركيبا

فان كان من كلمة وبعض أخرى سمّى مرفُوًّا — كقول الحريرى

ولا تَلْهُ عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهى المُزْن حال مصابه
ومثّل لعينيك الحِمام ووقعَه وروعةَ مُلقاه ومطعمَ صابه

وان كان من كلمتين — فان اتفق الركنان خطا سمّى مقرونا ـ كقوله

اذا ملك لم يكن ذاهبَه فدعهُ فدولته ذاهبه

والاّ سمّى مفروقا ـ كقوله

لا تعرضنّ على الرُّواة قصيدة ما لم تكن بالغتَ فى تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذّب عدّوه منك وساوسا تهذى بها

والثانى ـ وهو الملفق يكون بتركيب الركنين جميعاً ـ كقوله

وَليتُ الحكم خمساً وهى خَمْس لعمرى والصّبا فى العنفوان
فلم تضع الأعادى قدر شانى ولا قالوا فلان قد رشانى

٨ ومنها جناس القلب » وهو ما اختلف فيه اللفظان فى ترتيب الحروف نحو حسامه فتحٌ لأوليائه، وحتف لأعدائه « ويسمّى قلب كل » لانعكاس الترتيب

ونحو ـ اللهمّ استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، ويسمى قلب بعض

ونحو : رحم الله امرأ أمسك ما بين فكّيه وأطلق ما بين كفّيه

واذا وقع أحد المتجانسين فى أول البيت والآخر فى آخره سمّى مقلوبا مُجنّحا كأنه ذو جناحين ـ كقوله

لاح أنوار الهدى　　من كفه فى كل حال

واذا وَلِيَ أحد المتجانسين الآخر قيل له « المزدوج »

وان كان التركيب بحيث لو عكس حصل « بعينه » فالمستوى وهو أخصّ من المقلوب المجنّح ، ويسمّى أيضا « ما لا يستحيل بالانعكاس » نحو (كلٌّ فى فَلَكٍ) ونحو (ورَبَّكَ فَكَبِّرْ)

﴿ أنواع الجناس المعنوى ﴾

جناس إضمار — وجناس إشارة

(ا) « فجناس الإضمار » أن تأتى بلفظ يُحضِر فى ذهنك لفظاً اخر وذلك اللفظ المحضر يُراد به غير معناه بدلالة السّياق — كقوله

منعّم الجسم تحكى الماءَ رِقّته　　وقلبه قسوة يحكى أبا أوس

وأوس شاعر مشهور من شعراء العرب . واسم أبيه حجر . فلفظ أبى « أوس » يحضر فى الذهن اسمه وهو حجر ؛ وهو غير مراد ؛ وإنما المراد الحجر المعلوم — وكان هذا النوع فى مبدئه مستنكراً . ولكن المتأخرين ولعوا به ، وقالوا منه كثيراً . فمن ذلك قول البهاء زُهير

وجاهل طال به عنائى　　لازمنى وذاك من شقائى

أبغض للعين من الأقذاء　　أثقل من شماتة الاعداء

فهو إذا رأته عين الرائى　　أبو معاذ أو أخو الخنساء

(ب) « وجناس الاشارة » هو ماذكر فيه أحد الركنين ، وأشير للآخر بما يدلّ عليه — وذلك اذا لم يساعد الشعْر على التصريح به — نحو

يا حمزة اسمح بوصل　　وامنن علينا بقرب
في ثغرك اسمك أضحى　　مصحفاً　　وبقلبي

فقد ذكر أحد المتجانسين وهو حمزة . وأشار الى الجناس فيه بأن مصحفه ، فى ثغره ، أى خمرة — و فى قلبه ، أى جمرة

واعلم أنه لا يُستحسن الجناس إلا إذا جاء عفواً وسمح به الطّبع من غير تكلّف

(٢) ﴿ التصحيف ﴾

هو التّشابه فى الخط بين كلمتين فأكثر : بحيث لو أزيل أو غيّر نقط كلمة كانت عين الثانية ، نحو التّخلّى ، ثم التّحلّى ، ثم التّجلّى

(٣) ﴿ الازدواج ﴾

هو تجانس اللّفظين المتجاورين : نحو مَنْ جَدَّ وَجَدْ ، ومن لجَّ ولج

(٤) ﴿ السجع ﴾

هو توافق الفاصلتين فى الحرف الأخير — وأفضله ماتساوت فِقَرُهُ

وهو ثلاثة أقسام

أولها المطرّف — وهو ما اختلفت فاصلتاه فى الوزن ، واتفقتا فى الحرف الأخير ، نحو قوله تعالى (مالَكُم لا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُم أَطْوَاراً)

وكقوله « أَلَم نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَادا وَالجِبَالَ أَوْتَادَا »

ثانيها المُرصّع — وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل مايقابلها من الفقرة الأخرى وزنا وتقفية ، كقول الحريرى ، هو يَطبع

الأسجاعَ بجواهر لفظه ، ويَقرَعُ الأسماع (١) بزواجر وعظه

ثالثها المتوازِى ، وهو ما كان الاتفاق فيه فى الكلمتين الأخيرتين فقط ، نحو قوله تعالى (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) لاختلاف سرر وأكواب وزنا وتقفية ، ونحو قوله تعالى (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا) لاختلاف المرسلات والعاصفات وزنا فقط ، ونحو : حسد النّاطق والصّامت ، وهلك الحاسد والشّامت ـ لاختلاف ماعدا الصّامت والشّامت تقفية فقط

والأسجاع مبنية على سكون أواخرها ، وأحسن السجع ما تساوت فِقَرُهُ ، نحو قوله تعالى (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) ثم ماطالت فقرته الثانية ، نحو (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) ثم ماطالت ثالثته ، نحو (النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ) ولا يحسن عكسه ، لأن السامع ينتظر الى مقدار الأول ، فاذا انقطع دونه أشبه العثار (٢) ، ولا يحسن السجع إلا اذا كانت المفردات رشيقة ، والألفاظ خدم المعانى ، ودلّت كل من القرينتين على معنى غير مادلّتْ عليه الأخرى ، وحينئذ يكون حلية ظاهرة

---

(١) ولو أبدلت الاسماع بالآذان كان مثالا للأكثر : وسمى سجعا تشبيها له بسجع الحمام ، وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لأن الغرض أن يزاوج بينها ولا يتم ذلك إلا بالوقف

(٢) يعنى أنه لا يحسن أن يؤتى فى السجع بفقرة أقصر مما قبلها كثيراً لان السمع اذا استوفى أمده من الاولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها يكون كالشئ المبتور

في الـكلام ، والسجع موطنه النثر ، وقد يجئ في الشعر : كقوله

فنحنُ في جذَلٍ والرّومُ في وجلٍ والبرّ في شُغلٍ والبحر في خجل

ولا يستحسن السجع أيضا إلا اذا جاء عفواً خاليا من التكلُّف والتّصنع

(٥) «الموازنة»

هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التّقفية ، نحو ـ (وَنَمَارِقُ مَصفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) فان مصفوفة ومبثوثة متفقان في الوزن دون التّقفية ، نحو : أفاد فساد وقاد فزاد وساد فجاد وعاد فأفضل

(٦) «الترصيع»

هو توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها ـ مثال التّوافق نحو ـ «إنّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» ـ ومثال التّقارُب نحو ـ «وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصّرَاطَ المُسْتَقِيمَ»

(٧) «التشريع»

هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما ـ كقوله

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيَّة إنها شركُ الرّدى وقرارة الأقدارِ

دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غداً تباًّ لها من دار

وإذا أظلّ سحابها لم ينتفع منه صدى لجهامه الغرّار

غاراتها لا تنقضي وأسيرها لا يُفتدى بجلائل الأخطار

فيصح الوقوف على الأقذار، ودار، والغرار، والأخطار

فتكون من بحر الكامل، ويصح الوقوف على الرّدى، وغدا، وصدى، ويفتدى وتكون من مجزوء الكامل — وتقرأ هكذا

يا خاطب الدُّنيا الدّنـ ــيّة انها شرك الرّدى
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا
وإذا أظلّ سحابها لم ينتفع منه صدى
غاراتها لا تنقضى وأسيرها لا يفتدى

وكقوله: يأيها الملك الذى عمّ الورى ما فى الكرام له نظير يُنظرُ
لو كان مثلك آخر فى عصرنا ما كان فى الدنيا فقير معسر

اذ يمكن أن يقال

يأيها الملك الذى ما فى الكرام له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان فى الدنيا فقير

(٨) ﴿لزوم مالا يلزم﴾

هو أن يجئ قبل حرف الرّوىّ أو مافى معناه من الفاصلة ما ليس بلازم فى التقفية كالتزام حرف وحركة أو احداهما يحصل الرّوىّ أو السجع بدونه ـ نحو قول الطغرائى

أصالة الرأىِ صانتنى عن الْخَطَلِ وحلية الفضل زانتنى لدى العطلِ

وكقوله تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ)

وكقوله: يامُحرقا بالنّار وجْهَ محبّه مهلا فان مدامعى تُطفيه

أحرقْ بها جسدي وكل جوارحي واحرص على قلبي فانك فيه

وقد يلتزم أكثر من حرف كقوله

كل واشرب الناس على خبرة فهم يمرّون ولا يعذبون

ولا تصدقهم إذا حدّثوا فأنّهم من عهدهم يكذبون

(٩) «التصدير» أو «رد العجز على الصدر»

«ا» هو فى النثر أن يُجعل أحد اللّفظين المكررين أو المتجانسين . أو المُلحقين بهما « بأن جمعهما اشتقاق أو شبهه » أحدهما فى أول الفقرة ـ والثانى فى آخرها ، نحو (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) وقولك : سائل اللئيم يرجع . ودمعه سائل ، الأول من السؤال ، والثانى من السيلان

وكقوله تعالى (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً)

واللّذان يجمعهما شبه اشتقاق — نحو (قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ)

(ب) هو فى النظم أن يكون أحدهما فى آخر البيت ، والآخر

إمّا فى صدر المصراع الأول ، أو فى حشوه — أو فى آخره (١)

وإمّا فى صدر المصراع الثانى — نحو قوله

سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى النّدى بسريع

وقوله ـ تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

وقوله ـ ذوائب سودٍ كالعناقد أرسلت فمن أجلها منّا النفوسُ ذوائب

---

(١) كقوله ـ ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما

(١٠) ﴿ مالا يستحيل بالانعكاس ﴾

هو كون اللفظ يقرأ طرداً وعكساً ، نحو كن كما أمكنك (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) وكقوله — مودّته تدوم لكلّ هول وهل كلٌّ مودته تدوم

(١١) ﴿ الموار به ﴾

هى أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغيّر معناه بتحريف أو تصحيف ، أو غيرهما ليسلم من المؤاخذة — كقول أبى نواس

لقد ضاع شعرى على بابكم كما ضاع عقد على خالصه

فلما أنكر عليه الرشيد ذلك ، قال لم أقل إلاّ

لقد ضاء شعرى على بابكم كما ضاء عقد على خالصه

(١٢) ﴿ ائتلاف اللفظ مع اللفظ ﴾

هو كون ألفاظ العبارة من واد واحد فى الغرابة والتأمل — كقوله تعالى (تَاللَّه تَفتأُ تَذْكُرُ يُوسفَ) لما أتى بالتاء التى هى أغرب حروف القسم أتى « بتفتأ » التى هى أغرب أفعال الاستمرار

(١٣) ﴿ التسميط ﴾

هو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام — ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت — كقول جنوب الهذلية

وحربٍ وردْتَ وثغرٍ سددْتَ وعلجٍ شددْتَ عليه الحبَالا

وقول الآخر. أفى ثغره لَعَسٌ فى خدّه قَبَسٌ   فى قدّه مَيَسٌ فى جسمه تَرَف.

(١٤) ﴿الانسجام أو السهولة﴾

هو سلامة الألفاظ وسهولة المعانى مع جزالتهما وتناسبهما كقول الشاعر

ماوهب الله لامرئٍ هبةً   أفضل من عقله ومن أدبهْ
هما كمال الفتى فان فُقِدا   ففقده للحياة أليق بِهْ

(١٥) ﴿الاكتفاء﴾

الاكتفاء أن يحذف الشاعر من البيت شيئا يستغنى عن ذكره بدلالة العقل عليه كقول الشاعر:

فإنّ المنيَّة من يخشَها   فسوف تصادُمه أينما
أى أينما توجَّه (١)

---

(١) وكقوله ما للنوى ذنب ومن أهوى معى   إن غاب عن إنسان عينى فهو فى
وكقوله يا لائمى فى هواها   أفرطت فى اللوم جهلا
ما يعلم الشوقَ إلاّ   ولا الصبابة إلاّ
وكقوله ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا   قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرمنى بالماء بعدهمُ   فقلت يا ليت قومى يعلمون بما
وكقوله الدمع قاض بافتضاحى فى هوى   ظبى يغار الغصن منه إذا مشى
وغدا بوجدى شاهدا وشى بما   أخفى فيالله من قاض وشا
وكقوله لا أنتهى لا أنثنى لا أرعوى   مادمت فى قيد الحياة ولا إذا

(١٦) ﴿ التطريز ﴾

هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملا على ثلاثة أسماء مختلفة المعانى ، ويكون العجز صفة متكررة بلفظ واحد كقول القائل

وتسقينى وتشرب من رحيق   خليق أن يُلقّب بالخلُوق
كأنّ الكأس فى يدها وفيها   عقيق فى عقيق فى عقيق

نموذج

بين ما فى الأبيات الآتية من المحسنات اللفظية

(١) عضنا الدّهر بنابه   ليت ما حل بنابه
(٢) الى حتفى سعى قدمى   أرى قدمى أراق دمى
(٣) لئن أخطأتُ فى مدحيـك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أنزلتُ حاجاتى   بواد غير ذى زرع
(٤) فى الحديث اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا
(٥) قد بلينا فى عصرنا بأناس   يظلمون الأنام ظلما عمّا
يأكلون التراث أكلا لمّا   ويحبّون المال حبّا جمّا
(٦) وإن أقرّ على رَقّ أنامله   أقر بالرق كتّاب الانام له

---

(١) فيه جناس تام بين (بنابه) الاولى أحد أنياب الاسنان (بنابه) الثانية المركبة من (بنا) و (به) (٢) فيه جناس تام بين أرى قدمى أى أنظر قدمى أراق دمى أى صب وأهدر دمى أى قتلنى بلا دية (٣) فى الشطر الاخير من البيت الثانى اقتباس من الآية الكريمة (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) (٤) فيه سجع مرصع لان احدى الفقرتين كالثانية فى الوزن والتقفية (٥) فى البيت الثانى اقتباس من القرآن الكريم من سورة الفجر (وتأكلون التراث أكلا لمّا وتحبون المال حُبّا جمّا) (٦) فيه جناس تام بين أنامله والانام له

خاتمة

«في السرقات الشعرية وما يتبعها»

السرقة — هى أن يأخذ الشخص كلام الغير وينسبه لنفسه

وهى ثلاثة أنواع : نسخ ، ومسخ ، وسلخ

(١) النسخ ويسمى انتحالاً أيضا ـ هو أن يأخذ السارق اللفظ والمعنى معاً ، بلا تغيير ولا تبديل ، أو بتبديل الالفاظ كلها ، أو بعضها بمرادفها ، وهذا مذموم وسرقة محضة ـ كما فعل عبد الله بن الزَّبير بقول مُعَنْ بن أوس (١)

إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته على طَرَف الهجران ان كان يعقل
ويركب حدَّ السيف من أن تضيمه اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وأمّا تبديل الالفاظ بمرادفها — كما فعل بقول الحُطَيْئَة

دَعِ المكارم لاترحل لبُغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
ذَرِ المآثر لاتذهب لمطلبها واجلس فانك أنت الآكل اللابس

وقريب منه تبدل الالفاظ بضدها مع رعاية النظم والترتيب

كما فعل بقول حسَّان رضى الله عنه

بِيض الوجوه كريمة أحسابهم شُمُّ الأنوف من الطِّراز الأَولِ

---

(١) الزبير بفتح فكسر فى هذا ـ ويوجد اسم آخر بضم ففتح ـ ومعن بضم وفتح ـ ومعن بن زائدة بفتح فسكون

فقال غيره ـ سُود الوجوه لئيمة أحسابهم فُطس الأنوف من الطّراز الآخر

(ب) والمسخ ـ أو الإغارة : هو أن يأخذ بعض اللفظ أو يغيّر بعض النظم فان امتاز الثانى بحسن السبك فممدوح ، نحو

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللّهج

مع قول غيره

من راقب الناس مات همّاً وفاز باللّذات الجسور

فان الثانى أعذب وأخصر ، وان امتاز الاول فقط فالثاني مذموم وان تساويا فالثانى لا يذمّ ولا يمدح ، والفضل للسابق

(ج) والسلخ ـ ويسمى إلماماً هو أن يأخذ السّارق المعنى وحده فان امتاز الثانى فهو أبلغ ـ نحو

هو الصنّع أن يعمل بخير وان يرث فللرّيثُ فى بعض المواضع أنفع

مع قول غيره

ومن الخير بطء سَيبك عنّي أسرع السحب فى المسير الجهامْ

وان امتاز الاول فالثانى مذموم، وان تماثلا فهو أبعد عن الذم ـ كقوله

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

مع قول الآخر : وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

ويتّصل بالسرقات الشعرية ثمانية أمور، الاقتباس ، أو التضمين ، والعقد والحل . والتلميح ، والابتداء ، والتّخلص ، والانتهاء

١ ـ الاقتباس ـ هو أن يضمّن المتكلم منثوره أو منظومه شيئا من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما ، فمثاله من القرآن فى النثر

فلم يكن الا كلمح البصر أوهو أقرب. حتى أنشد فأغرب ، ونحو قول الحريرى ، أنا أُنبِّئكم بتأويله ، وأُميِّز صحيح القول من عليله — وكقول عبد المؤمن الأصفهانى — لا تَغُرَّنَّكَ من الظَّلمة كثرة الجيوش والأنصار « إنمَا نُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ) — وفى الشعر قوله (١)

وثغر تنضَّد من لؤلؤ ... بألباب أهل الهوى يلعبُ
إذاماادلهمَّتْ خطوب الهوى ... يكاد سنا برقه يذهبُ

وقوله — ان كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ماجُرمٍ فصبرٌ جَميل
وان تبدّلتَ بنا غيرنا ... فحسبنا اللهُ ونعم الوكيل

وقوله — لا تكن ظالماً ولا ترضى بالظّلـــــم وأنكِرْ بكل مايُستطاع
يوم يأتى الحساب ما لِظَلُوم ... من حميم ولا شفيع يُطاع

وكقوله — ان كانت العشاق من أشواقهم ... جعلوا النّسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم ياليتنى ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

وقوله — ارحلوا فلستُ مُسائلا عن دارهم ... « أنا باخِعٌ نَفسِي على آثارهم »

وقوله — ولاح بحكمتى نورُ الهدى ... في ليالى للضلالة مُدْلهِمَّه
يُريدُ الجاهلون ليُطفئوهُ ... وَيَأْبى اللهُ إلاّ أنْ يُتِمّهْ

---

(١) ولا بأس بتغيير يسير فى اللفظ المقتبس للوزن أو غيره نحو

قد كان ما خفت أن يكونا ... إنا إلى الله راجعونا

وفى القرآن (إنا لله وإنا اليه راجعون) ويكون الاقتباس مذموماً فى الهزل كقوله

أوحى الى عُشّاقه طرفه ... هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه ... لمثل هذا فليعمل العاملون

ومثاله من الحديث فى النثر قول الحريرى : شاهت الوجوه ، وقبح اللكع ومن يرجوه ـ وكقول الحريرى أيضا

وكتمان الفقر زهاده و« انتظار الفرج بالصبر » عباده

ومثاله من الحديث فى الشعر قوله

قال لى ان رقيبي سيىء الخلق فداره
قلت دعنى وجهك «الجـ ـنة حفت بالمكاره»

وكقوله :

فلو كانت الأخلاق تحوى وراثة ولو كانت الأراء لاتتشعب
لأصبح كل الناس قد ضمهم هوى كما أن كل الناس قد ضمهم أب
ولكنها لأقدار « كل ميسر لِما هو مخلوق له » ومقرب

وقوله :

لاتعادِ الناس فى أوطانهم قلما يرعى غريبُ الوطنِ
واذا ماشئت عيشاً بينهم خالِقْ الناس بخلق حسن (١)

---

(١) وينقسم الاقتباس الى ضربين

الأول ـ ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلى إلى معنى آخر كما تقدم

الثانى ـ ما ينقل إلى معنى آخر ، كقول ابن الرومى

لئن أخطأتُ فى مدحـ ـيك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أنزلتُ حاجاتى بواد غير ذى زرع

فقد كنى بهذا الوادى عن رجل لا يرجى نفعه ولا خير فيه ، وهو فى الآية

٢ ـ والتّضمين ـ هو أن يضمّن الشاعر كلامه شعرا من شعر الغير مع التّنبيه عليه (١) إن لم يكن مشهوراً لدى نقّاد الشّعر وذوى اللّسن نحو قوله

اذا ضاق صدرى وخِفتُ العِدا ... تمثّلتُ بيتاً بحالى يليقُ

الكريمة وادٍ لا ماء فيه ولا نبات ، وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير ـ كما سبق

واعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام

مقبول ـ وهو ما كان فى الخطب والمواعظ

ومباح ـ وهو ما يكون فى الغزل والرسائل والقصص

ومردود ـ وهو ما كان فى الهزل ـ كما تقدم ذكره

(١) أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته : فكقوله

قد قلت لمّا اطلعت وجناته ... حول الشقيق الغض روضة آسِ

أعذاره السّارى العجول ترفّقا ... ما فى وقوفك ساعة من باسِ

فالمصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبى تمام

ما فى وقوفك ساعة من باس ... تقضى حقوق الأربع الأدراس

وأحسن التضمين أن يزيد المضمن فى كلامه نكتة لاتوجد فى الاصل كالتورية والتشبيه ، كما فى قوله

إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها ... تذكّرت ما بين العُذيب وبارق

ويذكرنى من قدّها ومدامعى ... مجرّ عوالينا ومجرى السّوابق

فالمصرعان الأخيران مطلع قصيدة لأبى الطيب المتنبى

تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

يريد المتنبى أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين يجرون الرماح عند مطاردة

فبالله أبلغْ ما أرَجِّى وبالله إدفع مالا أُطيق

وكقول الحريرى يحكى ماقاله الغلام الذى عرضه أبو زيد للبيع

على أنى سأنشد عند بيعى أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا (١)

المصراع الأخير للعرجى ـ وأصله

أضاعونى وأىَّ فتىً أضاعوا ليوم كَرِيهَةٍ وسِدَاد ثَغْرِ

٣ ـ والعقد ـ هو نظم النثر مطلقاً لا على وجه الاقتباس ، ومن شروطه أن يُؤْخذ المنثور بجملة لفظه ، أو بمعظمه ،فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر — فعقد القرآن الكريم كقوله

أنلنِى بالذى استقرضتَ خطّا وأشهِدْ معشراً قد شاهدُوه

فانّ الله خلّاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه

يقول « اذا تداينتم بدين الى أجل مُسمى فاكتبوه »

وعقد الحديث الشريف كقوله

انّ القلوب لأجنادٌ مُجنّدَةٌ بالأذن من ربها تهوى وتأتلفُ

الفرسان ، ويسابقون على الخيل أما الشاعر الآخر فأراد بالعذيب تصغير العذب وعنى به شفة الحبيبة ، وبيارق ثغرها الشبيه بالبرق : وبما بينهما ريقها ، وهذه تورية بديعة نادرة فى بابها ، وشبه تبختر قدّها بتمايل الرماح ، وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق

(١) ولا بأس من التغيير اليسير كقوله

أقول لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وأنكروه

هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

فما تعارف منها فهو مُؤتلف وما تناكر منها فهو مختلفُ

وكقوله

واستعمل الحلم واحفظ قول بارئنا سبحانه خلق الانسان من عَجَل

٤ ـ والحل هو نثر النّظم . وانما يُقبل إذا كان جيّد السّبك ، حسن الموقع ـ كقوله

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق مَن يعتاده مِن توهُّم (١)

٥ ـ والتلميح هو الاشارة الى قصّة معلومة أو شعر مشهور ، او مثل سائر من غير ذكره ، فالأول ـ نحو

يابدر أهلك جاروا وعلّموك التجرّي وقبّحوا لك وصلى

وحسّنوا لك هجرى فليفعلوا ما أرادوا فانهم أهل بدر

وكقوله (هل آمنكم عليه إلاّ كما أمنتكم على أخيه من قبل) أشار يعقوب فى كلام هنا لأولاده بالنسبة الى خيانتهم السابقة فى أمر أخيهم يوسف ـ ونحو قول الشاعر

فوالله ما أدرى أأحلام نائم ألمّتْ بنا أم كان فى الركب يوشع (٢)

والثانى ـ نحو

لعمرو مع الرّمضاء والنار تلتظى أرقّ وأحفى منك فى ساعة الكرب

---

(١) نثره ـ لما قبحت فَعلاته . وحنظلت نَخَلاته . لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدّق توهمه الذى يعتاده (٢) اشارة إلى استيقاف يوشع للشمس . يروى أنه عليه السلام قاتل الجبارين يوم الجمعة . فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم ويدخل يوم السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فأبقى له الشمس حتى فرغ من قتالهم

اشارة الى قول الآخر

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

والثالث ـ نحو

من غاب عنكم نسيتموه ... وقلبه عندكم رهينه

أظنكم فى الوفاء ممن ... صحبته صحبة السفينه

٦ ـ وحسن الابتداء أو براعة المطلع، هو أن يجعل أول الكلام رقيقا سهلا، واضح المعانى، مستقلا عمّا بعده، مناسبا للمقام، بحيث يجذب السامع الى الاصغاء بكلّيته، لأنه أول مايقرع السمع، وبه يُعرف مما عنده

قال ابن رشيق: إن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطيّة النجاح ـ وذلك كقوله

المجد عوفىَ اذ عُوفيتَ والكرم ... وزال عنك الى أعدائك السقم

وتزداد حسناً اذا دلَّت على المقصود باشارة لطيفة — وتسمى براعة استهلال (١) وهى أن يأتى النّاظم أو النّاثر فى ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه بالاشارة لا بالتصريح

كقول أبى محمد الخازن مُهنئاً الصاحب ابن عباد بمولود

بُشرى فقد أنجز الاقبال ماوعدا ... وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

وقول غيره فى التهنئة ببناء قصر

---

(١) وبراعة الطلب أن يشير الطالب إلى ما فى نفسه دون أن يصرح بالطلب نحو (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى) اشارة إلى طلب النجاة لابنه وكقوله ـ وفى النفس حاجات وفيك فطانة ... سكوتى بيان عندها وخطاب

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جمالها الايام

وكقول المرحوم أحمد شوقى بك فى الرثاء

أجل وان طال الزمان موافى أخلى يديك من الخليل الوافى

وكقول آخر فى الاعتذار

لنار الهمّ فى قلبي لهيبُ فعفواً أيها الملك المهيبُ

وقد جاء فى الأخبار أنّ الشعر قُفل ، وأوّله مفتاحه

٧ ـ والتّخلص ـ هو الخروج والانتقال مما أُبتدئ به الكلام الى الغرض المقصود ، برابطة تجعل المعانى آخذاً بعضها برقاب بعض ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب الى مدح أو غيره لشدة الالتئام والانسجام كقوله

وإذا جلست إلى المدام وشُربها فاجْعَلْ حديثك كلّه فى الكاسِ

وإذا نزعت عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناسِ

واذا أردتَ مديحَ قومٍ لم تُلَمْ فى مدحهم فامدح بنى العباسِ

وقوله

دعت النوى بفراقهم فتشتّتوا وقضى الزّمان بينهم فتبدّدوا

وقد ينتقل مما افتتح به الكلام الى الغرض المقصود مباشرة بدون رابطة بينهما ، ويسمّى ذلك اقتضاباً ـ كقول أبى تمام

لو رأى الله أنّ فى الشيب خيراً جاورته الأبرار فى الخلد شيبا

كل يوم تبدى صروف الليالى خُلقا من أبي سعيد غريبا

٨ ـ و«حسن الانتهاء» ويقال له «حسن الختام» هو أن يجعل المتكلم

آخر كلامه عذب اللفظ ، حسن السبك ، صحيح المعنى ، مشعراً بالتمام ، حتى تتحقّق براعة المقطع بحسن الختام . إذ هو آخر ما يبقى منه فى الأسماع وربما حُفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به

يعنى أن يكون آخر الكلام مستعذبا حسنا لتبقى لذته في الأسماع مؤذنا بالانتهاء ، بحيث لا يبقى تشوّقا الى ما وراءه ، كقول أبى نواس

وإنى جدير اذ بَلَغْتُك بالمنى وأنت بما أمّلتُ فيك جدير

فان تُولنى منك الجميل فأهله والاّ فانى عاذرٌ وشكورُ

وقول غيره

بقيتَ بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبريّة شامل

وقول ابن حِجّة :

عَلَيْكَ سلام نشره كلّما بدى به يتغالى الطّيب والمسك يختم

وقول غيره

ما أسأل الله إلا أن يدومَ لنَا لا أن تزيد معاليه فقد كمُلت

صحيفة

صحيفة

(تم الفهرس)